رحلة إلى الدار الآخرة

وماذا بعد الموت «من البداية حتى النهاية»

تأليف العلامة

د . عمر عبد الكافي

طبعة مخرجة الأحاديث على كتب الإمام العلامة

محمد ناصر الدين الألباني





HERE AFTER HERE AFTER


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الدَّارُ الآخِرَةُ

وَمَاذَا بَعْدَ المَوْتِ ؟

من البداية حتى النهاية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢١٧٥٩ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 6340 - 20 - 6





Alnoorislamic@yahoo.com
Alnoorislamic@hotmail.com

عضو اتحاد الناشرين المصريين رقم ٤٨٠

الإدارة والمبيعات

٧ ش عبد العزيز - العتبة - القاهرة

ت: ٢٣٩٥٩٢١٨ - ٢٣٩١٠٥٥٤

طنطا: ٢ ميدان المحطة - ت: ٠٤٠/٣٣٣٣٩٤٤

الدَّارُ الآخِرَةُ

وَمَاذَا بَعْدَ المَوْتِ؟

مِن البداية حتى النهاية

د / عمر عبد الكافي

طبعة مُحَقَّقَة ومخرجة الأحاديث على كتب العلّامة

محمد ناصر الدين الألباني



دار النور

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العــامة
للبحـوث والتـأليف والترجمـة

AL-AZHAR AL-SHARIF
...ARCH ACADEMY
...EPARTMENT
Fo... ...iting & Translation

تصريـــح طبـــع وتـــداول

شريـــط كاسيـــت

رقم (١٩٧) بتاريخ ٧ / ٢ / ١٩٩٥

السيـــد / حامد متولي حامد الطحـــان

صاحب شركة / النور للتجارة والانتاج والتوزيـــع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

فبناء على طلبكم بخصوص فحص شريط كاسيت :-

عنوانـــه : الجنة والنـــار (سلسلة حلقات الدار الاخــرة)

اسم المتحدث : الـــدكتور / عمر عبد الكافـــي

مدة الشريط : تسعـــون دقيقة : (٩٠)

نفيد بأنه لا مانع - بعد الاستماع الى المادة العلمية الخاصة بالشريط المذكور - من طبعه ونشره وتداوله على نفقتكم الخاصة ودون ادنى مسئولية قانونية بالنسبة للحقوق القانونية الخاصة بالمتحدث .

علما بأن التصريح المذكور يعتبر لاغيا فى حالة الاخلال بالمادة العلمية بالاضافة اليها او الحذف منها

رجاء الاحاطة ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تحريرا فى : -
٢٦ / ٩ / ١٤١٥هـ
٢٦ / ٢ / ١٩٩٥م

مـدير عـام
البحـوث والتاليـف والترجمـة
١٢/٤/٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

وبعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، فلا يتمُّ إيمان العبد ولا تصح عقيدته إلا بعد أن يحقق هذا الركن وهو الاعتقاد الجازم الذى لا يداخله شكٌّ ولا ريب بكل ما أخبر به الله عز وجل فى كتابه العزيز أو جاء على لسان نبينا محمد ﷺ عن ذلك اليوم وما يحدث فيه بما فى ذلك: الساعة وعلاماتها والقبر ونعيمه وعذابه، والصراط ومحنته، والصحف وتطايرها؛ والميزان ووضعه ،والجنة ونعيمها، والنار وعذابها.

وهذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ هو عبارة عن تفريغ لمحاضرات «الدار الآخرة» والتى ألقاها الدكتور/ عمر عبد الكافى أكثر من مرة وقد قمنا بالاعتناء بها على النحو التالى:

- نظرًا لأن هذا الكتاب مفرغ من الأشرطة ومن المعلوم أن المادة المسموعة تختلف عن المادة المقروءة لذا قمنا بالتصرف فيها من حذف وإضافة وتعديل بإذن الناشر وذلك للوقوف على أفضل صورة للكتاب.
- وقد تم إعادة صياغة الأسلوب بشكل يتفق مع قواعد اللغة العربية وصحة المعلومة.
- ما كان غير واضح من ناحية وضوح الصوت، أو استقامة الكلام فقد تم ضبطه بما يتناسب وسياق الكتاب.
- تم استبدال الأحاديث الضعيفة بما يغنى عنها من الأحاديث الصحيحة.



وبعد أن أخذ الكتاب شكله النهائى بعد استيفاء الخدمات السابقة قمنا بما يلى:

- عزو الآيات إلى مصدرها فى المصحف الشريف.
- عزو الحديث إلى مصدره فإذا كان فى الصحيحين نصدره بقولنا: «متفق عليه» وإذا كان فى أحدهما نصدره بقولنا: «صحيح» لتلقى الأمة لهما بالقبول.
- إذا لم يكن الحديث فى الصحيحين أو أحدهما ذكرنا موضعه فى كتب السنن كـ«سنن أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه» أو ما تيسر لنا من سائر الكتب الأخرى كـ «مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، والمستدرك، ومعاجم الطبرانى» ونحوها، ويتم الحكم عليها بأحكام محدث هذا العصر العلامة محمد ناصر الدين الألبانى رحمه الله تعالى.
- ذكر بعض معانى الكلمات التى قد تُشكل على القارئ.

ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يعفو عما وقع فيه من تقصير وزلل.

اعتنى به قسم التحقيق والمراجعة

بدار فتح المجيد

* * *

السيرة الذاتية (د/عمر عبد الكافي)

نشأته:

●ولد الشيخ د.عمر عبد الكافى ٠١/ ٠٥/ ١٩٥١م فى المنيا بصعيد مصر. حفظ القرآن الكريم فى العاشرة من عمره، حفظ على يدى أساتذته صحيحى البخارى ومسلم بالأسانيد عن ظهر قلب، تلقّى العلوم الشّرعيّة واللّغويّة من علماء أفاضل وأساتذة أجلّاء.

● بدأ مسيرته الدّعوية منذ عام ١٩٧٢م.

دراسته:

● حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم الزّراعيّة، حصل على درجة الليسانس فى الدراسات العربية والإسلامية .

● حصل على درجة الماجيستير فى الفقه المقارن .

يشغل حاليا:

● عضو فى هيئة الحكماء للاتّحاد العالمى لعلماء المسلمين، عضو جائزة دبى الدّولية للقرآن الكريم، مدير مركز الدّراسات القرآنيّة لجائزة دبى الدّولية للقرآن الكريم .

● عضو فى المجمع الفقهى لعلماء الهند .

من دروسه وبرامجه:

(الدّار الآخرة - شرح صحيح البخارى - السّيرة النّبويّة - قصص الأنبياء - صفوة الصّفوة - الوعد الحقّ - النّبع الصّافى ، وغيرها كثير).

* * *



ترجمة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

العلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى، أحد أبرز العلماء المسلمين فى العصر الحديث، ويعتبر الشيخ الألبانى من علماء الحديث البارزين المتفردين فى علم الجرح والتعديل، والشيخ الألبانى حجة فى مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون: إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلانى والحافظ ابن كثير وغيرهم من علماء الجرح والتعديل.

نشأته:

ولد الشيخ محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح الألبانى عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤ م، فى مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا - حينئذٍ - عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابق العلمى، فكان والده مرجعًا للناس يعلمهم ويرشدهم.

هاجر صاحب الترجمة بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها بعد أن انحرف أحمد زاغو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية.

أتمَّ العلامة الألبانى دراسته الابتدائية فى مدرسة الإسعاف الخيرى فى دمشق بتفوق.

نظرًا لرأى والده الخاص فى المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقد قرر عدم إكمال الدراسة النظامية ووضع له منهجًا علميا مركزًا قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفى، و قد ختم الألبانى على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهانى مراقى الفلاح فى الفقه الحنفى وبعض كتب اللغة والبلاغة، هذا فى الوقت الذى حرص فيه على حضور دروس وندوات العلامه بهجت البيطار.

أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، و أخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفرت له هذه المهنة وقتًا جيدًا للمطالعة و الدراسة، وهيأت له هجرته للشام المعرفة باللغة العربية و الاطلاع على العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية.

توجهه إلى علم الحديث و اهتمامه به:

على الرغم من توجيه والد الألبانى المنهجى له بتقليد المذهب الحنفى و تحذيره الشديد من الاشتغال بعلم الحديث، فقد أخذ الألبانى بالتوجه نحو علم الحديث وعلومه، فتعلم الحديث فى نحو العشرين من عمره متأثرًا بأبحاث مجلة المنار التى كان يصدرها

الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) و كان أول عمل حديثى قام به هو نسخ كتاب «المغنى عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقى (رحمه الله) مع التعليق عليه.

كان ذلك العمل فاتحة خير كبير على الشيخ الألبانى؛ حيث أصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغله الشاغل، فأصبح معروفًا بذلك فى الأوساط العلمية بدمشق، حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له؛ ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة؛ حيث يدخلها وقت ما شاء، أما عن التأليف والتصنيف، فقد ابتدأهما فى العقد الثانى من عمره، و كان أول مؤلفاته الفقهية المبنية على معرفة الدليل و الفقه المقارن كتاب: «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» و مطبوع مرارًا، و من أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضًا كتاب «الروض النضير فى ترتيب وتخريج معجم الطبرانى الصغير» و لا يزال مخطوطًا.

كان لاشتغال الشيخ الألبانى بحديث رسول الله ﷺ أثره البالغ فى التوجه السلفى للشيخ، وقد زاد تشبثه وثباته على هذا المنهج مطالعته لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية.

حمل الشيخ الألبانى راية الدعوة إلى التوحيد والسُّنة فى سوريا؛ حيث زار الكثير من مشايخ دمشق وجرت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد والاتباع والتعصب المذهبى و البدع، فلقى الشيخ لذلك المعارضة الشديدة من كثير من متعصبى المذاهب ومشايخ الصوفية والخرافين والمبتدعة، فكانوا يثيرون عليه العامة والغوغاء و يشيعون عنه بأنه «وهَّابى ضال» ويحذرون الناس منه، هذا فى الوقت الذى وافقه على دعوته أفاضل العلماء المعروفين بالعلم والدين فى دمشق، والذين حضوه على الاستمرار قدمًا فى دعوته و منهم، العلامة بهجت البيطار، الشيخ عبد الفتاح الإمام رئيس جمعية الشبان المسلمين فى سوريا، الشيخ توفيق البزرة، وغيرهم من أهل الفضل و الصلاح -رحمهم الله.

نشاط الشيخ الألباني الدعوي

نشط الشيخ فى دعوته من خلال:

أ) دروسه العلمية التى كان يعقدها مرتين كل أسبوع؛ حيث يحضرها طلبة العلم

و بعض أساتذة الجامعات و من الكتب التى كان يدرسها فى حلقات علمية :

- فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.
- الروضة الندية شرح الدرر البهية للشوكانى شرح صديق حسن خان.
- أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير شرح احمد شاكر.
- منهاج الإسلام فى الحكم لمحمد أسد.
- فقه السنة لسيد سابق.

ب) رحلاته الشهرية المنتظمة التى بدأت بأسبوع واحد من كل شهر، ثم زادت مدتها؛ حيث كان يقوم فيها بزيارة المحافظات السورية المختلفة، بالإضافة إلى بعض المناطق فى المملكة الأردنية قبل استقراره فيها مؤخرًا، هذا الأمر دفع بعض المناوئين لدعوة الألبانى إلى الوشاية به عند الحاكم مما أدى إلى سجنه.

صبره على الأذى .... و هجرته:

فى أوائل ١٩٦٠م كان الشيخ يقع تحت مرصد الحكومة السورية- مع العلم أنه كان بعيدًا عن السياسة- وقد سبب ذلك نوعًا من الإعاقة له. فقد تعرض للاعتقال مرتين، الأولى كانت قبل ٦٧؛ حيث اعتقل لمدة شهر فى قلعة دمشق وهى نفس القلعة التى اعتقل فيها شيخ الإسلام (ابن تيمية)، وعندما قامت حرب ٦٧ رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين. لكن بعدما اشتدت الحرب، عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية، و لكن هذه المرة ليس فى سجن القلعة، بل فى سجن الحسكة شمال شرق دمشق، و قد قضى فيه الشيخ ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى واجتمع مع شخصيات كبيرة فى المعتقل.

أعمال ... إنجازات ... جوائز:

لقد كان للشيخ جهود علمية وخدمات عديدة منها:

١- كان شيخنا- رحمه الله - يحضر ندوات العلامة الشيخ محمد بهجت البيطار - رحمه الله - مع بعض أساتذة المجمع العلمى بدمشق، منهم عز الدين التنوخى- رحمه الله - إذ كانوا يقرؤون «الحماسة» لأبى تمام.

٢- اختارته كلية الشريعة فى جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامى، التى عزمت الجامعة على إصدارها عام ١٩٥٥م.

٣- اختير عضوًا فى لجنة الحديث، التى شُكلت فى عهد الوحدة بين مصر وسوريا، للإشراف على نشر كتب السنة و تحقيقها.

٤- طلبت إليه الجامعة السلفية فى بنارس «الهند» أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.

٥- طلب إليه معالى وزير المعارف فى المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ عام ١٣٨٨ هـ، أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا فى جامعة مكة، وقد حالت الظروف دون تحقيق ذلك.

٦- اختير عضوًا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام١٣٩٥هـ إلى ١٣٩٨ هـ.

٧- لبّى دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين فى أسبانيا، وألقى محاضرة مهمة طبعت فيما بعد بعنوان: « الحديث حُجة بنفسه فى العقائد و الأحكام».

٨- زار قطر وألقى فيها محاضرة بعنوان: «منزلة السنة فى الإسلام».

٩- انتدب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء للدعوة فى مصر والمغرب وبريطانيا للدعوة إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامى الحق.

١٠-دعى إلى عدة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثير بسبب أشغاله العلمية الكثيرة.

١١-زار الكويت والإمارات وألقى فيهما محاضرات عديدة، وزار أيضًا عددًا من دول أوروبا، والتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة المسلمين، وألقى دروسًا علمية مفيدة.

١٢-للشيخ مؤلفات عظيمة وتحقيقات قيمة ربت على المائة، وترجم كثيرًا منها إلى لغات مختلفة، وطُبع أكثرها طبعات متعددة ومن أبرزها، إرواء الغليل فى تخريج

أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ فى الأمة، وصفة صلاة النبى من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

١٣- ولقد كانت قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية من منح الجائزة عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، وموضوعها «الجهود العلمية التى عنيت بالحديث النبوى تحقيقًا وتخريجًا ودراسة» لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى السورى الجنسية، تقديرًا لجهوده القيمة فى خدمة الحديث النبوى تخريجًا وتحقيقًا ودراسة وذلك فى كتبه التى تربو على المائة.

وصية العلامة الألباني لعموم المسلمين:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .. وبعد:

فوصيتى لكل مسلم على وجه الأرض وبخاصة إخواننا الذين يشاركوننا فى الانتماء إلى الدعوة المباركة دعوة الكتاب والسُّنة على منهج السلف الصالح. أوصيهم ونفسى بتقوى الله- تبارك وتعالى - أولًا، ثم بالاستزادة بالعلم النافع، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وأن يعرفوا عملهم الصالح الذى هو عندنا جميعًا لا يخرج عن كونه كتاب وسنة، وعلى منهج السلف الصالح، وأن يقرنوا مع عملهم هذا والاستزادة منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا العمل بهذا العلم، حتى لا يكون حجة عليهم، وإنما يكون حجة لهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ثم أحذرهم من مشاركة الكثير ممن خرجوا عن المنهج السلفى بأمور كثيرة.. وكثيرة جدًا، يجمعها كلمة «الخروج» على المسلمين وعلى جماعتهم، وإنما نأمرهم يكونوا كما قال - عليه الصلاة والسلام - فى الحديث الصحيح: « وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله تبارك وتعالى» وعلينا - كما قلت فى سابقة وأعيد ذلك مرة أخرى- وفى الإعادة إفادة، وعلينا أن نترفق دعوتنا المخالفين إليها، وأن تكون من قوله تبارك وتعالى دائمًا وأبدًا -: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وأول من يستحق أن نستعمل معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا فى مبدئنا وفى عقيدتنا، حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التى امتن الله عز وجل بها علينا وبين ثقل أسلوب الدعوة إلى الله عز وجل، فأرجو من إخواننا جميعًا فى كل بلاد الإسلام إن يتأدبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عز وجل، لا يريدون جزاءً ولا شكورًا.

آخر وصية للعلامة المحدث:

أوصى زوجتى وأولادى وأصدقائى وكلُّ مُحبٍّ لى إذا بلغه وفاتى أن يدعو لى بالمغفرة والرحمة - أولًا- وألا يبكون على نياحة أو بصوت مرتفع.

وثانيا: أن يعجلوا بدفنى، ولا يخبروا من أقاربى وإخوانى إلا بقدر ما يحصل لهم واجب تجهيزى، وأن يتولى غسلى (عزت خضر أبو عبد الله) جارى وصديقى المخلص، ومن يختاره - هو- لإعانته على ذلك.

وثالثًا: أختار الدفن فى أقرب مكان؛ لكى لا يضطر من يحمل جنازتى إلى وضعها فى السيارة، وبالتالى يركب المشيعون سياراتهم، وأن يكون القبر فى مقبرة قديمة، يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش...

وعلى من كان فى البلد الذى أموت فيه ألا يخبروا من كان خارجها من أولادى - فضلًا عن غيرهم- إلا بعد تشييعى، حتى لا تتغلب العواطف، وتعمل عملها، فيكون ذلك سببًا لتأخير جنازتى.

سائلًا المولى أن ألقاه وقد غفر لى ذنوبى ما قدمت وما أخرت..

وأوصى بمكتبتى- كلها- سواء ما كان منها مطبوعًا، أو تصويرًا، أو مخطوطًا- بخطى أو بخط غيرى- لمكتبة الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة؛ لأن لى فيها ذكريات حسنة فى الدعوة للكتاب والسُّنة، وعلى منهج السلف الصالح -يوم كنت مدرسًا فيها- .

راجيا من الله تعالى أن ينفع بها روادها، كما نفع بصاحبها يومئذٍ طلابها، وأن ينفعنى بهم وبإخلاصهم ودعواتهم.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

٢٧ جمادى الأول ١٤١٠ هـ.

ثناء العلماء عليه:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: (ما رأيت تحت أديم السماء عالمًا بالحديث فى العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألبانى).

وقال الفقيه العلامة الإمام محمد صالح العثيمين: (إنه حريص جدًا على العمل بالسنة ومحاربة البدعة؛ سواء كانت فى العقيدة أم فى العمل. ومن متابعتك لمؤلفاته تعرف عنه ذلك وأنه ذو علم جمٍّ فى الحديث والرواية والدراية وأن الله تعالى قد نفع بما كتبه كثيرًا من الناس من حيث العلم ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين ولله الحمد).

وقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: (عالم من علماء المسلمين، وعلم من أعلام الدعوة إلى الله، وشيخ المحدثين وإمامهم فى العصر الراهن، ألا وهو أستاذى محمد ناصر الدين الألبانى - حفظه الله وبارك فيه-).

وقال الشيخ محمد إبراهيم شقرة رئيس المسجد الأقصى: (لو أن شهادات أهل العصر من شيوخ السنة وأعلام الحديث والأثر اجتمعت، فصيغ منها شهادة واحدة، ثم وضعت على منضدة تاريخ العلماء، فإنى أحب أن تكون شهادة صادقة فى عالم الحديث الأوحد، أستاذ العلماء، وشيخ الفقهاء، ورأس المجتهدين فى هذا الزمان، الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - أكرمه الله فى الدارين-).

وقال الشيخ مقبل الوادعى: (والذى أعتقده وأدين الله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - حفظه الله - من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: **«إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينه»**.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى مِنْ شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده اللهُ فلا مُضل له، ومنْ يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

* الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين حمدًا يوافى نعم الله علينا ويكافئ مزيده، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

* الحمد لله الذى انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبقاء، وأذلّ أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلِّصًا للأتقياء، وموعدًا فى حقهم للقاء، وجعل القبر سجنًا للأشقياء وحبسًا ضيقًا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الإنعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر فى السموات والأرض وله الحمد فى الأولى والآخرة.

* الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة وكسر بقوته ظهور الأكاسرة وقصر ببغتته آمال القياصرة الذين أدار عليهم حلقته الدائرة وأخذهم بيده القاهرة فقذفهم فى ظلمات الحافرة وصيرهم بها رهنًا إلى وقفة الساهرة، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولم يحصلوا على شىء من الآخرة.

أما بعد: فهذه بمشيئة الله عز وجل سلسلة الدار الآخرة بداية من ذكر الموت فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع أعظم رحلة فى الوجود كله ـ رحلة إلى الدار

الآخرة ـ لنعلم كل مرحلة من مراحل تلك الرحلة ولنتزود بالزاد الحقيقى الذى يجعل تلك الرحلة هى رحلة السعادة والنعيم والخلود.

والأدلة على اليوم الآخر كثيرة جدًا:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٩]

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]. وغير ذلك كثير.

ومن السُّنة المطهرة: حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه الرسول ﷺ عن الإيمان، فقال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(١).

وقال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»(٢).

وقال ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما فى غدًا إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحدٌ إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»(٣).

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٤٦٩٧) كتاب تفسير القرآن من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة»[1]. وغير ذلك كثير.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعًا للعلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



ذكر الموت

اعلم أن كثيرًا من الناس لا يحب الكلام عن الدار الآخرة، وخاصة عن الموت وهذا هو المنهمك فى الدنيا، المكبُّ على غرورها، المحبُّ لشهواتها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإذا ذُكر به كرهه ونفر منه، ولكن اعلم أيها المسلم أن ذكر الموت كما قال عطاء بن أبى رباح وغيره -رحم الله الجميع-: ذكر الموت يعطيك أشياء ثلاثة: تعجيل التوبة، الرضا بالقليل، والنشاط فى العبادة.

* وذكر الموت يورث استشعار الانزعاج من هذه الدار الفانية، والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، فإذا كان الموت أمامك وأكثرت من ذكره كما قال الحبيب ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم[١] اللذات»[٢] فإنك تعجل بالتوبة وترضى بالقليل ولا تشاحن أهل الدنيا فى دنياهم فيكون الله دائمًا أمامك فيستقر قلبك ويطمئن كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال الحبيب ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك[٣]، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك[٤]، وغناك قبل فقرك»[٥].

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتجهزوا للعرض على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وبذلك يجعل المسلم الموت نصب عينيه كما قال الصديق رضي الله عنه: كل امرىء مصبح فى أهله، والموت أدنى من شراك نعله سيعجل بالتوبة. فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا ما انتبهوا ندموا ولم ينفع الندم بعد العدم.

---

(١) هاذم: قاطع.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) السقم: المرض.

(٤) هرمك: كبر السن وضعفه.

(٥) **صحيح**: أخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٣٤١، رقم ٧٨٤٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

واعلموا أنه لو لم يكن فى الموت إلا انحلال الأجسام ونسيانك أخرى الليالى والأيام لكان والله لأهل اللذات مكدرًا ولأصحاب النعيم مغيرًا ولأرباب العقول عن الرغبة فى هذه الدار زاجرا ومنفرا كما قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: «إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب وتدهش فيه الألباب وتفنى فى شرحه الأقلام والكتاب ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] قدم الله عز وجل ذكر الموت على ذكر الحياة هو الذى خلق الموت والحياة.

وقال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] كشفنا عنك غطائك أى: رأيت الحقيقة رأيت الحق، رأيت الواقع، -سبحان الله- ولذلك كثير من الصالحين لما يراهم أولادهم الصالحون فى الرؤيا يقولون لهم: إن الأمر صعب وليس سهلًا؛ بل لابد من توبة، لابد من استقامة لا تغرنكم الدنيا أسرعوا وعجلوا بالتوبة أعيدوا الحقوق لأصحابها وكأنهم يقولون: يا أهلنا يا أحبابنا يا من سكنتم ديارنا وأخذتم أموالنا لا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرتنا واعلموا أنما الأموال لكم والحساب عليكم ولذلك من فضل الله عز وجل أن أرسل قبل الموت نذر أولهم سيدنا الحبيب ﷺ قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[1] كهاتين: السبابه والوسطى، وكذلك إذا نظرت فى المرآة تجد كم شعرة بيضاء فى رأسك وفى لحيتك فهذا نذير أيضًا، انتبه ولما كانت صحتك جيدة وتضرب يدك فى الحجر فينكسر فقد أصبحت الآن تمشى مستندًا على أحدهم فهذا نذير، عندما تكون فى حالة صحية جيدة ويأتى لك مرض هذا نذير، عندما تقرأ القرآن عن مصارع السابقين أن الحياة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] **وقال تعالى:** ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤] الحيوان أى: الحياة الحقيقية، لذلك فإنَّ الحياة الحقيقية فى الدار الآخرة، وليست فى

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس رضي الله عنه.

الدنيا، أما الدنيا فمرحلة اختبار.

حب الدنيا وطول الأمل

إن عدم ذكر الموت يسبب لك ثلاث مشكلات: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل فى العبادة، ويجعل عندك عدم رضا بما آتاك الله وذلك لأن محب الدنيا كشارب البحر لا يزيده شربه منه إلا عطشًا، يظل يشرب من المياه المالحة مرة بعد مرة فيزداد عطشه والعياذ بالله.

ولقد أحسن من قال:

إن لله عبادًا فطنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا   أنها ليست لحى وطنًا

جعلوها لجة واتخذوا   صالح الأعمال فيها سفنًا

نظروا إلى الدنيا فرأوها على حقيقتها على أنها لجة مثل البحر المتلاطم الأمواج سبحان الله!! فأصبح فيها المسلم ينظر فى الدنيا كيف ينجو منها من هذا البحر، لن ينجو إلا بصالح الأعمال فصالح الأعمال تستخدم بالنسبة له كالسفن يستطيع أن يرسو بها على بر السلامة اللهم أوصلنا جميعًا والمسلمين إلى بَرِّ الأمان فإننا حينما يكون الموت نصب أعيننا فسوف نسرع بالتوبة وهنا نقطة هامة هى أنك لن تغفل أو ترتكب ذنوبًا جديدة فحقيقة الموت أمامك سبحان الله.

لقد علمنا العلماء أمورًا أربعة:

الأول: أن الموت يعمنا   **الثانى:** وأن القبر يضمنا

الثالث: وأن القيامة تجمعنا   **الرابع:** وأن الله يفصل بيننا

إذن فالموت سوف يعم الكل فلن يترك الموت أحدًا لأنَّ الموت حق والساعة حق فليس لك حاجب ولا وزير فيؤتى ولا صاحب لك فيرشى فلا ملجأ من الله إلا إليه لا إله إلا هو فالقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يفصل بيننا.

فعن أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال: «يا أبا ذر هل تدرى فيم تنتطحان؟» هل تعلم لماذا تنطح هذه النعجة النعجة الأخرى قال: لا أعرف يا

رسول الله فهذه نعجة تقوم بنطح أختها فقال رسول الله ﷺ «لكن الله يدرى وسيقضى بينها»[1].

* والعلماء قد توقفوا عند هذا الحديث الذى يخوف، نعجة تقوم بنطح نعجة أخرى فهل النعجة مكلفة؟! لا فليس مكلف الا الثقلين الإنس والجن، فهؤلاء المكلفون سيعاقبهم الله أما النعجة فهى كناية عن إقامة الحق يوم القيامة ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الحج: ٥٦] سبحانه وتعالى ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

* ففى الدنيا يوجد ظلم، أما يوم القيامة فربنا قد حدث بأنه ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ فلو بغى حمل على حمل لتولى الله الباقى بعدله ولو نطحت شاة قرناء شاة جلحاء فلو نطحت شاة ذات قرنين شاة أخرى ليست لها قرنان لاقتصى الله لهذه من تلك ثم قال لها كونى ترابًا فيقول الكافر يومها ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] فيقول الكافر يومها ياليتنى كنت عنزة أو كنت بهيمة أو صماء لكى ينجو من عذاب الله اللهم نجنا من العذاب وابعدنا عن نار جهنم وأدخلنا الجنة بدون سابقة عذاب، إنا ضعفاء يا مولانا فقونا ياربنا فى رضاك وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها يا أكرم الأكرمين إنك يا مولانا على كل شىء قدير. فإذن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا فلا تجد إلا ما قدمت يداك كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] والحساب يكون بالحسنات والسيئات كما قال الحبيب ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا دراهم له ولا متاع؛ فقال: «إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا،وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا،فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»[2].

* فمن وجد خيرًا فليحمد الله على توفيقه ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه واعلم أن الله مطلع عليك ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] فلا تخفى

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٢٠٩٢٧)، وقال العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٨٨) إسناده صحيح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

عليه خافية قال رجل لخاله وكان عالمًا يا خالى أوصنى قال له: قل ثلاث كلمات:

الله ناظر إلىّ الله شاهد على الله لا تخفى عليه خافية

القبر يضمنا فهو يضم أصنافًا غريبة فتجد أخوين متخاصمين أمام القضاء عشرين سنة أو ثلاثين سنة على فدانى أرض وتدركهما المنية فيدفن هذا بجانب هذا فهما الاثنان يدفنان وقد تركوا الأرض، والفدان الواحد ٤٢٠٠ متر، الاثنان ٨٤٠٠ فسبحان الباقى وسبحان من يرث الأرض ومن عليها.

ولذلك قال الشاعر ولقد قلت لنفسى وأنا بين المقابر:

هل رأيت الأمن والراحة إلا فى فنظرت فإذا الدود عف فى المحاجر

ثم قلت: أيها السائل لست أدرى، انظر كيف تساوى الكل فى هذا المكان وتساوى العبد مع رب الصولجان العاشق والخالى فما يفترقان ثم قلت: أيها السائل إنى لست أدرى كله سواء الشاكى والمشكو فى حقه والظالم والمظلوم الرئيس والمرؤوس الذى كان يعظم والمسكين الذى لم يدر أحد به، كلهم بجانب بعضهم البعض فى الدنيا ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام فلا يقول لك الحاج فلان والشيخ فلان والدكتور فلان لا ألقاب ولا حتى أسماء فكل ما يقوله هو هل الجثة جاءت أم لا ؟ أو المرحوم حتى الاسم قد سلب منك كل حاجة سلبت لم يبق إلا العمل فقط فلماذا المسلم يتناحر ويتدابر؟ فالعلماء قالوا الموت يعمنا والقبر يضمنا يضم الكل وإن القيامة تجمعنا أى تجمع من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن بيده الأمر كله سبحان الله لا محامى ولا استئناف ولا واسطة فسيدنا أبو بكر ﷺ يقول يارب يارب، لا وزير لك يارب فيؤتى ولا حاجب لك فيرشى هؤلاء، هن الثلاث كلمات:

(ربى يرانى – ربى يشاهدنى – ربى لا تخفى عليه خافية).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ **[الأنعام: ٥٩]**، فورقة من شجرة لا تقع إلا وهى مكتوبة فى كتاب مبين سبحان الله ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق: ٤] فالأرض تأخذ منك اللحم وتبقى العظام فبعد عشرات السنين تأخذ العظام

ويبقى «عجب الذنب» وهذا الحديث حينما عرضناه على بعض علماء الأحياء وعلماء الجولوجيا والطب الأجانب سبحان الله بفضل الله قد أسلم منهم سبعة فى أحد المؤتمرات فأصبحوا يتعجبون من قول الرسول ﷺ حيث قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب[1] الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركّب**»[2] فهذا الحديث موجود فى صحيح مسلم لا إله الا الله ولذلك قد أجرى هؤلاء العلماء تحليلاتهم وإثباتاتهم العلمية ولذلك ثبت عندهم أن كل جسم الإنسان يفنى إلا بعض من ذرات من آخر فقرة من العمود الفقرى سبحان الله هى التى يعرف الإنسان بها فإذا شاء الله أن ينفخ فى الصور مرة أخرى فسبحان الله ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] يقول الله جل فى علاه ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧] أى إذا عادت الأرواح إلى أبدانها فلن تذهب روح محمود إلى عبد اللطيف ولا روح سمير تذهب إلى روح عبد الله فهذا محال فكل روح تذهب إلى جسدها سبحان الله لأن الله يقول: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾

[ق: ٤]

* فمن ذا الذى يعلم الغيب سوى العليم الخبير؟! فلا تخفى عليه خافية سبحان الله «إذن فالموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، الله يفصل بيننا فإذا كان الموت نصب عينى فلابد أن أعجِّل بالتوبة ولا أفعل الذنوب فالله يرانى ويشاهدنى وبالتالى لا أفعل الذنوب سبحان الله فاللهم جنبنا المعاصى يا من يحول بين المرء وقلبه فحُلْ بيننا وبين معاصيك وتُب على كل عاصٍ يارب واهد كل ضال واهدنا معهم يارب العالمين سبحان الله!! ولذلك كان على رضى الله عنه وأرضاه يدعو الله جل جلاله ويقول: ما أوحش الطريق على من لم تكن دليله، وما أضيق الطريق على من لم تكن أنيسه فليهنئ من يؤنسه الله حينما يكون الإنسان أنيسه الله تلاحظ الإنسان حينما يقول له صديقه آنستنا كما قال تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾[القصص: ٢٩] بمعنى رأى أى ظهر له فنحن نسمى بالإنس لأننا نحن ظاهرون والجن يطلق عليه

---

(١) العجب: العظم أسفل العمود الفقرى.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٩٣٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

جنًّا لأنه مستتر متخفٍّ ويقال: هذا شخص أو فلان مجنون فمعناها مستور عقله وسميت الحديقة جنة لماذا؟ لأنها تخفى ما بداخلها لأن الشجر يخفى ما بداخله لأن الظاهر لا يرى الباطن فسميت جنة وسمى البستان جنة لأنه يجن ما وراءه وجن معناها يخفى ما وراءه أما الإنس فقد سمى الإنس إنسًا للظهور فيقال: يا كذا يا فلان قد أنستنا ومعناها ليس كما يفهمها الناس من الأنس لكنها من الظهور قد ظاهرت لنا أى ظهرت لنا فتخيل أنت إن الله قد أنسك أى ظهر لك فترى الله فى كل حركة فترى الله أمامك فحيثما تقدم على فعل الحرام تنطق بأن الله يراك فتقف عند حدود الله عز وجل سبحان الله!! ما أوحش الطريق على من لم يكن الله دليله فإذا لم يكن الله دليلك فمن يكون دليلك.

ولذلك قال الشاعر:

ومن كان له الغراب دليلًا ... يمرُّ به على جيف الكلاب

فتخيل لو شخصًا أخذ الغراب دليلًا له فأين يذهب به فهل يذهب به عند موضع العطور أم عند الرمم؟ فتخيل ذلك فلابد وأن تعلم من دليلك «فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل[1]»[2] فأكثروا من الأخلاء الصالحين فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة لأن ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] فالموت لابد وأن يكون أمام عينى لأكثر من التوبة ولا أفعل الذنوب ويضاف إلى ذلك أن العبد المسلم إذا كان الموت أمامه فلابد وأن يكون نشيطًا فى العبادة فما هو السبب الذى يجعلنى أسرع إلى المسجد لأصلى ليلًا وأقرأ ما هو مقرر علىَّ من ورد القرآن وأتقى الله وأغض البصر وأصم أذنى عن الحرام فكل ذلك يُفعل بوجود الموت أمامى لأننى أعلم أن الله قد يأخذنى فجأة واذا كان الأمر كذلك أى أن الموت أمامى فلابد وأن أكون مستعدًا للقاء الله ولذلك قال أهل العلم: لا راحة للمؤمن إلا بلقاء الله عز وجل فالمؤمن لا يستريح إلا بعد أن يلقى الله عز وجل ولكن

(١) يخالل: يصاحب ويصادق.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٤٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

المدة قد تطول فقد تلقى الله مَثَلًا بعد عشرين عامًا أو بعد سنة أو بعد أسبوع أو بعد مائة سنة فإن الله تعالى من رحمته بنا جعل لنا لقاءات متكررة كل يوم خمس مرات فى اليوم الواحد (صبح، ظهر، عصر، مغرب، عشاء) فهذه هى الخمس أوقات التى نلقى الله فيها فنقف بين يدى الله، أنت تتكلم والله يسمع، أنت تدعو والله يجيب، أنت تقول والله يستمع إليك، سبحان الله، أنت تدعو وهو يجيب، دعوتك!! أنت تسأل والله يعطيك ولذلك قال الحبيب ﷺ: **«تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا»**[1] فأنت تفعل ذنوب فأنت تحترق وحينما تقوم إلى الصلاة فأنت تطفئ النار التى أشعلتها فى نفسك، اللهم أطفئ لنا نيران الدنيا وآجرنا من النار الآخرة يارب العالمين اللهم آمين سبحان الله فأنا كمسلم والموت أمامى لابد أن أكون نشيطًا فى العبادة فأنت مثلًا فى درس علم تجلس مع الأخوة الصالحين وتحبك الملائكة وتنزل عليك السكينة أو تأخذ كلمة تجعلك فى عداد التائبين فإذًا تكون فى عبادة والله يفاخر بك ملائكته ويقول لك يا عبدى أنت عندى كبعض ملائكتى فأنت عندى كبعض ملائكتى –سبحان الله– وهذا من كرم وفضل الله عليك كذلك فحينما يكون الموت نصب عينى، فإذن المسلم حينما يتوب سبحان الله ولا يفعل الذنوب ويكون نشيطًا فى العبادة فيكون عنده يقين فى الله فلا يحزن، فبعض الناس يعيش فى اكتئاب لاعتقادهم بأن الدنيا ما زالت أمامهم طويلة فيقولون ويتساءلون مثلًا من أين سنأكل الشهر القادم أو السنة القادمة لا وكيف نربى هؤلاء الأولاد وهل سنجد لهم شققًا أم لا نجد، فأقول لك يا بنى لا تعول هم الغد فإنما الغد بيد الله ومن رزقك اليوم قادر على أن يرزقك غدًا ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[هود: ٦].

---

(١) حسن: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٣٥٨، رقم ٢٢٢٤)، وقال المنذرى (١/ ١٤٤): إسناده حسن. وقال الهيثمى (١/ ٢٩٩): فيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ألم تسمع قول الحبيب ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله وأجملوا[1] فى الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم»[2]، وقوله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا و يؤمر بأربع كلمات و يقال له : اكتب عمله و رزقه و أجله و شقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح.....»[3] الحديث.

* فقبل أن تموت سوف تأخذ كل ما لك وحينما تموت فإن الحساب المكتوب لك وأنت فى بطن أمك سوف تأخذه تمامًا ولا ينقص منه شيئًا سبحان الله، ونضرب لك مثل بالرجل الذى كان حزينا وهو يحب اللحم وقد نصحه الأطباء بعدم أكلها وذلك لأن نسبة الكلوستلور عالية فلا تأكل أى نوع كان من اللحوم لأنها تزيد عنده هذه النسبة وحزن الرجل وقد سألته عن الحكمة من عدم أكلها فرددت عليه بأن هناك علة أخرى من عدم أكلها تكمن فى عدم نسيانه للفقراء أما العله الثانية: أنت لك فى الحياة تموين عند الله فمثلًا لك طن تأكله من اللحم فأكل تسعمائه وسبعين كيلو فيبقى له ثلاثين كيلو كذلك فانه سيبقى له فى الحياة من عمر عشرة سنين فلو أكل على نفس المنوال أو المنهاج الذى سائر عليه فسوف يأخذ أكثر من نصيبه لكن لا يكون إلا ما قد قضى الله فى سابق الأذل فإذا أكلها سوف يمرض فيمنع من أكل اللحم وهو يعتقد بإن الطبيب هو الذى منعه من أكلها أو أن المرض هو الذى منعه ومع ذلك لو فكر قليلًا فسوف يرد قائلًا بأن تموينه من اللحم قد انتهى من المنبع من عند الله عز وجل، وصاحب الأمل الطويل فى الدنيا يركن غالبًا إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله ﷺ، ولماذا المرتشى يرتشى ولماذا النصاب ينصب ولماذا المحتكر يحتكِر ولماذا المغتاب يغتاب ولماذا الذى ينظر إلى

---

(١) أجمل : طلب فى قصد واعتدال مع عدم انشغال القلب.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢١٤٤) كتاب التجارات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٤٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٣٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الحرام ينظر ولماذا الذى تمتد يده إلى الحرام ولماذا ...ولماذا...ولماذا...؟ لأن الموت ليس أمامه.

ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣].

وطول الأمل داء عُضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء العلماء، وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[١]، فطالب الدنيا يعيش فى عدم رضا لأن الدنيا المسألة فيها قياسية فالذى معه ألف يريد خمسة والذى معه خمسة يريد عشرين والذى معه عشرون يريد مائة والذى معه مائه يريد مليونًا والذى معه مليون يريد ثلاثين مليونًا ولا يملئ جوف ابن آدم ولا يقتنع ابن آدم إلا بالتراب. كما قال ﷺ: «**لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون واديان ولن يملأ فاه ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**»[٢].

الدنيا دار ابتلاء

انظر فى حال الأنبياء وهم أرفع درجة من غيرهم إلا أن الله -سبحانه وتعالى- ابتلاهم بأنواع الابتلاءات لكى يختبرهم، ويمتحنهم، ولكنهم عباد الله الذين اصطفاهم كانوا أصبر الناس على البلوى قال ابن الجوزى -رحمه الله- يصف ابتلاءات الأنبياء حيث قال: ولو لا أن الدنيا دار ابتلاء لم فيها من الأمراض والأكدار، ولم يضيق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون، ويلقى من قومه المحن، وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا

---

(١) **حسن:** رواه أحمد فى الزهد (ص ١٠)، والطبرانى فى الأوسط (٧/ ٣٣٢، رقم ٧٦٥٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٤٥) عن ابن عمرو.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٤٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٨) كتاب الزكاة من حديث أنس رضي الله عنه.

البرارى فى العيش الضنك، ومحمد-صلى الله عليه وعليهم أجمعين- يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة وهو أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء، ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ للمؤمن منها.

وقد قال النبى ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[1].

فراش المرض

ينبغى للمريض أن يتحمل ويصبر على البلاء فهذا يرفع درجات المؤمن ويكفر عنه سيئاته، فإذا سُئل المريض كيف حالك؟ قال: الحمد لله ويقول كنبى الله يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وقال النبى ﷺ: «**إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال انظروا ما يقول لعواده فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته**»[2]، وانظر إلى حال النبى ﷺ يقول عبد الله بن مسعود ﷺ دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك -أى: فى مرض موته- فمسسته بيدى- بأبى هو وأمى عليه الصلاة والسلام- فقلت:يا رسول الله! إنك توعك وعكًا شديدًا. قال: «**نعم إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم**» فقلت ذلك أن لك أجرين قال: «**أجل ما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط[3] الشجرة ورقها**»[4].

فيا من ابتلاك الله بالمرض لا تيأس ولا تحزن واصبر واحتسب فإن هذا خير لك إذا صبرت واحتسبت ورضيت بقضاء الله تبارك وتعالى، فقد قال عليه الصلاة

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) حسن لغيره: رواه مالك فى الموطأ (١٧٥٠) كتاب الجامع، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ١٨٧، رقم ٩٩٤١)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٣١) من حديث عطاء بن يسار ﷺ.

(٣) تحط: تسقط.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

والسلام: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر؛ فكان خيرًا له»[(١)]، فلا تحزن يا عبد الله إذا أصابك مرض وانظر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام يتألم كما يتألم الرجلان وهو مَنْ هو، ورغم ذلك يبشرنا أيضًا وهو على فراش الموت فيقول: «ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو مرض إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها»[(٢)]، واعلم أن المريض إذا كان مواظبًا على دروس علم أو صلاة جماعة وعمل خير يكتب له الأجر كاملًا كأنه لم يمرض لأن الذى حبسه هو المرض كما قال ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما»[(٣)]، وينبغى عليه أن يكون بين الخوف والرجاء، يخاف عقاب الله على ذنوبه، ويرجو رحمة ربه، لحديث أنس رضي الله عنه: أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يارسول الله إنى أرجو الله، وإنى أخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»[(٤)] فيستحب له أن يصبر ولا يتمنى الموت لضر نزل به لقول النبى ﷺ: «ولا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى»[(٥)] ويحسن ظنه بربه تعالى قال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٤) **حسن**: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٣٥١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

زيارة المريض

ينبغي لمن زار مريضًا أن يبشره بالشفاء وأن يكون بشوشًا مبتسمًا عند لقاء المريض، لما له من أثر طيب فى نفس المريض، فالحالة النفسية لها دور كبير فى قدرة المرء على مقاومة المرض والتماثل للشفاء، وكذلك الطبيب يطمئن المريض ويطمئن أهله ويبين لهم أن الشافى هو الله وأنه مجرد سبب ولا تطل الجلوس عنده؛ لأنه ربما يمل، لأن حال المريض غير حال الصحيح، ولكن إذا رأيت المريض مستأنسًا بك ويفرح أن تبقى، وأن تطيل الجلوس عنده، فهذا خير ولا بأس به وهذا ربما يكون سببًا فى شفائه، لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض ثم احرص غاية الحرص أن توجهه إلى فعل الخير فتقول له: قد يقدر الله المرض على الإنسان فيكون خيرًا له فيتفرغ للذكر ولقراءة القرآن وما أشبه ذلك لعله ينتبه ويكون لك أجر السبب واعلم أن الدعاء عند المريض مستجاب ولك ثواب الزيارة كما قال الحبيب ﷺ: **«ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف[١] فى الجنة»**[٢].

الرقية الشرعية

ينبغى للمريض أن يعتقد ويتيقن أن الشفاء بيد الله وحده، فلا يتعلق قلبه إلا بالله، ويحذر أن يعتقد فى خرزة زرقاء أو خمسه وخميسه أو يضع المصحف تحت رأسه أو فى عتبة الباب أو تعلق حجاب أو آية الكرسى أو غير ذلك كل هذا حرام قال الحبيب ﷺ: **«من علق تميمة[٣] فقد أشرك»**[٤] والتميمة والوديعة من الشرك. وللمريض أن

---

(١) الخريف : الثمر المجتنى.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٩٨) كتاب الجنائز، والترمذي (٩٦٩) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(٣) التميمة: ما يعلق ويعتقد فيه دفع الأذى، وهى عادة جاهلية أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذى هو دافعه.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١٦٩٦٩)، وقال الهيثمى (٥/ ١٠٣) : رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٩٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

يرقى نفسه بما ورد عن النبى ﷺ أو يرقيه غيره، والأفضل أن الرجل يرقى الرجل والمرأة ترقى المرأة والزوج يرقى زوجته والزوجة ترقى زوجها وكذلك المحارم للرجل والمحارم للمرأة وعليك أن تدعو الله بقلب سليم ونفسٍ صافية صادقة بهذا الدعاء كما علمنا الحبيب ﷺ: «يضع السبابة على فمه ثم وضعها على الأرض ثم ترفعها وتضعها على مكان الألم وتقول أربع كلمات: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا»[١] وكذلك: «اللهم رب الناس أذهب الباس واشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا»[٢]، وقال: «ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[٣]، أو تقول «لا بأس طهور إن شاء الله»[٤].

عبر وعظات

أحسن وصية تتركها أن توصى من تركت من أهلك أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله أن كانوا مؤمنين وما أجمل هذه الوصية، عندما يترك الآباء الصالحون الوصية بالتقوى لأبنائهم، فالابن البار يفتح الوصية من حين لآخر يقرؤها وتكون له موعظة وذكرى لأن كلها عبارة عن شىء مستضىء من الكتاب والسنة وأن يتقوا الله إن كانوا مؤمنين وأوصى بما أوصى إبراهيم بنيه ويعقوب كما ذكر الله عز وجل ذلك فى سورة البقرة فقال: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

إذن الوصية هنا نقلناها من كتاب الله ومن سنة الحبيب المصطفى ﷺ قال الله

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٧٤٥) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩٤) كتاب السلام من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٧٤٣) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩١) كتاب السلام من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٢) كتاب السلام من حديث عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٥٦٦٢) كتاب المرضى من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢] .

ويعقوب أيضا وصى بها بنيه كما سبق فهذه أعظم وصية وحذار أن تنسب نفسك إلى طريقة أو جماعة أو حزب أو فئة أو فرقة كن مسلمًا موحدًا بالله متابعًا للرسول ﷺ حتى إذا وقفت أمام الله يوم القيامة يقول لك من أنت ؟ تقول أنا مسلم موحد بك يارب العباد متابعًا لسيدنا محمد ﷺ فقط لا أتبع فرقه ولا طائفة ولا طريقة ولا حزبًا ولا جماعة، بل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمدًا رسول الله هذه طريقة واحدة وخط واحد كتاب وسنة اللهم اجعلنا من أهل الكتاب والسنة أوص بما أوصى به إبراهيم نبيُه ويعقوبُ: ﴿ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، وقال: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ جمع أولاده حوله لما حضره الموت يريد أن يطمئن هل هو يريد أن يطمئن على تأمين مستقبل أولاده بالمال لا بل هو يريد أن يطمئن على العقيدة مثل زكريا -عليه السلام- لما دعا ربه قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[مريم: ٤- ٦] .

وعيسى عليه السلام قال حينما شعر أن بنى إسرائيل لم يؤمنوا ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[آل عمران: ٥٢] سبحان الله يبقى الحواريون أتباع عيسى، وأتباع موسى عليهما السلام قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٢٦] سبحان الله وقال يوسف عليه السلام فى آخر قصته التى قصها الله تعالى علينا: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف: ١٠١] ، وبلقيس ملكة سبأ لما جاءت أول ما دخلت ورأت الصرح حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قالت:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] ولم تقل أنذر عشر شمعات للسيدة لا بل قالت: أسلمت مع سليمان لله لا أسلمت لسليمان لا واسطة بينك وبين الله تقول يارب يقول لبيك يا عبدى واعلم أن الله قريب كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الدار الباقية

وهى الرحلة الأساسية لكل إنسان فى هذه الحياة وهى الدار الباقية التى ينادى فيها أهل الجنة وأهل النار يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فاللهم اجعلها جنة أبدًا أو خلودًا فى جنة الرضوان يارب العالمين وليس الحديث عن الدار الآخرة كما تكرر على أسماعكم دائمًا أنه حديث للقنوت أو لليأس أو للإحباط ولكنه حديث من الله عز وجل من أجل الفرار إليه سبحانه وتعالى وهو الذى أمرنا بالفرار إليه والمسلم دائمًا يفر من الدنيا إلى الله ومن الناس إلى الله ومن الابتلاء إلى الله ويعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه والحديث عن الموت وما بعد الموت يوسع صدر الإنسان الضيق ويشرح صدر الإنسان المنغلق ويضئ قلب المسلم العاصى وينير الطريق لكل واحد منا ما الذى ينجيه بعد الموت ما الذى يوجب العذاب بعد الموت عندما يدرك الإنسان هذه الحقائق كلها إنما يدرك إنما هو فى الدنيا ضعيف وإنما الدنيا عارية مسترجعة مؤداة إلى رب العباد سبحانه وتعالى والإنسان فيها ضعيف ولابد أنه سوف يرحل وهو يسمع كلام الصادق ﷺ سيدنا محمد حيث يقول: **«ما لى وللدنيا ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»**[1] فالإنسان نهايته هى الموت وإذا حملت أنت إلى قبر من القبور جنازة فاعلم بأنك سوف تحمل وأنت أن غسلت ميتًا فاعلم بأنك بعدها سوف تغسل وأنت إن اشتريت كفنًا لميت قريب أو عزيز لديك فاعلم أنك سوف يشترى لك كفنًا واعلم أنك إن وضعت ميتًا فى قبره فسوف يأتى عليك وقت توضع أيضًا فى قبرك حتى الحانوتى الذى هو مهمته وعمله

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

أن يلحد الأموات أو يضع الأموات فى أماكنهم وفى قبورهم إنما سوف يلحد يومًا ما وسوف يموت يومًا ما ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال واعلم أن تحت الأرض يدفن الجميع عظيم حقير كبير صغير غنى فقير الكل يدفن تحت الأرض لا يوجد أحد يدفن فوق الأرض أبدًا وكأن الأرض تقول كل يوم يا بن آدم رويدك وأنت تسير فوق ظهرى كن شفوقًا على حتى أكون شفيقة بك بعد أن تموت لأنك ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء: ٣٧] ، ومن صفات عباد الرحمن - أول صفة- من صفاتهم ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣] اللهم اجعلنا منهم فلابد تمشى بتواضع بتذلل لله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤] .

فالمسلم لا يأكل فى المسلم أسدٌ علىَّ وفى الحروب نعامةٌ

* * *

يسألونك عن الروح

بالموت يتحلل بدن الإنسان، ولذلك نوسع فى قماش الكفن لأنه بعد أيام يتفتح بفعل البكتريا فتبدأ الديدان تأكل إلى أن تلتهم كل اللحم والشحم والهيكل العظمى بعد سنوات يذوب كالرماد فالموت للبدن تحلل والموت للروح ترقى تنطلق فى الملكوت عند رب الملكوت وهذه هى روح المؤمن اللهم اجعل أرواحنا من أرواح المؤمنين أما روح الكافر تحبس فى سجن يعنى روح المؤمن فى عليين يشهده المقربون والثانى يعذب فى سجين وما أدراك ما سجين، وتعود كل نفس وروح إلى العالم الذى جاءت منه البدن جاء من التراب يعود فى التراب والروح تنطلق فى هذا الكون وتنطلق إلى ما لا يعلم إلا الله ولا يعلم العبد أين تذهب كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] وتغادر الروح البدن وقد ذكر عن إمام أهل السنه أحمد بن حنبل رحمه الله وهو فى سياق الموت ومعه ابنه يقول له يا أبى قل لا إله إلا الله يقول لا أقولها أبدًا فخاف الابن وارتعب خوفًا من فتنه المحيا والممات فبعد أن أفاق فى صحوة الموت قال له يا بنى لا تحمل على من يموت يا بنى لقد شعرت بعطش شديد ورأيت كأنما إبليس جاء بكوب ماء يقول لى أرويك من هذا وتقول كلمة الكفر قلت والله لا أقولها أبدًا ولكن أنت لا ترى شيئًا لذلك الإنسان المقيم على المعاصى ولم يتب منها يفتن ساعة الموت يُخيَّل له لحظة الموت قريبًا له مات من قبل أب أو أم، أو خال، أو عم يقول له تعرفنى يقول له أعرفك وأنت جالس حوله لا تشعر بشىء كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

فالأمر شديد كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠]، فيحدث له ذهول فيقول له أنا توفيت قبلك إن أردت أن تدخل الجنة فمت على دين النصارى أو مت على دين اليهود هذا الذى يفتن عند الموت إذن فالمسلم يحافظ على طاعة الله ويكثر من العمل الصالح حتى إذا جاءه ملك الموت ثبته الله كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].



الوصية

ينبغى على الإنسان أن يوصى بقضاء ما عليه من حقوق، سواءً كانت لله مثل: الكفّارات، وحجّ الفرض، والزّكاة الواجبة التى لم يخرجها، أو كانت تلك الحقوق للعباد كالدّيون التى ليس عليها إثبات ولا يعلمها غيره، وكذلك ما عنده من الودائع والأمانات كأن يوثّق ذلك بكتابة أو إشهاد حتى لا يضيع حقّ غيره، ولا يدخل على الورثة ما ليس لهم، ومثله إذا كان له حقّ على أحد ولم يستوفه ولم يسمح به فى حال صحّته؛ فيجب أن يوثّقه حتى لا يضيّعه على ورثته وحتى لا يتسبّب على من هو فى ذمّته بأكل ما ليس له؛ فلربّما ينسى ولربّما يضيع اسم الغريم؛ فلا يعرف من وراء الميّت، وهذا يحدث كثيرًا، وليؤدى الحق إلى أصحابه إن تيسر له ذلك. وإلا أوصى بذلك، فقد قال ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله، فليؤدها إليه، قبل أن يأتى يوم القيامة لا يقبل فيه دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه، وأعطى صاحبه، وإن لم يكن له عمل صالح، أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه**»[(١)].

وقال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا دراهم له ولا متاع؛ فقال: «**إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار**»[(٢)].

فلابد من الإسراع بمثل هذه الوصية لقوله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين، وله شىء يريد أن يوصى فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه**»[(٣)].

وقال ابن عمر: «ما مرت علىّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندى وصيتى».

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

ويوصى لأقربائه الذين لا يرثون منه، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] ، وله أن يوصى بالثلث من ماله، ولا يجوز الزيادة عليه، بل الأفضل أن ينقص منه لحديث سعد ابن أبى وقاص رضي الله عنه قال:كنت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، فمرضت مرضًا أشرفت منه على الموت، فعادنى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن لى مالًا كثيرًا،وليس يرثنى إلا ابنة لى، أفأوصى بثلثى مالى؟قال: «لا». قال: قلت: بشطر مالى؟ قال: «لا». قلت:فثلث مالى؟ قال: **«الثلث والثلث كثير إنك يا سعد! أن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس، إنك يا سعد لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى إلا أجرت عليها، حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك»**[(١)] .

لا ضرر ولا ضرار

- وأما الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون من الموصى، فلا تجوز، لأنها منسوخة بآية الميراث، وبين ذلك رسول الله ﷺ أتم البيان فى خطبته فى حجة الوداع فقال: **«إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث»**[(٢)] .

- ويحرم الإضرار فى الوصية، كأن يوصى بحرمان بعض الورثة من حقهم من الإرث، أو يفضل بعضهم على بعض فيه، لقوله تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧] وفى الأخيرة منها: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

ولقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق[(٣)] شاق الله عليه»[(٤)] .

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٢٩٦) كتاب الجنائز، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٨٧٠) كتاب الوصايا، والترمذى (٢١٢٠) كتاب الوصايا، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٨٩) من حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه.

(٣) شاق: ضلل الناس وحملهم على ما يشق عليهم، أو أثار الخلاف بينهم، أو كشف مساوئهم ومعايبهم.

(٤) **صحيح**: رواه الدارقطنى (٣/ ٧٧) ، و لحاكم (٢/ ٦٦، رقم ٢٣٤٥) وقال: صحيح الإسناد على شرط=

والوصية الجائرة باطلة مردودة لقوله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١]. ولحديث عمران بن حصين: «أن رجلًا أعتق عند موته ستة رجلة[٢] فجاء ورثته من الأعراب،فأخبروا رسول الله ﷺ بما صنع،قال: «أو فعل ذلك!؟» قال: «لو علمنا إن شاء الله ما صلينا عليه»، قال: «فأقرع بينهم فأعتق منهم اثنين،ورد أربعة فى الرق»[٣].

أمور ينبغي التنبيه عليها

أن يوصى أهله بعدم التسخط على قضاء الله وقدره بكل أنواعه، كالنياحة ولطم الخدود، وشق الجيوب، وحثو التراب على الرأس لقول النبى ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية»[٤]، وقال: « اثنتان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى النسب والنياحة على الميت»[٥]، وكما فعل أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه لما مرض ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال أنا برىء ممن برىء منه رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة»[٦]، وكذلك يوصى بعدم إقامة السرادقات والمجىء بالمقرئين، أو الذكرى السنوية أو الذهاب كل خميس لأن ذلك لم يثبت عن النبى ﷺ وخير الهدى هدى محمد ﷺ.

* * *

=مسلم. والبيهقى (٦/ ٦٩ ، رقم ١١١٦٦)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٥٠) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رجلة: جمع رجل.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٩٥٠٧)، ومسلم (١٦٦٨) كتاب الأيمان بنحوه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٩٤) كتاب الجنائز، ومسلم (١٠٣) كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٧) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٠٤) كتاب الإيمان من حديث أبى بردة عامر بن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

نموذج للوصية

بسم الله.......

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الطاهر الأمين وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فهذا ما أوصى به فأنا العبد الفقير إلى ربه الراجى عفوه المنتظر مغفرته ورحمته/ .... وأنا فى حالة معتبرة شرعًا؛ من كمال عقلى، وسلامة إدراكى:

أوصى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبى الأمين، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأشهد أن الموت حق، وأن الجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور.

أوصى أسرتى - وأخص أهل بيتى من أولاد وبنات وزوجة - وأقاربى بتقوى الله، وطاعته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتمسك بالعقيدة الصحيحة على الكتاب والسنة والحذر من الشرك وذلك بتقوى الله فى السر والعلن، والسير على طاعة الله، باقتفاء أثر رسول الله ﷺ والصبر والتسليم بالقضاء والقدر، واجتناب البدع ما ظهر منها وما بطن.

وأبرأ إلى الله مما يخالف السنة من تسخط على قضاء الله وقدره بكل أنواعه، كالنياحة ولطم الخدود، وشق الجيوب، وحثو التراب على الرأس، والاجتماع للعزاء بأى نوع كان؛ لأن هذا ليس من سنة محمد ﷺ ولا من سنة أصحابه ﷺ أجمعين.

وأن يبادِرُوا بِقضاءِ ما على من دُيُون - إنْ وُجِدَت - : ففلان ابن فلان ابن فلان له دين مقداره......

وفلان له كذا وكذا..........

وفلان له أمانة عندى مقدارها.......

وفلان وعدته بتزويج ابنتى فلانة.............

وأوصى بأنّ القائم على ذرّيّتى من بعدى هو...................... وأنّ له عليهم الولاية التامّة، حتى يرشدوا ويحسنوا القيام على أنفسهم، وأوصيه بأن ينظر لهم فيما يعود عليهم بالنّفع فى دينهم ودنياهم، وأن يتّقى الله فى ذلك سِرًّا وجهرًا.

وأوصى بأن يكون ربع مالى فى أعمال البرّ - كالمساعدة فى بناء المساجد وتكييفها وفرشها وتنويرها ووضع الماء فيها وعمل مكتبة للمصاحف والكتب الدينية، وتوزيع المصاحف والتفاسير على المساجد ودور التحفيظ، والتبرع للأيتام والأرامل شهريًّا، والصّدقة فى رمضان وتفطير الصائمين والمساعدة فى طباعة كتب العلم النّافعة للإسلام والمسلمين ومساعدة من يجاهد لإعلاء كلمة الله، وكذا يصرف من هذا الرّبع على الأقارب والفقراء والمحتاجين، تحت نظر المذكور آنفًا، وينمّى هذا الرّبع حسب ما يراه النّاظر، وما ينتج من استثمار يوزّع منه فى الأعمال الخيريّة وجهات البرّ المتعدّدة، على نظر الوكيل.

وأوصى أن يحضرنى حين احتضارى وموتى بعض العلماء والصّالحين؛ ليذكّرونى بحسن الظّنّ بربّى، ورجاء رحمته ومغفرته وأن يلقّنونى كلمة التّوحيد - لا إله إلا الله -، وإذا فاضت روحى فليغمضوا بصرى، ويدعوا لى بخير، ويعجّلوا فى تجهيزى ودفنى حسبما صحّ عن النبى ﷺ.

أوصى بذلك وأُشهد على ذلك، كما أُشهد عليه، وكفى بالله شهيدًا.

وصلى الله على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموصى	**الوصى**	**شاهد**	**شاهد**
(الاسم)	(الاسم)	(الاسم)	(الاسم)
(التوقيع)	(التوقيع)	(التوقيع)	(التوقيع)

* * *

وصية النبى ﷺ

انظروا إليه عليه الصلاة والسلام وهو فى مرض موته يعلِّم أمته الدروس الوجيزة المفيدة، وخلاصة تلك الحياة العامرة فى الدعوة لدين الله تبارك وتعالى، شهد الحبيب ﷺ جنازة فى البقيع، فلما رجع وهو فى الطريق، أخذه صداع فى رأسه واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التى تعصب بها رأسه، فدخل على عائشة فقالت: وارأساه! فقال ﷺ: «**بل أنا وارأساه**»[1]، واتقدت حرارة العلة فى بدنه ﷺ، فاشتد به الوجع وأغمى عليه، فقال: «**هريقوا على سبع قِرَب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم**»، فأقعدوه فى مِخضَبٍ، وصبوا عليه الماء حتى طفق يقول: «**حسبكم، حسبكم**»[2]، ومر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبى ﷺ منا فدخل أحدهما على النبى ﷺ فأخبره بذلك فخرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم. فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى**[3] **وعيبتى**[4] **وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**»[5]، وفى رواية أنه قال: «**إن الناس يكثرون، وتَقِلُّ الأنصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام، فمن ولى منكم أمرًا يضر فيه أحدًا أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم**»[6].

ثم قال: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**». قال أبو سعيد الخدرى: فبكى أبو بكر. وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٧٢١٧) كتاب الأحكام من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى فى مسنده (٨/ ٥٦)، وصححه العلامة الألبانى فى فقه السيرة (١/ ٤٦٢).

(٣) كرشى: أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته.

(٤) عيبتى: جماعتى وصحابتى الذين أُطلعهم على سرى وأثق بهم وأعتمد عليهم.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) **صحيح**: رواه البخارى (٣٨٠٠) كتاب المناقب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، ثم قال رسول الله ﷺ : **« إن من أمنّ الناس على فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين فى المسجد باب إلا سد، إلا باب أبى بكر »**[1]، وأوصى بالصلاة فقال: **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»**[2].

* وعند العشاء زاد ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد . قالت عائشة : فقال النبى ﷺ : **«أصلى الناس»**؟. قلنا: لا هم ينتظرونك قال: **«ضعوا لى ماء فى المخضب»**[3]. قالت ففعلنا فاغتسل فذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال ﷺ: **«أصلى الناس؟»**. قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال: **«ضعوا لى ماء فى المخضب»** . قالت فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال **«أصلى الناس»** . قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال **«ضعوا لى ماء فى المخضب»** . فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: **«أصلى الناس»**؟. قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف فى المسجد ينتظرون النبى عليه السلام لصلاة العشاء الآخرة فأرسل النبى ﷺ إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس فقال أبو بكر -وكان رجلًا رقيقًا-: يا عمر صلِّ بالناس فقال له عمر أنت أحق بذلك فصلى أبو بكر تلك الأيام ثم إن النبى ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلى بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبى ﷺ بأن لا يتأخر قال **«أجلسانى إلى جنبه»** . فأجلساه إلى جنب أبى بكر قال فجعل أبو بكر يصلى وهو يأتم بصلاة النبى ﷺ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٢٥) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى الإرواء (٧/ ٢٣٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) المخضب: الإناء الذى يغسل فيه صغيرًا كان أو كبيرًا.

الناس بصلاة أبى بكر والنبى ﷺ قاعد(١).

* وراجعت عائشة النبى ﷺ ثلاث أو أربع مرات؛ ليصرف الإمامة عن أبى بكر حتى لا يتشاءم به الناس، فأبى وقال: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**»(٢).

وقال ﷺ قبل موته بثلاث: «ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله»(٣).

* وأعتق النبى ﷺ غلمانه، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفى الليل أرسلت عائشة بمصباحها امرأة من النساء وقالت: قطرى لنا فى مصباحنا من عُكَّتِك السمن، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من الشعير.

* **وقال أنس**: إن المسلمين بينا هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ــ وأبو بكر يصلى بهم ـ لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم فى صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك - يا لقلبى ويا لشعرى ما لهذا التبسم، وما لهذا التعجب! إنه -إن شاء الله- تبسم لأنه رأى الصفوف منتظمة، ورأى الدعوة حية، ورأى الرسالة منتصرة، ورأى لا إله إلا الله مرتفعة، ورأى أبا بكر يصلى بالناس، ورأى دعوة التوحيد قد ضربت بجرانها فى الجزيرة، فحق له أن يتبسم-، فنكص أبو بكر على عقبيه؛ ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة . فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم، فَرَحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، ثم لم يأت على رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرى.

* ولما ارتفع الضحى، دعا النبى ﷺ فاطمة فسَارَّها بشىء فبكت، ثم دعاها، فسارها بشىء فضحكت، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك ــ أى فيما بعد ــ فقالت : سارنى النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه، فبكيت، ثم سارنى فأخبرنى أنى

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٨٣٤) كتاب الإمامة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٧٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

أول أهله يتبعه فضحكت، وبشر النبى ﷺ فاطمة **بأنها سيدة نساء هذه الأمة»**[١]، ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذى يتغشاه، فقالت: وا كرب أبتاه. فقال لها: **«ليس على أبيك كرب بعد اليوم»**[٢]، ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن، وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذى أكله بخيبر حتى كان يقول: **«يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبْهَرِى**[٣] **من ذلك السم»**[٤]، وقد طرح خَمِيصَة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك ـ وكان هذا آخر ما تكلم وأوصى به الناس ـ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ يحذر ما صنعوا»**[٥]، وقال: **«قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب»**[٦].

* انظر إلى حرصه عليه الصلاة والسلام من خلال تلك الوصايا الغالية التى أسداها لأصحابه الكرام وللأمة من بعدهم وأيضًا سماحته، وإرساء دعائم العقيدة الإسلامية الصحيحة وهو يودع أمته عليه الصلاة والسلام، وأوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، ووصى بالاعتصام بالكتاب والسنة، وإنفاذ جيش أسامة، كرر ذلك مرارًا، فما أروعها من وصايا وما أبعد المسلمين عنها فى أيامنا هذه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٢٨٥) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) الأبهر: عرق فى الصلب أو فى الذراع أو بباطن القلب تتشعب منه سائر الشرايين إذا انقطع مات صاحبه.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٤/ ١٦١١، رقم ٤١٦٥)، وأبو داود (٤٥١٢) كتاب الديات عن عائشة وأبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٣٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

(٦) **صحيح**: رواه البيهقى (٩/ ٢٠٨، رقم ١٨٥٢٩) بنحوه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٦١٧) من حديث أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

موت الحبيب

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سَحْرِى ونَحْرِى، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته رضى الله عنها وأرضاها!- و دخل عبد الرحمن بن أبى بكر - وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم . فتناولته فاشتد عليه، وقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم . فلينته، فأمره وبين يديه رَكْوَة فيها ماء، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه، يقول : «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده»[(١)]. وفى رواية: «أنه استن به كأحسن ما كان مستنًّا»[(٢)].

*ليلقى الله طيبًا، فإن حياته طيبة، ووفاته طيبة ﷺ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠].

قال أنس: ظننا أن القيامة قامت يوم توفى رسول الله ﷺ أى مصيبة أكبر من مصيبة وفاته على الأمة؟! أى حدث وقع فى تاريخ الإنسان يوم توفى خير إنسان وأفضل إنسان عليه الصلاة والسلام؟! ولكن نقول الآن وبعد الآن ويوم نلقى الرحمن: إنا لله وإنا إليه راجعون! ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

* وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها، وبقى جثمانه الشريف فى غرفة عائشة ﵂ وأرضاها، ولكن ما هو حال الصحابة وقف الصحابة فى موقف لا يعلمه إلا الله، وفى دهشة لا يعلمها إلا الحى القيوم، كلهم يكذب الخبر، ولا يصدق إلا من أتاه اليقين.. وقفوا حول مسجده ﷺ، وأغلق بابه الشريف على جثمانه، وبقيت عائشة ﵂ وأرضاها تبكى مع النساء، أما السكك فقد امتلأت بالبكاء والعويل والنحيب، وأما عمر ﵁ وأرضاه فوقف عند المنبر يسل

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٤٩) كتاب المغازى من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٥١) كتاب المغازى من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂.

سيف الإخلاص والصدق الذى نصر به دين الله، ويقول: يا أيها الناس: من كان يظن أن رسول الله قد مات، ضربت عنقه بهذا السيف.

قال أنس: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه. يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه[1].

* قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله ﷺ وأبو بكر بالسنح - يعنى بالعالية فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله ﷺ وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ وقبله قال بأبى أنت طبت حيًّا وميتًا والذى نفسى بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبدًا ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤] فكأن الناس سمعوها لأول مرة، وكأنها ما مرت على أذهانهم، ثم عاد رضى الله عنه وأرضاه فلله دره ما أثبته، فليكن قدوة لكل من أصابته مصيبة أيًّا كانت.

* ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، قال على رضي الله عنه: اختلفنا فى كيفية تغسيل رسول الله ﷺ، فألقى علينا النعاس، ونحن بالماء حوله ﷺ، حتى نمنا وإن لحية أحدنا إلى صدره، فسمعنا هاتفًا يقول: «اغسلوا رسول الله ﷺ من فوق ثيابه»[2]، فغسلوه من فوق ثيابه، طيبًا مباركًا مهديًا، عليه السلام يوم ولد، وعليه السلام يوم بعث، وعليه السلام يوم مات، وعليه السلام يوم يبعث حيًا، وكان

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٤١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح أبى داود من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

نقائمون بالغسل العباس وعليًا، والفضل وقُثَم ابنى العباس، وشُقْرَان مولى رسول الله ﷺ وأسامة بن زيد، وأوس بن خَوْلى، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونـه، وأسـامة وشقران يصبان الماء، وعلىٌّ يغسله، وأوس أسنده إلى صدره ، وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسِدْر، وغسل من بئر يقال لها : الغَرْس لسعد بن خَيْثَمَة بقُبَاء وكان يشرب منها، ثم كفنوه فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحُولِيَّة من كُرْسُف، ليس فيها قميص ولا عمامة. أدرجوه فيها إدراجًا، واختلفوا فى موضع دفنه، فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما قبض الله تعالى نبيا إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه»[1]، فرفع أبو طلحة فراشه الذى توفى عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحدًا، ودخل الناس الحجرة أرسالًا، عشرة فعشرة، يصلون على رسول اللّه ﷺ أفذاذًا، لا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولًا أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم النساء ثم الصبيان.

وصية أبي بكر

لما مرض رضي الله عنه قال له الناس ألا ندعو الطبيب؟ فقال : أتانى وقال لى أنا فاعل ما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وأن يكفن فى ثوبيه ويشترى معهما ثوب ثالث . وقال : الحى أحوج إلى الجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد، وعقد أبو بكر فى مرضه الذى توفى فيه لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده بعد أن شاور بعض الصحابة رضي الله عنهم جميعًا دعا أبو بكر عثمان خاليًا . فقال له اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين. أما بعد: ثم أغمى عليه فذهب عنه . فكتب عثمان : أما بعد فإنى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ على فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن مت فى غشيتى. قال: نعم. قال : جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر رضي الله عنه، ثم أرسل إلى عمر وقال

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (١٠١٨) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٤٩) من حديث أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

له: إنى قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوى الله ثم قال : يا عمر إن لله حقًا بالليل ولا يقبله بالنهار وحقا بالنهار ولا يقبله بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حقٌّ أن يكون ثقيلا . ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم . وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا . ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء . ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه . ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون منهم وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملى من أعمالهم فإذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه.

وصية عمر

لما طعن عمر رضي الله عنه أتى بلبن فشرب منه، فخرج اللبن من طعنته فقال الله أكبر وعلم أنه يموت فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرًا فقال: وددت أن أخرج من الدنيا كفافًا كما دخلت لا علىَّ ولا لىَّ، والله لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ولما احتضر غشى عليه ورأسه فى الأرض فوضع ابنه عبد الله رأسه فى حجره فلما أفاق قال له: ضع رأسى على الأرض كما أمرتك، فقال له ابنه: يا أبت وهل الأرض وحجرى إلا سواء؟ قال ضع رأسى على الأرض كما أمرتك فوضعه، قال: فمسح خديه بالتراب ثم قال: ويل لعمر ويل لعمر ويل لأم عمر إن لم يغفر الله لعمر فإذا قضيت فأسرعوا بى إلى حفرتى فإنما هو خير تقدموننى إليه أو شر تضعونه عن رقابكم، ثم قال : يا عبد الله بن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل : عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل : أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن عند صاحبيه . فمضى وسلم واستأذن عليها، ثم دخل فوجدها قاعدة تبكى، فقال: عمر يقرأ عليك السلام، ويستأذن أن يدفن عند

صاحبيه، فقالت : كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه اليوم على نفسى . فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال : ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال : ما وراءك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين، قد أذنت . قال : الحمد لله، ما كان شىء أحب إلىَّ من ذلك، فإذا أنا مت فاحملونى، ثم سلم، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى، فأدخلونى، وإن ردتنى، فردونى إلى مقابر المسلمين، وجعل عمر ﷺ الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ : على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبى وقاص.

* * *

علامات حسن الخاتمة

الصدق مع الله عز وجل: والصدق مع الله يبدأ بصدق النية فى جميع الأعمال، فإذا ذهبت إلى فلان لأزوره، هل أزوره لوجه الله أو لأنه يعرف فلانًا صاحب المنصب الرفيع الذى لك عنده مصلحة، ومن ذلك أيضًا تجديد التوبة من حين لآخر، والمسارعة إلى الخيرات:

قال العلامة الألبانى رحمه الله فى أحكام الجنائز[(١)] [(*)].

الأولى: نطقه بالشّهادة عند الموت:

قال ﷺ: **«مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[(٢)].

الثانية: الموت برشح الجبين:

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: **أنه كان بخراسان، فعاد أخًا له وهو مريض، فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه؛ فقال:الله أكبر؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «موت المؤمن بِعَرَق الجَبِين»**[(٣)].

الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

قال الرسول ﷺ: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فِتْنَة القَبْر»**[(٤)].

الرابعة: الشّهادة فى سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

---

(١) أحكام الجنائز (١/ ٣٤).

(*) وقد تم ضبط مادة الكتاب من مصادر مختلفة كـ «التفسير الميسر، والتذكرة، وأحكام الجنائز، والمختصر الصحيح عن الموت، ورحلة إلى الدار الآخرة».

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٢١٥٢٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٧٩) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (٩٨٢) كتاب الجنائز، والنسائى (١٨٢٩) كتاب الجنائز، وابن ماجه (١٤٥٢) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٦٥) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٤) **حسن**: رواه الترمذى (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٤٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٦٩- ١٧١].

وقال النبي ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال؛ يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه»(١).

(تنبيه): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة، بدليل قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق،بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٢).

الخامسة: أن يموت على طاعة من الطاعات كمن يموت في الصلاة، أو الحج، أو وهو صائم، ومنهم من يموت وهو يقرأ القرآن: فعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يبْعَث كل عبدٍ على ما مات عليه»(٣) وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله». قيل: كيف؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثُمَّ يقبضه عليه»(٤).

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة،ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة،ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وأحمد (١٦٧٣٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥) من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة من حديث سهل بن حنيف ﷺ.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٢) كتاب القدر، وأحمد (١١٦٢٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢٢٨١٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥) من=

السادسة: الموت بالطاعون، والموت غرقًا، والموت بداء البطن، والموت فى الهدم، والموت حرقًا، وموت المرأة فى ولادتها، والموت بذات الجنب - وهو ورم فى الغشاء المستبطن للأضلاع -: عن جابر رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: **«الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد، والغَرِق شهيد، وصاحب ذات الجَنْب شهيد، والمبطون شهيد، والحَرِق شهيد، والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بِجُمْع شهيدة»**[1] .

وعن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبى الله ﷺ: **«أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث فى بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»**[2].

السابعة: الموت بداء البطن، قال ﷺ: **«...ومن مات فى البطن فهو شهيد»**[3].

عن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا وسليمان بن صرد، وخالد بن عرفطة فذكروا رجلًا توفى بداء البطن، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: **«من يقتله بطنه فلن يعذب فى قبره»**[4].

الثامنة: موت المرأة فى نفاسها بسبب ولدها، لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه، فقال: **«أتدرى من شهداء أمتى؟»** قالوا: قتل المسلم شهادة، قال: **«إن شهداء أمتى إذًا لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة، يجرها ولدها بسرره إلى**

=حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١١١) كتاب الجنائز، والنسائى (١٨٤٦) كتاب الجنائز، ومالك (٥٥٢) كتاب الجنائز من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٥٧٣٤) كتاب الطب من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمارة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه النسائى (٢٠٥٢) كتاب الجنائز، والترمذى (١٠٦٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترمذ[illegible] [illegible] صرد [illegible] خالد بن عرفطة رضي الله عنهما.

الجنة»[١].

التاسعة والعاشرة: الموت فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس لقول النبى ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[٢]، وقال: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»[٣].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلنى، قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو فى النار»[٤].

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: الرجل يأتينى فيريد مالى؟ قال: «فذكره بالله»، قال: فإن لم يُذّكر؟ قال: «فاستعن عليه ومن حولك من المسلمين» قال: فإن لم يكن حولى أحد من المسلمين، قال: «فاستعن عليه بالسلطان»، قال: فإن نأى السلطان عنى؟ قال: «قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك»[٥].

الحادية عشر: الموت مرابطًا فى سبيل الله: قال ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان»[٦].

وقال ﷺ: «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر»[٧].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٦٨)، وصححه العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (١/ ٣٨) من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٧٢) كتاب السنة، والترمذى (١٤٢١) كتاب الديات، والنسائى (٤٠٩٥) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٤١١) من حديث سعيد ابن زيد رضي الله عنه.

(٣) صحيح لغيره: رواه النسائى (٤٠٩٦) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٣) من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٠) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٥) حسن صحيح: رواه النسائى (٤٠٨١) كتاب تحريم الدم، وأحمد (٢٢٠٠٧)، وصححه العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (١/ ٤١) من حديث مخارق بن سليم ط.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة من حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه.

(٧) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٠) كتاب الجهاد، والترمذى (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، وصححه=

الثانية عشر: من قتله الإمام الجائر - لأنه نصحه -: قال النبى ﷺ : **«سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»**(١) .

الثالثة عشر: الثناء بالخير على الميّت من المسلمين:عن أنس رضي الله عنه قال:مرّ بجنازة فأثنى عليها خيرًا؛ فقال النبى ﷺ : **«وجبت وجبت وجبت»**، ومرّ بجنازة فأثنى عليها شرًّا؛ فقال نبى الله ﷺ: **«وجبت وجبت وجبت»**. قال عمر رضي الله عنه:فدىً لك أبى وأمى؛ مرّ بجنازة فأثنى عليها خيرًا فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومرّ بجنازة فأثنى عليها شرًّا فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال الرسول ﷺ: **«مَن أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار؛ أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى الأرض»**(٢).

وقال الرسول ﷺ: **«أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة»**. قلنا: وثلاثة؟ قال: **«وثلاثة»**. قلنا: واثنان؟ قال: **«واثنان»**، ثمّ لم نسأله فى الواحد(٣) .

وقال ﷺ: **«ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرًا، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلت قولكم، أو قال: شهادتكم، وغفرت له ما لا تعلمون»**(٤).

الرابعة عشر: علامات ترى على الميّت أثناء تغسيله؛ مثل:إشارة إصبع السبابة بـ(لا إله إلا الله)، والوضاءة والإشراقة والفرحة والابتسامة التى على وجه الميّت؛ لأنه قد بشّر برضا الله والجنة وتسليم الملائكة عليه؛ فتجد بعض الأموات مبتسمًا ابتسامة لا تفارق وجهه حتى يكفن. ولعل من العلامات سهولة تغسيله وليونة ورقّة جسده والله أعلم.

* * *

=العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٢١٨) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(١) حسن: رواه الحاكم (٣/ ٢١٥، رقم ٤٨٨٤) وقال : صحيح الإسناد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٧٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٦٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٩) كتاب الجنائز من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٣٦٨) كتاب الجنائز من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) حسن لغيره: رواه أحمد (٣/ ٢٤٢ رقم ١٣٥٦٥)، وقال الهيثمى (٣/ ٤) : رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥١٥).

علامات سوء الخاتمة

الحديث بلا شك عن سوء الخاتمة مقبض للنفس فإن للإنسان فى نهاية حياته إما حسن خاتمة أو سوء خاتمة، فحسن الخاتمة تؤدى إلى الجنة وسوء الخاتمة تؤدى إلى النار، ومنها: أن يموت على شرك، أو ترك للصلاة، أو على معصية من المعاصى مثل الزنا أو الخمر أو سماع الأغانى أو غيرها من المعاصى: كما فى حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبْعَث كل عبد على ما مات عليه»[(١)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقلت يا رسول الله آمنا وبك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء»[(٣)].

وأسباب كثيرة وسنكتفى بذكر أهم تلك الأسباب:

الأول: الشك والجحود والتعبّد بالبدع: ومعناها: أن يعتقد فى ذات الله ـ تعالى ـ أو صفاته أو أفعاله خلاف الحق، إما تقليدًا، أو برأيه الفاسد، فإذا انكشَفَ الغطاء عند الموت بان له بطلانُ ما اعتقده فظن أن جميع ما اعتقده لا أصل له.

الثانى: تسويف التوبة:أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: إن من أهم أسباب سوء الخاتمة تسويف التوبة فلا يزال العبد غارقًا فى الشهوات والشبهات وهو يؤجل التوبة يومًا بعد يوم حتى يأتيه ملك الموت فجأة فيصرخ هذا العبد ويندم على عمره الذى مضى فى معصية الله ويقول: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٢ رقم: ٢٦٥١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٤٤٨ رقم: ٢١٤٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٨٧).

فيا لها من حسرة تجعل القلوب تبكى الدماء بدل الدموع.

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[الزمر: ٥٤- ٦٠] .

وصدق من قال:

العمــر ينقــص والذنــوب تزيــدُ — وتــقــال عــثرات الفــتى فيعــودُ

هــل يــستطيع جحــود ذنــبٍ واحــدٍ — رجــلٌ جوارحــه عليــه شهــودُ

والمــرء يــسأل عــن سنيه فيشتهى — تقليلهــا وعــن الممــات يحيــدُ

فأقبل على الله يا أخى ولا تيأس من رحمة الله فرحمته وسعت كـل شـىء.. وذنبـك مهما عظم فهو شىء وسوف تسعه رحمة الله -جل وعلا-... وإيـاك وتـسويف التوبـة لكى لا تندم حين لا ينفع الندم فكم من أُناسٍ هلكـوا بـسبب (سـوف) إلى أن جـاءهم ملك الموت وهم غارقون فى الذنوب والمعاصى.

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المنافقون: ١٠، ١١] .

قال ابن كثير: «كل مفرّط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات، كان ما كان، وأتـى مـا هـو آت، وكـلٌّ بحـسب تفريطه».

قال الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ: «هيهات هيهات، أهلك الناس الأمانى، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين».

البدار البدار قبـل الفـوات، الحـذار الحـذار من يوم الغفـلات، قبـل أن يقـول

نمنّب: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيقال: فات.

كلنـــا فى غفـــلة والمـــوت يغـــدو ويـــروح
نـــُح علـــى نفـــسك يـــا مـــسكينُ إن كنـــت تنـــوحُ

الثالث: عدم الاستقامة على الطاعة:

قـال تعـالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

فأهل الاستقامة على الطاعة هم الذين يثبتهم اللّه - جل وعلا - فى الدنيا والآخرة وهم الذين تتنزل عليهم الملائكة عند الموت لتبشرهم بالجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾

[فصلت: ٣٠- ٣٢]

أما الذين تتقاذفهم أمـواج الفتنـة والـشهوات فهـؤلاء الـذين تُختـم لهـم بـسوء الخاتمة.

قيل لأحد علماء سلفنا: فلان عرف طريق الله ثم رجع عنه، فقال: «لو وصلوا إليـه ما رجعوا».

فمن عرف طريق الملك -جل وعلا- ثـم أعـرض عنـه وتنكّبـه، واختـار طـرق الغواية والضلال، وآثر الغىّ على الرشاد، والضلالة على الهُدى، والفجور على التقـى، كان ذلك من أعظم أسباب سوء الخاتمة.

الرابع: طول الأمل:

إن صاحب الأمل الطويل فى الدنيا يركن غالبًا إلى الشهوات والملـذات، ولـذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله ﷺ. ومن أجل ذلـك حـذَّر النبـى ﷺ من طول الأمل، فعن ابن عمر ﷺ قال: أخذ رسول ﷺ بمنكبى فقال: «كُـن فى الـدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر ﷺ يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الـصباح،

وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[1] .

ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الحجر: ٣] .

قال الإمام القرطبي: وطول الأمل داء عُضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من بُرئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ : «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[2] .

وقال الحسن: ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل، وصدق رحمه الله! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني، ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يُطْلَب صاحبه برهان؛ كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويُحيل على المبادرة، ويحثّ على المسابقة.

وقال علي رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة.

وجاء في الأثر: أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا.

ومن أسباب طول الأمل:

الجهل: فيظن الشاب أن الموت بعيدٌ عنه لأنه مازال في ريعان شبابه وصحته وعافيته.. وما علم هذا الشاب أن الموت لا يعرف صغيرًا ولا كبيرًا.

قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٦٤١٦) كتاب الرقاق من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **حسن:** رواه أحمد في الزهد (ص ١٠)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٢، رقم ٧٦٥٠)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٨٤٥).

وصدق من قال:

تزود من الدنيا فإنك لا تدرى — إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا — وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها — وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ
وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم — وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبرِ
وكم من صحيح مات من غير علة — وكم من سقيم عاش حينًا من الدهرِ

الخامس: حب الدنيا: أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأمانى الباطلة، يمنى نفسه أبدًا بما يوافق مراده من البقاء فى الدنيا، ومحب الدنيا أشدّ الناس عذابًا به. وهو معذب فى دوره الثلاثة يعذب فى الدنيا بتحصيلها والسعى فيها ومنازعة عنها، وفى دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدًا، ويعذب يوم لقاء ربه... قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

قال القرطبى: ومثل هذا فى النّاس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهمُّ بها، أو سبب من أسبابها، حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاءه الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف... غلبت عليه «حب» السمسرة.

ولقد رأيت بعض الحُسَّاب وهو فى غاية المرض، يعقد بأصابعه ويحسب... وقيل لآخر قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا.

وأخبرنى بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنوه «لا إله إلا الله» وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشترى جيدٌ هذا كذا حتى قضى!

وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذى يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم.

وقال لقمان لابنه: يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا.. وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزوّد، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

السادس: صحبة الأشرار:

قال ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالِ»[(١)].

وقال النبى ﷺ: «أنت مع من أحببت»[(٢)]، فالصاحب ساحب. إما أن يأخذ بيديك إلى مرضاة الله وإما أن يأخذ بيديك إلى معصية الله (جل وعلا) وكم من أُناسٍ عاشوا على طاعة الله فلما اختلطوا بالعصاة والأشرار فإذا بهم ينتكسون على أعقابهم وينغمسون فى الذنوب والمعاصى ويموتون على ذلك.. بل ومنهم من يموت على الكفر بعد الإيمان.. ومنهم من يحال بينه وبين الإيمان بسبب مصاحبة الأشرار.

وعن سعيد بن المسيبِ عن أبيه قال: «لـمَّا حضرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسولُ الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهلٍ وعبد الله بن أبى أُمَيَّةَ بن المُغيرة، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ياعمِّ قُلْ لا إله إلا اللّهُ، كلمةً أشهدُ لك بها عندَ الله»**، فقال أبو جهلٍ وعبدُ اللّه بنُ أبى أُميَّة: يا أبا طالبٍ أترغبُ عن ملَّة عبد المطَّلب؟ فلم يزل رسولُ اللّه ﷺ يَعرِضُها عليه ويُعيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالبٍ آخر ما كلَّمهم: هو على مِلَّة عبد المطَّلب، وأبى أن يقول: لا إلّه إلا الله، فقال رسولُ اللّه ﷺ: **«أما والله لأستغفرَنَّ لك ما لم أُنه عنك»**. فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

---

(١) **حسن:** رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أنس رضي الله عنه.

كانوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] ، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾»[1] [القصص: ٥٦].

السابع: مخالفة الباطن للظاهر:

فقد يكون العبد ممن يُظهر الصلاح للناس فإذا خلا بنفسه أطلق العنان لشهواته وملذاته وحارب الله بالذنوب والمعاصي.

قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨].

قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن سوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـ لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، وما سُمع بهذا، ولا علم به ـ والحمد لله ـ وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم. فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيمًا، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه، ... ويأخذ في طريقه، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته، ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ ﴾ [الحشر:١٦].

الثامن: تعلق القلب بغير الله: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، فحياة القلب في تعلقه بالله -عز وجل- وشقاء القلب في إعراض صاحبه عن الله (جل وعلا) فمن تعلق قلبه بغير الله فهذا يؤذان بسوء الخاتمة.

التاسع: سوء الظن بالله: قال ﷺ: **«إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشر»**[2]، وقال ﷺ: **«لايموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله»**[1].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني (٢٢/ ٨٩، رقم ٢١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٠٦)، وابن عساكر (٦٥/ ١١٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٥) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

فمن أساء الظن بالله واعتقد أن الله لن يرزقه حُسن الخاتمة فإن الله لن يرزقه حُسن الخاتمة لأن سوء ظنه بالله (جل وعلا) هو الذى جعله من الخاسرين.

العاشر: الإصرار على الذنوب والمعاصى:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ومن عقوباتها -أى: الذنوب والمعاصى- أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحدٍ يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره فى معاشه ومعاده إلى أن قال: هذا وثَمَّ أمرٌ أخوف من ذلك وأدهى منه وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى الله، فربما تعذَّر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرًا من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا الله... فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

الحادى عشر: نسيان الآخرة وعدم ذكر الموت: إن الذى ينسى الموت ولا يذكره يُعاقَب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة، فمن لم يذكر الموت لن يستعد له أبدًا ولذلك تجده غافلًا عن طاعة الله؛ لأن الموت لا يخطر له على بالٍ... أما الذى يذكر الموت فإنه يسارع إلى طاعة الله - عز وجل- وكأنه يموت بعد ساعة فلا تكاد تمر لحظة من حياته إلا وهو ذاكرٌ لله، دخل الحسن البصرى على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فو الله لقد رأيت مصرعًا لا أزل أعمل له حتى ألقاه.

أخى الحبيب: إن من جعل الموت نُصب عينيه بادر بالأعمال الصالحة حتى إذا وافته المنية مات على طاعة الله.

الثانى عشر الظلم: فإن الظالم إن لم يتحلل من تلك المظالم ـ بأن يرد إلى كل واحدٍ مظلمته ـ فإن الله لا يوفقه أبدًا إلى حُسن الخاتمة بل هو أقرب ما يكون لسوء الخاتمة لأن دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرًا فلو أن مسلمًا ظلم أى إنسان فقام ودعا عليه بأن يُختم له بسوء الخاتمة لاستجاب الله دعاءه قال ﷺ: «من كانت له مظلمة

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته. وإن لم تكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١]، وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[٢]، وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب»[٣]، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي[٤] للظالم فإذا أخذه لم يفلته»[٥] ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]

وقال ﷺ: «من اقتطع حق امرئٍ مسلمٍ بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: «وإن قضيبًا من أراك»[٦].

وقال ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٧].

* * *

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الطبراني (٤/ ٨٤ رقم ٣٧١٨) قال المنذري (٣/ ١٣٠) : لا بأس بإسناده في المتابعات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٧) من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) يملي: يمهل.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٣٧) كتاب الإيمان من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القبر أول منازل الآخرة

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد قال فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به قال فرفع رأسه وقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن الرجل المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن على وجوههم الشمس معهم حنوط من حنوط الجنة وكفن من كفن الجنة حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج نفسه فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ثم يخرج منها كأطيب نفحة ريح مسك وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الريح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين فى السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه فى جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول ربى الله فيقولان ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله عز وجل فآمنت به وصدقت قال فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك فهذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الذى يجئ بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يأتيه ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى

سخط من الله وغضب قال فتتفرق فى جسدها فينتزعونها لأن ومعها العصب والعروق كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذونها فيجعلونها فى تلك المسوح قال ويخرج منها كأنتن جيفة وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السابعة السفلى وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ قال: ثم تعاد روحه فى جسده قال فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى قال فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى قال فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى قال فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا من النار ويأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال ويأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك الذى يجىء بالشر قال فيقول أنا عملك الخبيث قال فيقول رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة[1].

* * *

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٨٠٦٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦) من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه.

موجبات عذاب القبر

*كأنى بملك الموت قبض روح العبد فأصبح العبد بعد أن كان فى عداد الأحياء صار فى عداد الأموات وقلنا أن موت البدن تحلل يعود البدن إلى الأرض ما كان من الأرض عاد إلى الأرض كما قال تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

*وكأن القبر يقول للعبد إذا كان والعياذ بالله معرض عن الله لقد كنت فرحا وأنت على ظهرى فسوف تصير اليوم حزينًا وانت فى بطنى كم أكلت وأنت على ظهرى من الالوان ألوان الطعام وألوان الشراب فاليوم يأكلك الدود وانت فى بطنى لقد كنت تسير على ظهرى فى الدنيا وأنت أبغض عباد الله إلى فاليوم ترى صنيعى بك فينطبق عليه القبر فيضمه ضمة تختلف فيها أضلاعة والعياذ بالله أما إذا كان مقبل على الله يقول له يا عبد الله لقد كنت أحب عباد الله إلى وأنت على ظهرى فسوف ترى صنيعى بك فينفسح له القبر مد البصر فيرى مقعده من الجنة اللهم اجعلنا منهم يارب العباد واختم لنا بخير يارب العباد ولا تجعل الدنيا ولا الشيطان ولا الأولاد يغرونا عن عبادتك يارب العالمين.

قال الإمام ابن القيم: «الأسباب التى يتعذب بها أصحاب القبور فإنهم يُعذَّبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحًا عرفته وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده. فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب ومما ينبغى أن يُعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبر أو لم يُقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ونُسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من انعذاب ما يصل إلى القبور».

*ونحن نسرد لك بمشيئة الله تعالى ما يقرب من ٢٥ سبب» نحن نعملها فى الدنيا ستكتشف أنك تعمل أشياء وتظنها بسيطة وهى توجب عذاب القبر بعد الموت اللهم

نجنا من عذاب القبر وتب علينا قبل أن نموت اللهم تب علينا توبه نصوحه خالصة ترضيك وترضى بها عنا يارب العالمين.

عذاب القبر ثابت بصريح السنة وظاهر القرآن وإجماع المسلمين:

* قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ **[التكاثر: ١-٣]**

وقال: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[الطور: ٤٧].**

وقال: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ **[السجدة: ٢١]**

وقال: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ **[غافر: ٤٥، ٤٦].**

* وعن ابن عباس عن النبى ﷺ **أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة** من القرآن **«اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»**[1].

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: بينما النبى ﷺ فى حائط بنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: **«من يعرف أصحاب هذه الأقبر»** فقال رجل: أنا قال: **«متى مات هؤلاء»** قال: ماتوا فى الإشراك فقال: **«إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا ألّا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه»** ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **«تعوذوا بالله من عذاب النار»** قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار قال: **«تعوذوا بالله من عذاب القبر»** قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر قال: **«تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»** قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: **«تعوذوا بالله من فتنة الدجال»** قالوا: نعوذ بالله من فتنة

---

[1] صحيح: رواه مسلم (٥٩٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث عبد الله عباس ﷺ.

الدجال»[١].

وعن ابن عباس ﷺ قال : مرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين فقال : «إنهما ليعذبان و ما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله»[٢].

عن عائشة ﷺ قالت: دخل على رسول الله وعندى امرأة من اليهود وهي تقول: إنكم تفتتنون في القبور، فارتاع رسول الله وقال: «إنما يفتن يهود»، قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله: «هل شعرت أنه أوحى إلى: أنكم تفتتنون في القبور؟ قالت عائشة: فسمعت رسول الله «يستعيذ من عذاب القبر»[٣].

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا فقال: «يهود تعذب في قبورها»[٤].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنا على رؤوسنا الطير ومعه عود ينكت به الأرض فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثا وذكر الحديث بطوله[٥].

وقال ﷺ: «لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ و لقد ضمَّ ضمةً ثم روخى عنه»[٦].

وقال ﷺ: «استعيذوا بالله من عذاب القبر إنهم يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث زيد بن ثابت.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢١٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث عائشة ﷺ.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٧٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٥٣) كتاب السنة، وأحمد (١٨٠٦٣)، وصححه العلامة الألباني في المشكاة (١٦٣٠).

(٦) **صحيح**: خرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٣٣٤، رقم ١٠٨٢٧)، وفي الأوسط (٦/ ٣٤٩، رقم ٦٥٩٣). قال الهيثمي (٣/ ٤٦): رجاله موثقون. وابن عساكر (١٩/ ٢٣٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٦) من حديث ابن عباس م.

لهم»(1).

• اعلم أن عذاب القبر ليس مختصًا بالكافرين ولا موقوفًا على المنافقين بل يشركهم فيه طائفة من المسلمين وكلٌّ بحسب عمله وما استوجبه بخطيئته وإن كانت النصوص المتقدمة فى عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق ومن أين لك الأمان من تلك الصفة المذمومة والأعمال المشئومة، وإنما الأعمال بالخواتيم وما ختم لك به فهو الواجب عليك واللازم والطوق فى عنقك المقيم الدائم وعذاب المسلم لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله وقد يكون عذاب المسلم فى ضمَّة القبر أو ضيقه أو صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات وبالحسرات على ما سلف له من الجهالات وبالندامات على ما مضى من الساعات أو ما شاء الله تعالى فيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم فإن أمنت ذلك العذاب الأكبر فما الذى أمنك من هذا الذى هو بالإضافة إليه عذاب أصغر فتفكر ما دام ينفعك التفكر وتخيل ما دمت ترجو ثمرة هذا التخيل إذا طرحت فى حفرة من الأرض قصيرة الطول ضيقة العرض فاشتدت بها وحشتك واستبانت غربتك وانضمت عليك ضمة كسرت أنفك وشدخت رأسك ورضت عظامك وسدت وراءك وأمامك وتحتك وفوقك وملأت ظلمة أرضك وأفقك، فيالك من قلب قد نكس!! وبدن قد هرس!! ونفس قد قصر وحبس فأردت أن تفر فلم تترك وأردت أن تستغيث فلم تملك ولا تدرى ما يدوم ولا متى تدرك أن تقعد أو تقوم، أتراك كنت مفتديا من هذا المقام بما كنت جمعت من حطام بل بما جمعه جميع الأنام من حلال وحرام بل بما لا يحصر من أضعاف ذلك ولا يحد ولا يجمع ولا يعد ولعلك يا هذا قد كنت فى الدنيا لا ترضى بمنزلك المتسع ولا بشملك المجتمع ولا تقنع برزق ربك المتدفق عليك المندفع فانظر رحمك الله لنفسك فادفع عنك جوانب هذه الحفرة ونفِّس عنك من هذه الضمة وآنس من هذه الوحشة واعمل ما وجدت سبيلا للعمل وما دمت فى فسحة ومهل، ومهِّد المضجع ووطئ لذلك المصرع

---

(1) رواه أحمد (٦/ ٣٦٢ ، رقم ٢٧٠٨٩)، وقال الهيثمى (٣/ ٥٦) : رجاله رجال الصحيح، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين

وارغب وتوسل واضرع وتذلل فلعل الإله المعبود الذى عمَّ جوده الوجود وكرمه لا محصور ولا معدود وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود سيرسل منه قطرة تغمر العرش والذرة فيصيبك منه بنصيب، ويبلك منه بذنوب، ويعمك منه بشؤبوب وقد انقطع الرجاء إلا منه وسدت الأبواب إلا عنه جلَّ وعلا وتبارك وتعالى.

* وكأنى بملك الموت قد انتزع الروح وحملك أهلك على الأعناق فبعد ما كنت فى الدنيا تعانى وتحارب وترفع قضايا وتبتز وتختلس وتنافق وتكذب وتنحرف جاءك من لا تهرب منه وما لا انفكاك منه ولا هروب وإنما العبد الذليل والرب الجليل، العبد الضعيف والرب اللطيف، العبد الفقير والرب الغنى سبحان الله لا ملجأ من الله إلا إليه فيتذكر الإنسان ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣].

يا ليت الدنيا لم تغرنى ولا الأولاد ظللت آتيتهم بمال من حلال ومن حرام لأمتعهم ولا الزوجة التى كانت تكلفنى فوق الطاقة أخى وأختى وخالى وعمى الذين قطعتهم أذهب لأزورهم لأن الشيطان الذى غرنى بالله عز وجل وقطعنى عن أهلى وعن أحبابى وعن أقاربى وعن إخوانى وعن المسلمين الذين أمرنى الله أن أصلهم كل هذا الكلام كله ينكشف لك فى الدنيا قد يضيق صدرك بأمور شتى تتضايق العيال يتخرجوا ولم يشتغلوا قلة ذات اليد ولا أدرى ما هذه الهموم كلها، ما من همٍّ أنزلته بالله الا وزال وما من هم أنزلته بالناس إلا وزاد وارب العباد لا إله إلا الله ما من همٍّ تنزله بالله الا ويزول ينتهى لأنك أنزلته بمن يقول للشيء كن فيكون يزول واذا انزلت الهم بالناس مازادك الناس الا غما يزيد الهم يزيد تنزل الهم بالناس يزودوك هم على همك ويزودوك غم على غمك ويزودوك بؤس على بؤسك ويزودوك كآبه على اكتئابك سبحان الله لكن إن أنزلت الأمر بالله قل: اللهم اشرح لى صدرى رب يسر لى أمرى رب وفِّقنى رب أذهب عنى بلاء الدنيا وابتلاءاتها ربنا أقرب إليك من حبل الوريد ولذلك المؤمن كالنحلة المؤمن لما تمشى معه مثل النحلة إن أكل أكل طيبا وإن أطعم أطعم طيبًا وإن وقف على عود لا يخدشه ولا يكسره انت مثل النحلة تأكل تاكل حلال تؤكل أولادك تأكلهم حلال يقول الحبيب: «إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا»(١).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة ﷺ.

تجلس الجلسة تخرج منها خفيف الظل بحسنات وليس بذنوب: يقول منصور بن عبد الله أحد تابعى التابعين مات أباه رآه فى الرؤيا يريد أن يطمئن على أبيه قال: الليلة التى مات بها قال يا أبت ماذا صنع الله بك؟ ربنا ماذا فعل بك قال: يا بنى سألنى يا منصور بم جئت؟ أنت جئت بماذا معك؟ قال: يارب جئتك بستٍّ وثلاثين حجة قال: ما قبلتُ واحدة منها الناس الذين يأخذون أموال الناس ويقولون لك: أنا أذهب أحج كل عام قل له: يقول الحبيب: «إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا».

لن أقبل ولا واحدة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا أحد يسأل ربنا أنت هذا لم تقبل؟ لا يسأل، بم جئتنى يا منصور؟ قال: جئتك بثلاثة آلاف ختمة وستين عملت بثلاثة آلاف وستين ختمة قرآن انظر ختم القرآن كم مرة؟ قال: ما قبلت واحدة منها؟ يا منصور بم جئتنى؟ منصور هذا كان رجل صالح قال: يارب جئتك بك وقال: قد جئتنى فغفرت لك أنا جئت إليك أنت بقى لا عمل ولا غير عمل أنت صاحب الفضل إن قبل فتكرما وإن رد فعدلا يعنى ربنا لو تكرم علينا وغفر لنا هذا يبقى ايه؟ بعملنا أم بكرمه ؟ بكرمه يا كريم أكرمنا يارب العباد يارب اكرمنا ولا تهنَّا يارب يعنى ربنا تعطف علينا برحمته وبكرمه سوف يقبل سوف يقبل ماذا قال له سيدنا عطاء بن رباح لما أفاض من عرفات وأخذته سنة عند المشعر الحرام «المزدلفة» لم الجمرات وجلس قبل الفجر أخذته سنة من النوم رأى فى الرؤيا ملكين انظر رؤى الصالحين حتى؟ اللهم ألحقنا بهم يارب قال ملك كم حج البيت هذا العام ؟ هذه السنة كم عدد الحجاج ؟ قال: ستمائة ألف قال: وكم قبل ربنا منهم ؟ حجة كم واحد مقبوله ؟ قال ما قبل الا ستة قام سيدنا عطاء مرعوبًا فى ذعر نحن للأسف الشديد لو رأى أحد منا هذه الرؤيا يمنى نفسه ويقول أنا من الستة أنا على خير الصالح لايفعل هكذا الصالح هو الذى يقول هكذا من اتهم نفسه يبقى هو الذى يمشى فى الخط مايزال الرجل يتعلم ويتعلم فإن ظن أنه علم فقد بدأ يجهل الواحد يقول: أنا عالم أنا فاهم أنا عارف وهذه لهجة غالب المسلمين فى بقاع الأرض أنا فأهمها قبل أن تطير وبالذات فى الدين حتى النساء يفتوا فى الدين أيضًا حلال وحرام قام سيدنا عطاء مرعوب من الرؤيا قال: ستة من ستمائة ألف قال لأخواننا الذين حوله الآلاف محيطه بعطاء لأن هذا صاحب

الحسن البصري يا جماعة قال: احفظ في الدعاء في أيام الحج بقى أيام منى بقى أجارو الى الله بالدعاء قوى الملك بيقول للثانى: كم حج البيت هذا العام ؟ قال: ستمائة ألف قال: ما قبل الله منهم؟ كم واحد المقبولين قال: ما قبل الله إلا ستة قال: ولكن هذا قليل قال: ولكن ربنا الكريم أعطى مع كل واحد من الستة مائة ألف و هذا تكرم منه أم عدل لا هذا تكرم يبقى الكريم لما يعطى لا يمن مع أن له المن فى الأولى والآخرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

إذن المسلم يأخذ باله من الكلام: لأننا كنا نقرأ فى الاعراف ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

المجرم ولن يدخل الجنه ربنا قال حتى ماذا ؟ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وبما أن الجمل لن يدخل فى ثقب الابرة إذن لن يدخل الكافر الجنة ربنا يدخلنا واياكم بدون سابقة عذاب إذًا الذنوب نوعان نوع أحاسب عليه فى القبر، ونوع أحاسب عليه أمام الله يوم القيامة إما ان ربنا تكرمًا وتعطفًا ومنه وفضلًا يعفو وقد علمنا الرجل الذى استشهد فى إحدى الغزوات فالصحابة يمشون بجواره شهيد هنيئًا له الشهادة يا رسول الله فقال الحبيب ﷺ: **«كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلَّها أو عباءة»**[1] إن هذا شهيد يا حبيب الله ؟ لماذا يارسول الله قال: من أجل بردة قد غلَّها بدون وجه حقٍّ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]

يسوقونهم مثل البهائم التى مربوط فيها أو الحبل - القيد - الذى يقودون به الجاموسة والبقرة والحيوانات السائمة أعزكم الله رب العالمين اللهم أحسن لنا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

نحتاج يارب العالمين أغلب عذاب امه محمد ﷺ ربنا سيخلصه لهم فى القبر الموضوع ليس سهلًا الموضوع أيضا ليس سهل يعنى ليس معنى أنه سيخلص لى العذاب فى القبر لان القبر حاجة من اثنين ليس ثلاثة إما روضة من رياض الجنة كما علمنا وعلمنا الشارع الحكيم أو حفرة من حفرة النار.

من أسباب عذاب القبر:

الشرك بالله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

فهو أعظم أسباب عذاب القبر - الإشراك بالله -.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ﴾

[الأنعام: ٩٣]

وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تُخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

وقال تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ [غافر: ٤٦].

فالمراد بالنار هنا عذاب القبر ونيرانه؛ لأن الله -عز وجل- قال بعدها: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

وعن أبى أيوب قال: خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا فقال: **«يهودٌ تُعذَّب فى قبورها»**(١) .

النفاق

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾[النساء: ١٤٥] .

إن المنافقين أشدُّ خطرًا على الإسلام من الكفار الذين يجهرون بعداوتهم للإسلام وأهله... فهم الذين يُشعلون نار الفتنة بين المسلمين ويهدمون جدار الإسلام - باسم الإسلام - ولذلك فإن الله يُشعل قبورهم نارًا كما أشعلوا نيران الفتنة بين المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[التوبة: ١٠١] .

أما قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال قتادة والربيع بن أنس: إحداهما في الدنيا والآخرة هي عذاب القبر.

وقال ﷺ: «.. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولًا، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا،حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[1] .

التثاقل عن الصلاة المكتوبة

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون: ٤، ٥] .

الذى تتثاقل رأسه عن الصلاة المكتوبة وخاصة صلاة الصبح؛ لأنها امتحان للمؤمنين الصادقين وقد بين ذلك الحبيب ﷺ فقال: **«إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[2] .**

وكما فى حديث الرؤيا: «أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ[3] رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه[4] وينام عن الصلاة المكتوبة»[5] إن الملائكة تأتى لإنسان

---

(١) **حسن:** رواه الترمذى (١٠٧١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٤) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **يثلغ:** يكسر.

(٤) **فيرفضه:** يترك حفظه والعمل به.

(٥) **صحيح:** رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

ـضرب رأسه بالحجارة والرأس تتفتت - تتقسم اجزاء - تتكسر وبعدين يذهبوا يجمعوها له ثانى وتتكسر ويجمعوها له تانى إلى أن تقوم الساعة هذا من بقى؟ هذا سبحان الله الانسان المسلم المسلم الذى يدعى الاسلام ولكن لما يسمع الاذان يثقل شوية نصف ساعة لسه بدرى العشاء ممدودة الدنيا ما طارت لأ الدنيا طارت من قال: لك الدنيا ما طارت؟ إنه بين لحظة وأخرى تقوم ساعة العبد بين لحظة وأخرى قيامة العبد الصغرى تقوم يعنى وأنت تظلم تقوم قيامتك تقوم تموت يعنى يعنى تموت وأنت تظلم فتبعث وأنت ظالم يوم القيامة يبقى المتثاقل رأسه عن الصلاة المكتوبة يعنى هذا وهو يصلى ولكنه يؤخرها عن وقتها كل صلاة يعنى يصلى الصبح الساعة عشرة الصبح تكون الشمس طلعت يصلى الظهر الساعة اربعة وثلث يصلى العصر الساعة سبعة وربع يصلى المغرب الساعة تسعة قبل الوقت الثانى بخمس دقائق قال ﷺ هو يصف المنافقين المنافقين وقد وصفها لنا الحبيب ﷺ فقال: **«تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»**[1].

* من اليوم إن شاء الله سوف أصلى فى أول الوقت يسأل سائل هل أقضى الدين عن أبى نقول له: نعم هل أدعو له نقول له: نعم هل أتصدق عنه نقول له: نعم هل أحج وأعتمر عنه نقول له: نعم هل أصلى له نقول له: لا لأن الصلاة عبادة تخص العبد نفسه لذلك التثاقل عن الصلاة المكتوبة من أسباب عذاب القبر أنا أريد أن تجرب الليلة هذه أيقظ زوجتك لصلاة الصبح تقول لها لما تعود إلى البيت يا فلانة سوف أوقظك لصلاة الصبح خلى بالك لا تسهرى أمام التليفزيون إن لم تقومى سأحضر مياهًا من الثلاجة وأنضح فى وجهك هكذا امرنا الحبيب المصطفى ﷺ والعكس صحيح أيضا المرأة الصالحة تقول لزوجها خلى بالك سوف أوقظك لصلاة الصبح إن لم تستيقظ ساحضر مياه من الثلاجة وأنضح فى وجهك لذلك قال الحبيب ﷺ: **«رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى و أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت و أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



فى وجهه الماء»[١].

الكذب

قال ﷺ: «.... وإن الرجل ليكذب...».

واعلم أن كثيرًا من المسلمين يقع فى الكذب ويسمى الكذب بغير اسمه يسميه «كذب أبيض» وليس فى الإسلام كذب أبيض بل ومنهم من يخدع نفسه ويسمى المحرمات بغير اسمها فكل شئ عنده له مسمى يسمى لك مثلا المشروبات المحرمة مثل الخمر التى حرمه الله يسميه مشروبات روحية يسمى لك الفن والخلاعه يسمية فن الرقص، والعرى فن الباليه تكون البنت عارية كما ولدتها أمها إلا مما يستر شىء من الجسم وهذا بسبب الجهل بدين الله عز وجل فنقول للأب وللبنت هذا يسمى العرى والخلاغة والفوضى ولو واحدة غطت جسمها وعملت خمار واسع او لبست جلباب لا ترى أنها سمينة أو رفيعة أو كيفية او شكلها إيه وغطت وجهها وانتقبت يقول لك هذه متطرفة ويسمى لك الربا فوائد واستثمار وارباح انا أقول له لا انت تسميها خسائر ومصائب وجهنم لو يعطينى المسميات اسميها له اقول له هكذا أقول له: هذه خسائر وليست أرباح هذه مصائب وليست استثمارًا هذه جهنم وليست فلوسًا لكن هو يسميها مسميات سبحان الله يبقى إذن الكذب لا كذب أبيض ولا كذب أسود ولا يباح الكذب إلا فى مواطن رخص فيها الحبيب ﷺ **«فى الحرب وفى الإصلاح بين الناس وقول الرجل لامرأته.** وفى رواية : **«وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»**[٢]، وقال ﷺ: **«ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرًا أو يقول خيرًا»**[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٠٨) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٦١٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٩٤) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢٦٧٣٤)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٤٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٦٩٢) كتاب الصلح، ومسلم (٢٦٠٥) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها.

آكل الربا

قال تعالى: ﴿...كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ...﴾ [البقرة: ٢٧٥].

سيدنا الحبيب ﷺ رأى -والعياذ بالله- السابحين فى أنهار الدم من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكله الربا درهم واحد من دراهم الربا يعنى لا يكمل خمسة قروش حجة لا تشترى شيئًا درهم واحد أشد عند الله من ستٍّ وثلاثين زنية درهم واحد لما مجتمع بأكمله يقوم على نظام الربا يكون الحل ماذا؟ نسأل الله الرحمة سوف يأتى زمان على أمتى من لم يتعامل بالربا أصابه غباره غبارة يعنى مرتبك داخل فيه جزء من ضريبة الملاهى وضريبة صالات القمار وضريبة الخمور ولعلمك الخمر فيه جزء لم يزد عليه ١٠ ٪ ضريبة مبيعات لكى تكون فاهم من ضمن أنا لن أخوض فى الحديث عن الربا لان الحديث يدمى قلبى ولو دخلت فى الربا الحلقة ضاعت ندعو الله سبحانه وتعالى ان يتوب علينا وعليكم من الربا صغيرة وكبيرة قليلة وكثيرة يارب العالمين .

وفى الحديث السابق أيضًا: «... فانطلقنا فأتينا على نهر حسبتُ أنه كان يقولُ أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجلٌ سابحٌ يسبح، وإذا على شط النهر رجلٌ قد جمع عندهُ حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحُ، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عندهُ الحجارة فيفغر - أى يفتح - له فاه فُيلقمه حجرًا فينطلق يسبح ثم يرجعُ إليه، كلما رجَعَ إليه فَغَرَ فاهُ فألقمه حجرًا...».

وفى آخر الحديث: «وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا».

الزنا والتبرج

قال تعالى: ﴿...إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢ ...﴾ [النساء: ٢٢].

فمن موجبات عذاب القبر الزنا والتبرج والسفور ومن يرى شيئًا من جسدها أو شعرها أجنبى والأجنبى كما اتفقنا كل من يحل له ان يتزوج بها ومنهم ابن عمها وابن خالها وابن خالتها وجارها وابن جارها وصاحب البيت والبواب والسائق والطباخ وكل الذين يتعاملون معها وتراهم المرأة وشعرها مكشوف وتقول لك هذا ليس

غريبًا هذا السائق هذا ليس غريبًا هذا الطباخ هذا البواب.

وفى الحديث السابق كذلك: «... فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسبُ أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراة، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا....» ـ أى صاحوا ـ.

وفى آخر الحديث: «وأما الرجال والنساء العُراة الذين هم فى مثل بناء التنور فإنهم الزُناة والزوانى»[1].

وفى حديث آخر: «......ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[2].

عدم الإستبراء من البول

والمشى بين الناس بالنميمة

* وقد ذكر بعض العلماء السرَّ فى تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع فى يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصى التى يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حقٌّ لله، وحقٌّ لعباده، وأول ما يُقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله: الصلاة، ومن حقوق العباد: الدماء.

* وأما البرْزخ فيقضى فيه فى مقدمات هذين الحقين، ووسائلهما.

فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء: النميمة، والوقيعة فى الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فيبدأ فى البرزخ بالمحاسبة، والعقاب عليهما.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبى ﷺ بحائط ـ أى بستان ـ من حيطان المدينة فسمعَ صوت إنسانين يُعذبان فى قبورهما، فقال النبى ﷺ: **«إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان فى**

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

كبير»، ثم قال: «بلى وإنهُ لكبير كان أحدهُما لا يستتر من بوله: وفى رواية: البول، وكان الآخر يمشى بالنميمة، ثم دعا بجريدة رطبة، وفى رواية: بعسيب رطب فكسرها كسرتين، وفى الرواية: فشقها نصفين، فوضع على كل قبر منهما كسرةً، فقيل له:يا رسول الله لِمَ فعلت هذا؟ قالﷺ : «لعلهُ أن يُخففَ عنهما ما لم ييبسا»[١] .

● وقالﷺ : «إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه»[٢] .

إيذاء الناس باللسان

قال تعالى: ﴿...وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ...﴾[الحجرات: ١٢] .

وإيذاء الناس باللسان يكون بالسب واللعن والكذب والاستهزاء والسخرية والقذف والفحش والغيبة وغيرها.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال كنا نمشى مع رسول اللهﷺ فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى رعد كمُّ قميصه فقلنا: ما لك يا رسول الله فقال: «أما تسمعون ما أسمع فقلنا وما ذاك يا نبى الله قال هذان رجلان يعذبان فى قبورهما عذابا شديدا فى ذنب هين قلنا فيم ذلك قال كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشى بينهم بالنميمة»[٣] .

الدَّين

قال تعالى: ﴿....بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ....﴾[البقرة: ٢٨٢] .

فالميت قد يُحبس فى قبره بسبب الدَّين ولذلك يجب على كل مسلمٍ أن يردَّ إلى الناس حقوقهم قبل أن يترك الدنيا بكل ما فيها ويذوق العذاب الأليم بسبب تلك

---

(١) **صحيح:** وقد تقدم.

(٢) **صحيح:** أخرجه عبد بن حميد (ص ٢١٥ ، رقم ٦٤٢) ، والبزار كما فى مجمع الزوائد (١/ ٢٠٧) ، والطبرانى (١١/ ٧٩ ، رقم ١١١٠٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح:** رواه ابن حبان فى صحيحه (٣/ ١٠٦، رقم: ٨٢٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

المظالم.

* عن جابر بن عبد الله قال: «توفى رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به النبى ﷺ ليصلى عليه فخطّ خطًا، ثم قال: «هل عليه دَيْن؟». قلنا: نعم. قال: «صلوا على صاحبكم»، فقال أبو قتادة: يا رسول الله دينه علىَّ؟، فقال النبى ﷺ: «هما عليك حق وبرئ الميت؟»، قال: نعم. فصلى عليه، ثم لقيه فى الغد فقال: «ما فعل الديناران؟». فقال: يا رسول الله إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «ما فعل الديناران؟»، فقال يا رسول الله قد قضيتهما. فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»[1].

* وعن سعد بن الأطول رضي الله عنه: «أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالًا، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لى نبى الله ﷺ: «إن أخاك محبوس بدَينه، فاذهب فاقض عنه»، فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت، قلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال: «أعطها فإنها محقة» وفى رواية «صادقة»[2].

الغلول من الغنيمة

الغلول: هو أن يأخذ الغازى شيئًا من الغنيمة دون عرضه على ولى الأمر لقسمته.

قال ﷺ فى الرجل الذى أخذ الغلول: «والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا»[3]. - أى فى قبره.

الإعراض عن ذكر الله

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٤١٢٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٧٧٦)، وصححه العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (١/ ١٥) من حديث سعد ابن الأطول رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢٣٤) كتاب المغازى، ومسلم (١١٥) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

عن أبي سعيد في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «يُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عذاب القبر».

وقال الإمام ابن القيم في الداء والدواء: وفُسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك. ـ والآية تتناول ما هو أعمّ منه.

النياحة على الميت

وهذا العذاب يكون لمن أوصى أهله بالنياحة عليه بعد موته أو لمن لم يوص أهله بترك النياحة مع علمه أنهم سيفعلون ذلك.. أما من أوصى بترك النياحة فلما مات لم يتركوا النياحة عليه فهذا لا شيء عليه.

قال ﷺ: «إن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه» (١).

وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» (٢).

وقال ﷺ: «الميت يُعذَّب في قبره بما نيح عليه» (٣).

والمقصود بالبكاء المذكور في الحديث الأول هو النياحة المذكورة في الحديث الثاني، وذلك لأن مجرد البكاء لا شيء فيه بالنسبة للميت وأهله لأن البكاء رقة في القلب تظهر بوضوح عند الموت وفراق الأحبة... ولقد بكى النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم وعند موت بعض أصحابه ﷺ وعن إبراهيم.

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٧) كتاب الجنائز من حديث عبد الله ابن عمر ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤) كتاب الجنائز من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٩٢) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٧) كتاب الجنائز من حديث عمر ﷺ.

قاطع الطريق

من ضمن موجبات عذاب القبر وعذاب جهنم يوم القيامة قاطع الطريق الذى يقطع على الناس الطريق بالليل فهذا من الواجب أن يطبق عليه الحد وإذا أقيمت الحدود قل الشر جدًّا وارتدع كلٌّ من تسوِّل له نفسه فى ارتكاب المحرم لأنه يعرف أنه ستقطع يده أو يده ورجله من خلاف أو يرجم أو يقتل أو ينفى أو يجلد فتطبيق الشرع يحصل بسببه خير كثير لأن الذى شرعه هو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى وهو أعلم بعباده وبما يصلحهم، وكما قال الحبيب ﷺ: **«الحدُّ يقام فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا»**[1] فقاطع الطريق تقطع يده ورجله من خلاف ذراعه اليمين مع رجله الشمال أو يصلب أو ينفى من الأرض هذا عقاب قاطع الطريق الذى هو حد الحرابة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡىٌ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] وكذلك الذى يروِّج المخدرات والذى يجلب أنواع المخدرات لأنه يدخل السجن ثم يخرج وقد ازداد شرًّا إلا من رحم الله فكل هؤلاء يجب ان يطبق عليهم حد الحرابة لأن هؤلاء من المفسدين فى الارض لأنه يدمر شباب الأمة.

الخائن للأمانة

قال ﷺ: «.... وإذا أؤتمن خان...».

من ضمن موجبات عذاب القبر الخائن للأمانة فالأمانة كلمة كبيرة فالوضوء أمانة عندما لا أتوضأ جيدًا أكون خائنًا للأمانة الصلاة أمانة عندما لا أتم الصلاة جيدًا أكون خائنًا للأمانة العمل الذى أعمله أمانة إذا لم أعمله بما يرضى الله تكون خائنًا للأمانة معاملة الزوجة كما يحب الله أمانة ومعاملة الزوجة لزوجها كما يحب الله أمانة فإن قصَّرتكون خائنًا للأمانة المرأة التى تخرج أسرار البيت والرجل الذى يخرج

---

(١) حسن لغيره: أخرجه ابن حبان (١٠/ ٢٤٤ ، رقم ٤٣٩٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٥٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ـلو بيته هذه خيانة للأمانة الذى يأكل أموال الناس خائن للأمانة سبحان الله الذى يحنث على سر تذهب تفشى سر صاحبك هذه خيانة للأمانة الموضوع كبير وخطير ونحن نعيش فى ابتلاءات فعلى كل واحد أن يحاسب نفسه ويتقى الله فى نفسه وفى همه.

بذيء اللسان

من موجبات عذاب النار والقبر: الفاحش فى قوله بذئ اللسان، وهذا الأمر منتشر جدًّا بين المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد حذر من ذلك الحبيب ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة و ما يرى أنها تبلغ حيث بلغت يهوى بها فى النار سبعين خريفًا»[1].

فعلى كل مسلم إذا تكلم لا يتكلم إلا بخير وقد حذر الرسول ﷺ من اللسان قال: «.......... كف عليك هذا - و أشار إلى لسانه - قال: يا نبى الله ! و إنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: ثكلتك[2] أمك يا معاذ ! و هل يكب النَّاسَ فى النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم»[3]. وذكر عن عيسى عليه السلام أنه مرَّ مع الحواريين على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا فقال عيسى عليه السلام: ما أشدَّ بياض أسنانِه يعظهم وينهاهم عن الغيبة.

* ولذلك إذا نظرت لحال الحبيب ﷺ: يقول أنس بن مالك ﷺ: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعَّانًا ولا سبَّابًا كان يقول عند المعاتبة: «ما له ترب جبينه». وتقول عائشة أم المؤمنين ﷺ: دخل يهودٌ على رسول الله ﷺ، فقال: السام عليك يا محمد فقال النبى ﷺ: «وعليك»، فقالت عائشة: فهممت أن أتكلم، فعلمت كراهية النبى ﷺ لذلك، فسكت. ثم دخل آخر، فقال: السام عليك فقال: «عليك»، فهممت أن

---

[1] صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨) من حديث أبى هريرة ﷺ..

[2] الثكل: من فقدت ولدها، وثكلتك أمك: دعاء بالفقد والمراد به التعجب.

[3] صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٦) من حديث معاذ ﷺ..

أتكلم ، فعلمت كراهية النبى ﷺ لذلك، ثم دخل الثالث فقال . السام عليك ، فلم أصبر حتى قلت : و عليك السام وغضب الله ولعنته إخوان القردة و الخنازير ! أتحيون رسول الله بما لم يحيه الله؟ ! فقال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يحب الفحش و لا التفحش ، قالوا قولا فرددنا عليهم»(١) .

* وقد قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

القول على الله بغير علم

وهذه مصيبة المسلمين فقد قيل: أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، وقيل: من قال الله أعلم فقد أفتى، وهذا الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة يُسأل عن أربعين مسألة فيجيب عن ستِّ مسائل فقط منها، وقال فى الباقى: لا أعلم. وهو يقول: أقول الله أعلم وأدخل الجنة خير من أن أفتى بغير علم وأدخل النار.

وعلى سبيل الإجمال فموجبات عذاب القبر كثيرة:

فالنمام والكذّاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصنة والداعى إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف فى كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامى ظلمًا، وآكل السحت من الرشوة، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة «الحشيش»، والزانى، واللُّوطى، والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذى المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتى بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التى حرم الله، والملحد فى حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونوَّاحى جهنم

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٥٠٨)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٩١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون فى استيفاء مالهم إذا أخذوا، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللّمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفُحشه، والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلًا، ولا يؤدى زكاة ماله طيبةً بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدى الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة. ولا يبالى بما حصَّل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم، بل يدعُّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائى العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب،... ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات. وفى باطنها الدواهى والبليات. تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها.... والله المستعان.

* * *



المنجيات من عذاب القبر

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله-: فى كتاب الروح.

فجوابها من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فهو تجنب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعةً يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلًا للعمل مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

أما الجواب المُفصَّل: فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجى من عذاب القبر[1].

الإيمان والتقوى والعمل الصالح

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

ففى تلك الآيات وعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم مخرجًا من كل ضيق، وليس هناك شدة ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخول القبر.

فمن كان فى الدنيا تقيًا فإن الفرَج والمخرج يكون له ثوابًا فى قبره...

الإستقامة على طاعة الله - جل وعلا -:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) الروح (١/ ٧٩).

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤] .

فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيءٍ مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على الطاعة مخلصًا لله ومتبعًا لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينوِر الله له قبره بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضةً من رياض الجنة جزاءً لكل لحظة عاشها فى طاعة الله -جل وعلا-.

الرباط فى سبيل الله

قال رسول الله: «رباطُ يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتن»(١) .

والرباط : الملازمة فى سبيل الله لثغر من ثغور المسلمين، فأما سكان الثغور المقيمون دائمًا بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك، فهم وإن كانوا حماةً فليسوا بمرابطين.

الشهيد فى سبيل الله

قال رسول الله: «للشهيد عند الله ستُّ خصال: يغفر له فى أول دفعة،ويرى مقعده من الجنة،ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر،ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها،ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه»(٢) .

وهذا الشهيد هو من توافرت فيه الشروط وهى: أن يموت فى قتال الكفار تحت راية قائد مسلم لإعلاء كلمة الله.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة من حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥) من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

بل قال رجلٌ للحبيب ﷺ: «يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رَأسه فتنة»[١].

قال الشيخ الألبانى: تُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد فى المعركة بدليل قوله ﷺ: **«منْ سأل الله الشهادة بصدق، بلغهُ الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»**[٢].

من مات شهيدًا فى غير حرب

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأن هناك شهداء غير الذين يُقتلون فى سبيل الله... ولقد علمنا أن الشهيد يُجار من فتنة وعذاب القبر.

قال ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد. قال: **«إن شهداء أمتى إذًا لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، ومن مات فى البطن فهو شهيد»**[٣].

وقال ﷺ: «من فصل فى سبيل الله فمات أو قُتل أو رفسته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات فى فراشه بأى حتفٍ شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة»[٤].

وقال ﷺ: «من قتله بطنه لم يُعذَّب فى قبره»[٥].

والموت بداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الإسهال. وقيل الذى يشتكى بطنه.

وقال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»[٦].

---

(١) **صحيح:** رواه النسائى (٢٠٥٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٨٣).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمارة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) **حسن:** رواه أبو داود (٢٤٩٩) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤١٣) من حديث أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه.

(٥) **صحيح:** رواه الترمذى (١٠٦٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٦١) من حديث خالد بن عرفطة وسليمان بن صرد رضي الله عنهما.

(٦) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٨٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٦) كتاب الإمارة من حديث=

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»(١).

وقال ﷺ: «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد»(٢).

وقال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»(٣).

فكل هؤلاء الذين ذكرهم الحبيب ﷺ شهداء... والشهداء هم الذين أكرمهم الحق -جل وعلا- فى الدنيا بنعمة الشهادة وفى القبر بالنعيم والنجاة من الفتنة والعذاب... وفى الآخرة بالخلود فى الجنان مع الأحباب.

قراءة سورة الملك

قال ﷺ: «إن سورةً من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له و هى : ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾»(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى الرجل فى قبره فتؤتى رجلاه فتقول ليس لكم علىَّ ما قِبلى سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قِبل صدره أو قال: بطنه فيقول: ليس لكم علىَّ ما قبلى سبيل كان يقرأ فى سورة الملك، ثم يؤتى من قِبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ فى سورة الملك فهى المانعة تمنع عذاب

=أنس رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٨٠) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٤١) كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه النسائى (٤٠٩٦) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٧) من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مالك (١ / ٢٣٢ - ٢٣٣)، وأبو داود (٢ / ٢٦)، والنسائى (١ / ٢٦١)، وصححه العلامة الألبانى فى أحكام الجنائز (١/ ٣٩) من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألبانى فى المشكاة (٢١٥٣).

القبر وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب.

الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة

قال ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر» [(١)].

* * *

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

علامات الساعة الصغرى

إذا ظهرت علامات الساعة الصغرى فما زالت هناك فسحة حتى يعود المذنب وحتى يتوب العاصي وحتى يقلع المنحرف ويعود إلى الرحاب ويسترشد الضال لكن إذا ظهرت أول علامة من علامات الساعة الكبرى فقد أغلق باب القبول وأغلقت باب التوبة كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد ظهرت علامات الساعة الصغرى فنسأل الله السلامة، إذًا لم يبق إلا ظهور علامات الساعة الكبرى، والعبد -كما قلنا-: إذا مات قامت قيامتة وعالم البرزخ عالم لا يعلمه إلا الله هنا يدخل الإنسان أول منازل أو مدارك الآخرة يقول عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] ويقول تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨] يخبر تعالى أن الساعة وهى القيامة اقتربت وآن أوانها، وحان وقت مجيئها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١] ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها، ويريهم الله من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أبى قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة فى العالم العلوى، التى لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل، فشاهدوا أمرًا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعا، واتبعوا محمدًا ﷺ، فالمصدق يتقلب فى جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب فى سخط

الله وعذابه، خالدًا مخلدًا أبدًا.

بعثة الحبيب المصطفى ﷺ

قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[1] وضم السبابة والوسطى لأن الحبيب ﷺ هو آخر الأنبياء وأمته هى آخر الأمم وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [النازعات: ٤٢، ٤٣] أى يسألون الرسول ﷺ يعنى ماذا يعنى متى ستأتى وهذه الآية علماء القراءات علمونا جزاهم الله خيرا قالوا هذه اسمها هاء ساكنة هى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ يجوز أن تقول (فيمه) وتسكت تقول: (فيمه أنت من ذكراها) أى: أنت علامة من علامات الساعة يا محمد لماذا لأننا نحن آخر الأمم .. والرسول الحبيب ﷺ آخر الرسل لا أمة بعدنا ولا رسول بعد سيدنا محمد ﷺ وربما يسأل سائل يقول هذا الكلام منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة ولم يحدث .أين قول النبى ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فنقول له الأيام ليست بأيامك يابطل.. الأيام ليست بأيامك أنت ولكن الأيام بأيام الله قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧] فيكون من ألف وخمسمائة سنة لنا كم يوم فى الدنيا يوم ونصف يعنى نقضى لك فى الدنيا أسبوع أسبوعين ثلاثة أسابيع انظر بقى انظر نحن لنا يوم ونصف من ساعة بعثة الحبيب المصطفى طيب قضينا أسبوع ..هذه سبعة آلاف سنة قضينا شهرًا ..هذه ثلاثين ألف سنة صحيح أم لا فالأيام ليست بأيامك أنت ..إذًا أول علامة من علامات الساعة بعثة الحبيب المصطفى ﷺ.

موت النبى ﷺ

قال ﷺ: «اعدد ستًا بين يدى الساعة : موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٥٠٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»[(١)].

فموت النبى ﷺ من أشراط الساعة.. فبموته انقطع الوحى من السماء وارتد الكثير من قبائل العرب وظهرت الفتن، وأظلمت الدنيا فى عيون أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

ظهور الفتن

قال ﷺ: «إن بين يدى الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشى، والماشى فيها خيرٌ من الساعى، فكسِّروا قسيَّكُم، وقطِّعوا أوتارَكُم، واضْربوا بسيوفِكُمُ الحجارةَ؛ فإن دُخِل على أحدكُم؛ فليكن كخيرِ ابنى آدم»[(٢)].

ولقد حذرنا النبى ﷺ من تلك الفتن وأمرنا بالتعوذ منها، فقال ﷺ: «تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[(٣)].

أن تلد الأمة ربتها

ونحن نحفظ حديث جبريل عليه السلام عندما جاء إلى الرسول ﷺ كما يقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا» قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرنى عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال صدقت قال: فأخبرنى عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣١٧٦) كتاب الجزية من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٥٩) كتاب الفتن والملاحم، وابن ماجه (٣٩٦١) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٤٩) من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرنى عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرنى عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت : الله ورسوله أعلم قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

فهو إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فإن ولدها من سيِّدها بمنزلة سيِّدها وقيل: معناه أن الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته.

وقيل: أن يكثر العقوق فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من القسوة والضرب...(وكذلك الأم بعد أن كانت هى المطاعة فى البيت أصبحت البنت هى التى تحكم عليها وهى التى تسير البيت) أو أن يبيع السادة أمهات أولادهم فيتداولونهم إلى أن يشترى الولد أمه وهو لا يعرفها.

تطاول رعاء الشاة فى البنيان

أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون فى البنيان وهذا كله بسبب حُب الدنيا والتنافس عليها حتى وصل الأمر إلى أن الناس يتفاخرون فيما بينهم بتطاول البنيان وزخرفته، وغير ذلك من حظوظ الدنيا الفانية.

انتشار الشرك فى الأمة

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد الأوثان...» [2].

وما زال الشرك يزداد فى الأمة شيئًا فشيئًا حتى وقع الكثير من أبناء الأمة المسلمة فى الشرك الأكبر، فضلًا عن الشرك الأصغر الذى قضى على الأخضر واليابس.. فنسأل الله أن يرد الأمة إليه وإلى توحيده ردًا جميلًا.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥٢) كتاب الفتن والملاحم، والترمذى (٢٢١٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٧٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

اتخاذ المساجد طرقًا

قال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلى فيه ركعتين» (١).

وهذا ليس فيه تعظيم لشعائر الله، فالمساجد ما جُعلت لمرور الناس من خلالها، وإنما جُعلت للعبادة.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل وصل الأمر فى كثير من بلدان المسلمين أن أصبحت المساجد آثارًا سياحية يدخلها الكفار ونساؤهم كاسيات عاريات.. بل وربما تتعطل الصلاة حتى تنتهى تلك الزيارة.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فتح بيت المقدس

قال ﷺ: «اعدُد ستًا بين يدى الساعة ـ وذكر منها ـ فتح بيت المقدس» (٢).

وكان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

طاعون عمواس

قال ﷺ: «اعدُد ستًا بين يدى الساعة ـ وذكر منها ـ ثم مَوَتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم» (٣).

الموتان هو: الموت الكثير.

والقعاص هو داء يصيب الدواب فتموت فجأة.

وكان هذا الطاعون قد ظهر فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ومات فيه خمسة وعشرون ألفًا من بينهم أبوعبيدة عامر بن الجَّراح.. أمين هذه الأمة.

ضياع الأمانة

فعن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى (٩/ ٢٩٦، رقم ٩٤٨٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[١].

أن تجد أسعد الناس بالدنيا .. لكع ابن لكع

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع ابن لُكع»[٢].

واللكع هو صغير العلم والعقل، وكذلك تُطلق على اللئيم.

بل قال ﷺ: **«سيأتى على الناس سنوات خدّاعات يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة»[٣].**

وهذا هو الذى نراه فى تلك الأيام فقد تجد الناس يعظّمون رجلًا، وهو من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين.. وقد يحتقرون رجلًا هو من أكثر الناس بذلًا وتضحية من أجل نُصرة دين الله (جل وعلا) فإلى الله المشتكى.

انتشار المعازف والغناء

وهذا مما عمَّت به البلوى فى هذا الزمان. فلا تكاد تجد بيتًا إلا وتسمع الغناء والمعازف تنبعث منه، ولا تجد من ينكر عليه.

ولقد جاء الوعيد الشديد لمن يستمع الغناء ولمن يستحله.

قال ﷺ: «ليكوننَّ من أُمتى أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنب علمٍ يروح عليهم بسارحةٍ لهم، يأتيهم -يعنى: الفقير- لحاجةٍ، فيقولوا: ارجع إلينا غدًا، فيبيّتُهم الله، ويضع العَلَم، ويمسخُ آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة»[٤].

وقال ﷺ: **«سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ إذا ظهرت المعازف**

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٦) كتاب الرقاق من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٢٠٩) كتاب الفتن، وأحمد (٢٢٧٩٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٣١) من حديث حذيفة ﷺ.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦) كتاب الفتن، وأحمد (٧٨٥٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح ابن ماجه من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٣٩) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٦٧) من حديث أبى مالك ﷺ.

والقينات واستحلت الخمر»[١].

ظهور مدعي النبوة

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجّالون كذّابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»[٢].

ومن بين هؤلاء: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسى، وسجاح وغيرهم.

كثرة الأموال

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهِمَّ رب المال من يقبله منه صدقة ويُدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لى فيه»[٣].

ولقد كثر المال فى عهد الصحابة - رضي الله عنهم - واقتسموا أموال الفرس والروم، وكثر المال فى عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وسيكثر المال فى عهد المهدى وعيسى - عليه السلام - حتى لا يجد الرجل من يأخذ منه صدقته.

كثرة القتل

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج» قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل القتل»[٤].

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده ليأتين على الناس زمان لا يدرى القاتل فى أى شىء قتل ولا يدرى المقتول فى أى شىء قتل»[٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبرانى (٦/ ١٥٠، رقم ٥٨١٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٦٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٦٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٤١٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٥٧) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٠٣٦) كتاب الجمعة، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وهذا كله قد حدث بسبب انتشار الحروب واستخدام الأسلحة المدمرة، وانتشار الفتن وابتعاد الناس (إلا من رحم الله) عن الدين.. وكثرة المعاصي وخفة العقول.

شرب الخمور واستحلالها

قال ﷺ: «من أشراط الساعة ـ وذكر منها ـ ويُشرب الخمر».

وقال ﷺ: «ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف..»[1].

قتال العَجَم

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزًا وكِرمان من الأعاجم.. حُمر الوجوه، فُطس الأنوف، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشَّعر»[2].

خوزًا: هى من بلاد الأهواز من عراق العجم.. بلاد خوزستان. كرمان: هى بلاد مشهورة يحدها من الغرب بلاد فارس، ومن الشمال خراسان.

قتال الترك

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون التُرك.. قومًا وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون فى الشعر»[3].

ولقد قاتل المسلمون الترك فى عصر الصحابة رضي الله عنهم وذلك فى أول خلافة بنى أمية فى عهد معاوية رضي الله عنه.

كثرة الزلازل

عن سلمة بن نفيل السكونى قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ... (فذكر الحديث وفيه): **«وبين يدى الساعة مَوَتان شديد وبعده سنوات الزلازل»**[4].

وعن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تكثر**

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٥٩٠) كتاب المناقب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩١٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد (١٦٥١٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات على غرابة فى متنه.

الزلازل»[1].

وهذا هو الذى نراه ونسمع عنه بكثرة فى أكثر بلدان العالم.

قبض العلم وكثرة الجهل

قال ﷺ: «إن بين يدى الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويُرفع العلم»[2].

وقال ﷺ: «من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل»[3].

وقبض العلم يكون بقبض العلماء.. فقد قال ﷺ «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»[4].

رفع القرآن من الصدور والمصاحف

قال رسول الله ﷺ: «يَدرُس الإسلام كما يدرُسُ وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ ويُسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبير، والعجوزُ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها»[5]. فقال له صلةُ: ما تُغْنى عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّدها عليه ثلاثًا، كلُّ ذلك يُعرِضُ عنه حذيفة، ثم أقبل عليه فى الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار ثلاثًا.

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ليُنزعنَّ القرآن من بين أظهركم؛ يُسرى عليه

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠٣٦) كتاب الجمعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٥) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦٧٢) كتاب العلم من حديث أبى موسى رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاى (٨٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧٣) كتاب العلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ليلًا، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى فى الأرض منه شىء».

قال ابن تيمية: «يُسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرفٌ».

وأعظم من هذا أن لا يُذكَرَ اسمُ الله تعالى فى الأرض؛ كما فى الحديث عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُقال فى الأرض: الله، الله**»[1].

شهادة الزور وكتمان شهادة الحق

قال ﷺ: «إن بين يدى الساعة : تسليم الخاصة وفشو التجارة ؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهور القلم»[2].

وما أبشعها والله من جريمة تقشعر منها القلوب المؤمنة.. فكم تسببت فى ظلم اليتامى والمساكين وحرمانهم من أدنى حقوقهم، وكم تسببت فى ضياع الأموال والأعراض (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

انتشار الأمن فى البلدان

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق»[3].

وفى حديث خبَّاب بن الأرت قال ﷺ: «والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون»[4].

وهذا قد وقع فى زمن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وسيكون ذلك فى زمن المهدى وعيسى ـ عليه السلام ـ.

---

(١) **صحيح**:رواه مسلم (١٤٨) كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**:رواه أحمد (٣٨٦٠)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣)رواه أحمد (٨٦١٥) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**:رواه البخارى (٦٩٤٣) كتاب الإكراه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

خروج نار من أرض الحجاز

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى»[(١)].

ولقد خرجت تلك النار فى منتصف القرن السابع الهجرى فى عام أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارًا عظيمة ظهرت بالمدينة.

ونقل ابن كثير أن غير واحدٍ من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل فى ضوء هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز».

ذهاب أهل الخير والدين

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته ـ أى أهل الخير والدين ـ من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة ـ وهم الأراذل ومن لا خير فيهم ـ لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا»[(٢)].

وتلك العلامة تكون عند كثرة المعاصى، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. فإن الصالحين إذا رأوا المنكر ولم يغيروه عمَّهم العذاب..

وذلك قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ **[الأنفال: ٥٢]**، حتى ظهر فى تلك الأمة من يفتخر، بل ويتفاخر بأنه يعبد الشيطان من دون الله ـ جل وعلا ـ بالرغم من أن الله حذرنا من عبودية الشيطان، فقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ **[يس: ٦٠، ٦١]**.

* * *

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧١١٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٠٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠، رقم ٦٩٦٤)، قال الهيثمى (٨/ ١٣): رواه أحمد مرفوعا وموقوفا ورجالهما رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ٤٨١، رقم ٨٣٤١) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ارتفاع الأراذل والسفهاء

كثرة الزنا

الفواحش والزنا بدرجاته: سبحان الله!! العين تزنى وزناها النظر، والأذن تزنى وزناها الاستماع، واليد تزنى وزناها البطش، والرجل تزنى وزناها المشى ويصدق على هذا كله أو يكذبه الفرج سبحان الله.

وقوع الخسف والمسخ والقذف

قال ﷺ: «**بين يدى الساعة مسخٌ وخسفٌ وقذفٌ**»[1].

ولقد جاء الوعيد الشديد لأهل المعازف والخمور بتلك العقوبات.

قال ﷺ: «**فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**»، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «**إذا ظهرت القيان والمعازف وشُربت الخمور**»[2].

ظهور الكاسيات العاريات

قال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: ـ وذكر منهما ـ ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[3].

تالله إننى لا أتصور أبدًا أن مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر تقرأ هذا الحديث وتعلم أن النبى ﷺ أخبر أنها من أهل النار إن لم تلتزم بحجابها، ثم تستمر بعد ذلك، بل وتصر على أن تكون كاسية عارية.

والعجب كل العجب ليس من النساء فحسب، بل من الرجال الذين يرضون

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٥٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح ابن ماجه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٢١٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٠٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

بخروج نسائهم بتلك الهيئة.

فإن لم يكن عنده الوازع الدينى، فأين النخوة والرجولة والغيرة التى تجعل الرجل العفيف يغار على عرضه، بل أين الرجل الذى يتدبر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦]. وقول رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...» [١]. فإنا لله وإنا إليه راجعون على ضياع النخوة والرجولة والمروءة، فضلًا عن هوان الدين فى قلوب أكثر المسلمين (إلا من رحم الله).

غزارة الأمطار وقلة الإنبات

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُمطَر الناس مطرًا عامًّا ولا تُنبت الأرض شيئًا» [٢].

وهذا من كثرة المعاصى التى تنزع البركة من الزرع والماء، بل ومن الأرض والسماء.

فشو التجارة (كثرتها)

قال ﷺ: «إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفُشوَّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة..» [٣].

وهذا كله من أجل التنافس على تلك الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

تقارب الأسواق

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق» [٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٢٠٢١)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧ ، رقم ٣٨٧٠) قال الهيثمى (٧/ ٣٢٩) : رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح . والحاكم (٤/ ١١٠ ، رقم ٧٠٤٣) وقال : صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه ابن حبان (١٥/ ١١٣، رقم: ٦٧١٨)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة=

ولقد تقاربت الأسواق بتقدم وسائل المواصلات، وكذلك بمعرفة الأسعار فى كل الأقطار من خلال وسائل الاتصال، وبذلك تتقارب الأسعار فى أكثر الأسواق لاقترابها من بعضها البعض ومعرفة التجار بأسعار الأسواق المجاورة.. والله أعلم.

التماس العلم عند الأصاغر

قال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يُلتَمس العلم عند الأصاغر»[١].

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قِبَل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا».

إشاعة الكذب وكثرته

قال ﷺ: «سيكون فى آخر أمتى أُناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»[٢].

وهذا مما عمَّت به البلوى فلقد انتشر الكذب بين الناس، بل وبين بعض الذين لا يتثبتون من صحة الحديث الذى ينقلونه للناس عن رسول الله ﷺ.

ولقد حذَّر النبى ﷺ من ذلك فقال: **«..ومن كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»**[٣].

أن يتمنى الرجل الموت من شدة البلاء

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتنى مكانه»[٤].

=(٢٧٧٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١/ ٢٠، رقم ٦١)، والطبرانى (٢٢/ ٣٦١، رقم ٩٠٨)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٩٥) من حديث عن أبى أمية الجمحى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٦) فى المقدمة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (١٢٩١) كتاب الجنائز من حديث المغيرة بن شعبة ط، ومسلم (٣) فى المقدمة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من=

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «سيأتى عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يُباع لاشتراه».

وهذا كله بسبب كثرة الفتن التى يتعرض لها أهل الإيمان الذين يعيشون الغربة فى كل زمان ومكان.

كثرة النساء وقلة الرجال

قال ﷺ: «من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد»[1].

قال العلماء فى تفسير الحديث ما معناه: أن ذلك يكون بسبب كثرة الفتن والحروب، فيُقتل الرجال ويكثر عدد النساء، وقيل إنه يكون لكثرة الفتوح فتكثر السبايا، وقيل إن الله يقدِّر فى آخر الزمان أن يقل عدد المواليد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث. والله أعلم، وإذا نظرت اليوم سوق الزواج توقف لأننا صعبنا الحلال فصار الحرام يسيرًا .. الحلال صار صعبًا الشاب لكى يتزوج .. هذه مسألة من رابع المستحيلات .. من أين يحضر ، من أين يفرش، من أين شبكة،من أين مهر ،من أين مؤخر صداق فالحلال صار صعب فصار الحرام أمره ميسورٌ فكثر الزِّنا وكثرت الفواحش فلابد من وقفة حتى ننظر أمر الشباب وأمر تزويجه ...وإلا سوف يحاسبنا الله جميعًا وعلى ولى أمر البنت أن لا يصعب على العريس الذى يأتى مسألة الزواج وعليه أن يتقى الله فى ابنته ونحن نرى نسبة الزواج العرفى بسبب المغالاة فإذا جاءك شابٌّ ترضى دينه فزوجه ويسِّر عليه ولا تشقَّ عليه.

كما قال النبى ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»[2] وأناشد الأغنياء أن يزوجوا الشباب من ضمن الصدقات فكل ثرى يزوِّج واحدًا أو أكثر فيكرمه الله كرمًا كبيرًا ويكون هذا فى ميزن حسناته يوم

=حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٨١) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **حسن:** رواه الترمذى (١٠٨٤) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألبانى فى الإرواء (١٨٦٨).

لا ينفع مال ولا بنون لأنه تسبب فى عفة شاب وفتاة من المسلمين.

لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا خضرًا

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارا**»[1].

وهذا دليلٌ على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وأنها ستعود مرة أخرى مروجًا وأنهارًا كما كانت.

المدينة تنفى شرارها وتخرب فى آخر الزمان

قال ﷺ: «... لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خَبث الحديد»[2].

وقد حمل القاضى عياض نفى المدينة لخبثها فى زمن النبى ﷺ.. وحمله النووى على زمن الدجال.. وذكر الحافظ ابن حجر أنه يُحتمل أن يكون المراد كلًّا من الزمنين. وأما خروج الناس بالكلية من المدينة وخرابها، فذلك سيكون فى آخر الزمان قريبًا من قيام الساعة.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تتركُونَ المدينة على خيرِ ما كانت، لا يغشاها إلا العوافى ـ يريد عوافى السباع والطير ـ وآخر من يُحشر راعيان من مُزينة، يُريدان المدينة، ينعقان بغنمها، فيجدانها وحشًا، حتى إذا بلغا ثنيَّة الوداع؛ خرَّا على وجوههما**»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٧) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨١٧) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨١) كتاب الحج من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٧٤) كتاب الحج، ومسلم (١٣٨٩) كتاب الحج من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

حسر الفرات عن جبلٍ من ذهب

قال ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناس عليه فيُقتل من كل مائةٍ تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو»**(1).

ولقد نهى النبى ﷺ عن أخذ شىء من ذلك الجبل، فقال ﷺ: **«يوشك الفرات أن يُحسر عن جبلٍ من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»**(2)، وقد رجّح الحافظ ابن حجر أن سبب المنع من الأخذ من هذا الذهب لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه.

تقارب الزمان

لا تقوم الساعة حتى تذهب البركة من الوقت فيتقارب الزمان كما قال الحبيب ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار»**(3) حصل فالبركة تنزع من الوقت .. ولقد سئل أبو حنيفة: يا أبا حنيفة فى كم يوم تختم القرآن. قال: فى الصلاة أم فى خارج الصلاة قالوا: أهو له ختمة فى الصلاة وختمه خارج الصلاة ، قال لهم: فى صلاة الليل أم فى صلاة النهار هكذا كانت البركة فى الوقت فى عصرهم رضي الله عنهم.

ولكن نحن ربنا نزع منا البركة من الوقت ، ونزع البركة من الأعمار- لا بركة فى العمر ولا بركة فى الرزق. نسأل الله أن يعيد البركة إلينا مرة أخرى .

كلام السباع مع الإنس

قال ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباعُ الإنس وحتى يكلم**

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(2) صحيح: رواه مسلم البخارى (٧١١٩) كتاب الفتن من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(3) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

الرجلَ عذبةُ سوطه وشراكُ نعله، ويخبره فخذُه بما يحدث أهلُه بعده»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: **«بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث»**. فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم فقال: **«فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري»**. فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم قال: **«فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم»**(٢).

ظهور الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفُحش والتفاحُش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة»(٣).

والفُحش هو كل ما يشتد قُبحه من الذنوب والمعاصي.

وقد وقع كل ذلك فانتشرت المعاصي في بلاد المسلمين بصورة لم تخطر على قلب بشر، وقُطعت الأرحام حتى بين الأبناء والآباء، وأما سوء الجوار؛ فإني والله أجد نفسي عاجزًا عن وصف سوء الجوار الذي يحدث بين الناس في تلك الأيام وإنا لله وإنا إليه راجعون... وذلك كله من ضعف الإيمان.

انتشار الربا وأكل الحرام

قال ﷺ: «بين يدي الساعة يظهر الربا»(٤).

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢١٨١) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٣) من حديث أبي سعيد ﷺ.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣/ ١٢٨٠ رقم: ٣٢٨٤)، ومسلم (٤/ ١٨٥٧ رقم: ١٣).

(٣) رواه أحمد (٢٧٧٥٧)، وقال الشيخ الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) **صحيح:** رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد (٤/ ٢١٣ رقم: ٦٥٨٢)، وصححه العلامة الألباني السلسلة الصحيحة (٣٤١٥) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

بل ولم يقتصر الأمر على ظهور الربا، بل لقد استشرى أكل الحرام بين الناس بصورة عجيبة.. وهذا ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «**ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال أمِن حلالٍ أم من حرامٍ**»[١].

التناكر بين الناس

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الساعة؟ فقال: «**علمها عند ربى، لا يجلِّيها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إنَّ بين يديها فتنة وهرجًا**». قالوا: يا رسول الله! الفتنةُ قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال: «**بلسان الحبشة: القتل. ويُلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحدٌ أن يعرف أحدًا**»[٢].

وتلك العلامة نراها بين الخواص، فضلًا عن العوام.. فالتناكر انتشر بين المسلمين انتشار النار فى الهشيم.. فالكل -إلا من رحم الله- يسعى لحظوظ نفسه، ولو كان ذلك على حساب الآخرين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسلمون واليهود يتقاتلون

كما قال الحبيب ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[٣] لذلك أنت لما تذهب القدس ويافا وحيفا تنظر تجد واليهود يزراعة شجر الغرقد لعلمهم بصدق رسول الله لأن الغرقد هذا الذى سيختبئون وراءه فلن يقول عليهم وهناك رأى للعلماء يقول : احتمال هذا نداء معنوى فنحن إنشاء الله سيكرمنا الله ونحارب اليهود فندمر الحصون .. فلا توجد حصون يختبئون فيها فنستطيع قتلهم و أسرهم بسهوله

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢٠٨٣) كتاب البيوع من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩، رقم ٢٣٣٥٤) قال الهيثمى (٧/ ٣٠٩) : رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٧١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٩٢٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٩٢٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.



ويعود إلينا المسجد الأقصى إن شاء الله مرة ثانية بإذن الله.

تسليم الخاصة

قال ﷺ: «إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة»[١].

وقال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة»[٢].

فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا أمرٌ مخالف لسنة الحبيب ﷺ الذى حثَّ الناس على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف. فالسلام سبب فى إشاعة الحب والرحمة بين المسلمين، والحب سبب لزيادة الإيمان، والإيمان هو جنة الدنيا التى تثمر جنة الآخرة.

كثرة موت الفجأة

قال ﷺ: «......و أن يظهر موت الفجأة »[٣].

ولقد كثر موت الفجأة فى تلك الأيام حتى إنك تقف مع الرجل وبه من الصحة والعافية ما لا يعلمه إلا الله، وفجأة تجده قد سقط ميتًا.

ولذلك فلابد أن يكون المؤمن دائمًا على طاعة الله فى جميع أحواله، فإنه لا يدرى متى يأتيه الموت.

تباهى الناس فى المساجد وزخرفتها

فسبحان الله يتباهى الناس فى المساجد أو بالمساجد « فتزخرف» فيصير هذا المسجد أحمر وهذا أخضر قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٨٦٠)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٣٨)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٤٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) حسن: أخرجه الطبرانى فى (الصغير صـ ٢٣٣)، وحسنه العلامة الألبانى صحيح الجامع (٥٨٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

المساجد»[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لَتزخرفنّها كما زخرفت اليهود والنصارى».

وقال أنس رضي الله عنه: «يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلًا». فالتباهى بها: العناية بزخرفتها.

ولا شك أن عمارة المسجد الحقيقية لا تكون إلا بالطاعة والذكر، ولذلك نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زخرفة المساجد خوفًا أن ينشغل الناس عن العبادة، فقال للقائمين على تجديد المسجد النبوى: «أكِنَّ الناس من المطر وإياك أن تُحمِّر أو تُصفِّر فتفتن الناس».

علامات الساعة الكبرى

ولما كان اليوم الآخر من الأمور الغيبية، أعان الله سبحانه وتعالى خلقه على الإيمان به بأمور كثيرة ، ومن ذلك ربط هذا الغيب بالأمور المحسوسة ، فإن الغيب إذا ربط بالأمور المحسوسة سهل الإيمان به على الإنسان، ومن هذه الأمور المحسوسة التى تعين على الإيمان باليوم الآخر، أشراط الساعة .

* وأهمية معرفة هذه الأشراط والأمارات ، تظهر من أهمية الإيمان باليوم الآخر ، ولذلك فإن الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر ، والذى هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب.

وقيام الساعة من الغيب الذى استأثر الله عز وجل بعلمه ، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* والحديث عن أشراط الساعة مهم ، ولا سيما إذا ابتعد الناس عن تذكر الآخرة واشتغلوا بالدنيا وملذاتها ، فإن فى أشراط الساعة المحسوسة التى تظهر ويراها الناس بأعينهم كما أخبر النبى ﷺ ، ما يعيد الناس إلى ربهم ويوقظهم من غفلتهم، فعن حذيفة

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١/ ١٢٣ ، رقم ٤٤٩) ، وابن ماجه (١/ ٢٤٤ ، رقم ٧٣٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح أبى داود من حديث أنس رضي الله عنه.

ابن أسيد الغفارى ـ رضي الله عنه ـ قال: اطَّلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر: الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(1).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أخفى الساعة عن الخلق، فقد جعل لها عز وجل علامات تدل على قرب وقوعها، ومن الآيات الدالة على ذكر الأشراط قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨].

ظهور المهدى

* من علامات الساعة وأماراتها الكبرى ظهور المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان، ويلى أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها، وهو رجل يحكم بالإسلام ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما، تنعم الأمة فى عهده بالخيرات والنعم التى لم تنعم بمثلها قط، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: فى زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافرًا، والسلطان قاهرًا، والدين قائمًا، والعدو راغمًا، والخير فى أيامه دائم

* وهو الذى بشر به رسول الله ﷺ أنه يجىء فى آخر الزمان، ويؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الإسلامية، ويكون من أهل بيته ﷺ، ويخرج فى زمنه عيسى عليه السلام، والدجال.

* وهو من سلالة النبى ﷺ ومن أبناء فاطمة - رضي الله عنها - وعلى خده شامة كأنها كوكب درى، واسم المهدى (محمد)، واسم أبيه (عبد الله).

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى - أو من أهل بيتى - يواطئ اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض. . . » الحديث.

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى رضي الله عنه.

وفى رواية أخرى : « لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى»[١] .

وأما نسبه: فالروايات الكثيرة تبين لنا أنه من ولد فاطمة البتول ، ابنة النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام ﵂ وعن أولادها الطاهرين .

عن أم سلمة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« المهدى من عترتى من ولد فاطمة »**[٢] .

وعن على بن أبى طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : **« المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة »**[٣] .

فهذه الأخبار كلها تؤكد أن المهدى من ذرية رسول الله ﷺ ، من ولد فاطمة الزهراء

صفة المهدى:

من صفات المهدى الواردة فى السنة ما جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى ﵁ قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«المهدى منى ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويملك سبع سنين »**[٤] .

ومن الأمور الدالة عليه، أنه يخرج فى زمان ساد فيه الجور والظلم ، فيقيم هو بأمر الله العدل والحق ، ويمنع الظلم والجور ، وينشر الله به لواء الخير على الأمة ، حيث يسقيه الله الغيث فتمطر السماء كثيرا لا تدخر شيئا من قطرها ، وتؤتى الأرض أكلها لا تدخر عن الناس شيئا من نباتها ، وتكثر المواشى بسبب الخيرات ، ويفيض المال فيقسمه بين الناس بالسوية . فعن أبى سعيد الخدرى ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : **« يخرج فى آخر أمتى المهدى ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطى المال**

---

(١) **حسن:** رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذى (٢٢٣٠) كتاب الفتن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٤٥٢).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٢٨٤) كتاب المهدى، وابن ماجه (٤٠٨٦) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٣٤).

(٣) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٤٠٨٥) كتاب الفتن، وأحمد (٦٤٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٣٥).

(٤) **حسن:** رواه أبو داود (٤٢٨٥) كتاب المهدى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٦).

صحاحا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا، أو ثمانيا، يعنى حججا»[١] .

كثرة الخيرات فى عهده:

وفى عهد المهدى تكثر الخيرات وتعمُّ البركات وتنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط.. فتُخرج الأرض خيراتها وتُنزل السماء بركاتها، ويكثر المال ويفيض ويسعد الناس سعادة لا يعلم قدرها إلا الله (جل وعلا).

قال ابن كثير رحمه الله: «فى زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافرًا، والسلطان قاهرًا، والدين قائمًا، والعدو راغمًا، والخير فى أيامه دائمًا».

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج فى آخر أمتى المهدى؛ يسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا يعنى: حججًا**»[٢] .

ولأن عيسى (عليه السلام) ينزل ويصلى خلف المهدى فإننى سأذكر بعض الخيرات التى ستكون فى تلك الحقبة المباركة.

فقد جاء فى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج فى زمن عيسى (عليه السلام) ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ: «**ثم يرسل الله مطرًا لا يُكنُّ منه بيتُ مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ـ المرآة ـ ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك فى الرسل ـ اللبن ـ حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس**»[٣] .

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم

---

(١) **صحيح:** رواه الحاكم (٤/ ٦٠١ ، رقم ٨٦٧٣)، وقال : صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧١١).

(٢) **صحيح:** رواه أخرجه الحاكم (٤ / ٥٥٧ - ٥٥٨) و قال : صحيح الإسناد . و وافقه الذهبى ، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٢٩).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل... فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا عادلًا... وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص - الناقة الشابة - فلا يُسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال؛ فلا يقبله أحد»(٢).

كيف نعلم بظهور المهدي:

ولقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ عن علامات نعرف من خلالها أن هذا الرجل الذي سيظهر هو المهدي... وعلى رأس تلك العلامات أنه سيصلي خلفه عيسى (عليه السلام).

ومن العلامات المحكمة أن يُخسف بالجيش الذي يقصد المهدي، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجبُ أن ناسًا من أمتي يؤمون البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس»، قال: «نعم، فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم»(٣).

وعن عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قوم، ليست لهم منعة، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم»(٤).

الأدلة من السنة على ظهوره:

ولقد وردت جملة من الأحاديث الصحيحة والحسنة التي تدل على ظهور المهدي

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٩٠١٧)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، و رواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢١١٨) كتاب البيوع، ومسلم (٢٨٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.



فى آخر الزمان كحلقة الوصل ما بين علامات الساعة الصغرى والكبرى... وسأكتفى بذكر بعضها:

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتى ـ أو من أهل بيتى ـ يملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»[1].

وعن أم سلمة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«المهدى من عترتى، من ولد فاطمة»**[2].

عيسى (عليه السلام) يصلى خلف المهدى:

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«منا الذى يصلى عيسى ابن مريم خلفه»**[3].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!»**[4].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة». قال: «فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض إمراء، تكرمة الله هذه الأمة»**[5].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفى صلاة عيسى خلف رجل من هذه

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٦، رقم ١١٣٣١)، وابن حبان (١٥/ ٢٣٦، رقم ٦٨٢٣)، والحاكم (٤/ ٦٠٠، رقم ٨٦٦٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٢٩) من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٨٤) كتاب المهدى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٤) من حديث أم المؤمنين أم سلمة ﷺ.

(٣) **صحيح**: صححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٢٩٣) وقال عزاه السيوطى فى الجامع لأبى نعيم فى كتاب المهدى.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٤٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٦) كتاب الإيمان من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

الأمة ـ مع كونه فى آخر الزمان، وقرب قيام الساعة ـ دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة، والله أعلم». اهـ.

لابد من العمل لنصرة الإسلام:

قال الشيخ الألبانى رحمه الله رحمة واسعة: لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدى، ونزول عيسى عليهما السلام يأسًا منهم، أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ، لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض، إلا فى زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠]

صحوة مباركة قبل ظهور المهدى:

وليكن معلومًا لدى الجميع أن الخلافة الراشدة تعود قبل ظهور المهدى؛ وليس كما يعتقد الناس، وتزعم بعض الجماعات الإسلامية أن الخلافة يرجعها المهدى، وهم ينتظرونه؛ فإن هذا ما لا دليل عليه، بل هو وهم، وخرص، وتخمين.

ومن الأدلة الدامغة على أن الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أن المسلمين يسترجعون بيت المقدس من اليهود، أى أن بيت المقدس يكون فى أيدى المسلمين، وبيت المقدس الآن يرزح تحت نيران الاحتلال الصهيونى اليهودى البغيض، فلابد من قيام الخلافة قبل المهدى، لأنها هى السبيل الوحيد لاسترجاع مجد الإسلام التليد». اهـ.

عودة الأقصى.. قبل ظهور المهدى:

أجل والله... إن الأقصى سيعود مرة أخرى للمسلمين، ولكن لابد أن نعلم أن الأقصى لن يعود إلا إذا عادت الأمة إلى شرع ربها وسُنة نبيها ﷺ وإلى رفع راية الجهاد فى سبيل الله (جل وعلا).

ويقتضى هذا كله أن القتال فى فلسطين سيعود إسلاميًا خالصًا فى سبيل الله وحده

لا قوميًا رغم أنف العلمانيين والقوميين وأذنابهم، ولا يقدر على ردع الشيطان اليهودى سوى نور القرآن؛ يحرقه ويبيده، ولن يهزم شركهم إلا توحيدنا، ولعل تعقيب الآيات فى سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ، فيه إشارة لطيفة إلى أن سلاح العودة إلى بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربنا لا غير، وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التى ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة على منهاج النبوة؛ فقد قالﷺ : **«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون،ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكًا عاضًا؛** (أى وراثيًا)**، فيكون جبريًا،** (أى قهريًا) **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»**[1] .

الرد على من زعم أن الخلافة لن تعود قبل ظهور المهدى:

قال الشيخ الألبانى رحمه الله فى معرض رده على من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدى:

واعلم يا أخى المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب فى هذا الموضوع، فمنهم من استقر فى نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدى، وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان فى قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس فى شيء من أحاديث المهدى ما يشعر بذلك مطلقًا، بل هى كلها لا تخرج عن أن النبى ﷺ بشَّر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات، أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو لفى الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله فى رأس كل مائة سنة، كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعى وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدى لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله فى الأرض، بل

---

(١) صحيح: أخرجه الطيالسى (ص ٥٨ ، رقم ٤٣٨) ، والبزار (٧/ ٢٢٣ ، رقم ٢٧٩٦) ، وأحمد (٤/ ٢٧٣، رقم ١٨٤٣٠) ، قال الهيثمى (٥/ ١٨٩) : رواه أحمد فى ترجمة النعمان والبزار أتم منه والطبرانى ببعضه فى الأوسط ورجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥).

عكس هو الصواب؛ فإن المهدى لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذى ظل ثلاثة وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدى لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماءهم ـ إلا القليل منهم ـ اتخذهم الناس رءوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم فى صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا ـ بلا شك ـ يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدى، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]

لا بد من التصفية والتربية قبل ظهور المهدى:

قال العلامة ناصر الدين الألبانى رحمه الله فى معرض مناقشته للذين ادعوا اقتراب ظهور المهدى: «ما أظن أن هذا أوان ظهوره، فهذا مقتضى السنة الكونية، وما أحسب المهدى يقدر ـ خلال سبع سنين ـ على أن يحدث من التغيير فى العالم أكثر مما أحدثه رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، وظنى أن المهدى سيكون رجلاً فريدًا فى كل باب: فريدًا فى علمه، فريدًا فى ورعه، فريدًا فى عبادته، فريدًا فى خُلقه، وأنه سيظهر، وقد تهيأ للعالم الإسلامى وضع صلح فيه أمر الأمة، وتمت فيه مرحلتا «التصفية والتربية»، ولم يبق إلا ظهور الزعيم المصلح الذى يقوده، وهو المهدى». اهـ.

فعلى هذا لابد أن يهتم الدعاة والمصلحون بتربية هذا الجيل تربية إيمانية كما ربَّى النبى ﷺ أصحابه على النبع الصافى حتى تتهيأ الأمة لاستقبال الزعيم المصلح الذى يقود الأمة بشرع الله وبسنة رسول الله ﷺ فيكون التمكين ـ بإذن الله ـ على يديه.

أسأل الله (جل وعلا) أن يعجل بهذا اليوم وأن يجعلنا ممن يشاركون فى بناء الدولة المسلمة، وأن نكون من جنود الخلافة الراشدة، وأن يُقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين إنه ولى ذلك والقادر عليه.

المسيح الدجال

وتعالوا بنا لنتعرف على أخطر وأعظم الفتن التى ستمر على البشرية كلها عبر تاريخها الطويل ـ ألا وهى فتنة المسيح الدجال.

السر فى تسميته بالمسيح الدجال:

ولفظة (الدجال): أصبحت علمًا على المسيح الأعور الكذَّاب، فإذا قيل: الدجال؛ فلا يتبادر إلى الذهن غيره.

وسُمِّى الدجَّال مسيحًا؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض فى أربعين يومًا.

والقول الأوَّل هو الراجح؛ لما جاء فى الحديث: «**إن الدَّجَّال ممسوح العين**»[1] .

أما المسيح عيسى (عليه السلام) فسُمي بذلك لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله (جل وعلا).

وسُمى الدجال دجالًا؛ لأنه يغطى الحق بالباطل، أو لأنه يغطى على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطى الأمر بكثرة جموعه. والله أعلم.

صفات الدجال:

الدجال رجل من بنى آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج؛ عرفه المؤمنون، فلا يُفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته التى أخبر بها الصادقﷺ ، وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس، فلا يغتر به إلا الجاهل الذى سبقت عليه الشقوة،... نسأل الله العافية.

ومن هذه الصفات أنه رجل، شابٌّ أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة، ولا جحراء، كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التى جاء فيها ذكر صفاته السابقة، وهى من الأدلة على ظهور الدجال.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم أطوف بالبيت... (فذكر أنه رأى عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم رأى الدجال، فوصفه، فقال:) **فإذا رجل جسيم، أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبة طافئة؛ قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهًا ابن قطن»** رجل من خُزاعة[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرانى الناس، فقال: **«إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى؛ كأن عينه عنبة طافية»**[2].

وفى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء، فإن أُلبس عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»**[3].

وفى حديث حذيفة رضي الله عنه قال ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر»[4].

وفى حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «وإن بين عينيه مكتوب كافر»[5].

وفى رواية: ثم تهجاها «(ك ف ر)؛ يقرؤه كل مسلم»[6].

وفى رواية عن حذيفة: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»[7].

قال النووى: «الصحيح الذى عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية، جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله؛ يُظهرها الله تعالى لكل مسلم؛ كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٧١٢٨) كتاب الفتن من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٢٠) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة () من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٥) **صحيح**: رواه البخارى (٧١٣١) كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وفتنته،ولا امتناع فى ذلك».

فهذا يراه المؤمن بعين بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة؛ كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته، ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم؛ لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات.

ومن صفاته أيضًا ما جاء فى حديث فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - فى قصة الجساسة، وفيه قال تميم - رضي الله عنه -: «فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط، وأشده وثاقًا».

بل وأخبر النبى ﷺ: أن الدجال «عقيم لا يولد له»[1] .

بطلان دعوى الربوبية:

إذا كانت تلك صفات الدجال، وهى صفات بها نقص كبير، فكيف يصح لهذا المخلوق الضعيف دعوى الربوبية، إنه يدعى أنه رب الناس... ورب الناس لا يُرى فى الدنيا، يقول ﷺ: **«تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»**[2] ، ثم هو غير سوى الخلقة، فيه عيوب لا تخفى،... منها عوره.

وصدق ابن العربى فى قوله: «فى اختلاف صفات الدجال بما ذكر من النقص بيان أنه لا يدفع النقص عن نفسه كيف كان، وأنه محكوم عليه فى نفسه».

ومراده أنه لو كان ربًا لأزال النقص الذى فى نفسه، فعدم إزالته دليل على أنه مربوب مقهور لا يستطيع أن يتخلص من عيوبه.

وتركيز الرسول ﷺ على كونه أعور «لكون العور أثرًا محسوسًا يدركه العالم والعامى، ومن لا يهتدى إلى الأدلة العقلية»، وإلا فإن أصحاب العلم يمكن أن يدركوا أمره، ويصلوا إلى حقيقة دعواه.

أكبر فتنة إلى قيام الساعة:

وإن فتنة المسيح الدجال هى أكبر فتنة منذ خلق الله آدم (عليه السلام) وإلى أن تقوم الساعة... وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التى تبهر العقول

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٢٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وتحير الألباب.

قال ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»[(١)].

صور من فتنة المسيح الدجال:

إن الدجال سيدعى أنه إله من دون الله (جل وعلا)... وسيعطيه الله (عز وجل) من القدرات والإمكانات ما يكون سببًا للفتنة ولذا فإنه لا يثبت أمام فتنة الدجال إلا من اعتصم بالله وتسلح بالإيمان والتوحيد.

وأما عن القدرات والإمكانات التى ستكون مع الدجال... والتى ستكون سببًا فى فتنة أصحاب القلوب المريضة فهى:

١ - جنته وناره:

فقد ورد أن معه ما يشبه الجنة والنار أو أن معه ما يشبه نهرًا من ماء ونهرًا من نار... وليس الأمر كما يراه الناس فإن الذى يرونه نارًا فإنما هو ماءٌ بارد وإن الذى يرونه ماءً باردًا فإنه نارٌ.

قال رسول الله ﷺ: «معه (أى الدجال) جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار»[(٢)].

وفى رواية عند مسلم فى صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأى العين ماء أبيض، والآخر: رأى العين نار تأجج، فإما أدركن أحد، فليأت الذى يراه نارًا وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد»[(٣)].

وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم عن حذيفة أيضًا: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا، فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارًا، فإنه ماء عذب طيب»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة ﷺ.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة ﷺ.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٥٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

٢ - سرعة انتقاله بين البلدان:

ومن فتنة الدجال أنه يتجول بين البلدان بسرعة تفوق الخيال فلقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ، كما عند مسلم ـ فقالوا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال: **«كالغيث استدبرته الريح»**[١].

ولذلك فهو سيدخل كل بلد على وجه الأرض فيما عدا مكة والمدينة.

٣ - استجابة السماء والأرض لأمره!!!

ومن فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويدعو الماشية فتتبعه ويأمر الخرائب أن تُخرج كنوزها المدفونة فتستجيب.

قال ﷺ: «... فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت درًا وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر. ثم يأتى القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون مُمحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل...» [٢].

هو أهون على الله من ذلك:

عن المغيرة بن شعبة، قال: ما سأل أحد النبى ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته. قال: **«وما سؤالك؟»** قال قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء. قال: **«هو أهون على الله من ذلك»**[٣].

وهنا نجد أن النبى ﷺ مع أنه أخبر أن الدجال هو أكبر فتنة فى هذا الكون إلا أنه ﷺ يركز على جانب هام من جوانب العقيدة ألا وهو: أنه لن يكون فى هذا الكون إلا ما قدره الله (عز وجل)... فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فمع أن الدجال سيكون معه كل هذه الإمكانات إلا أنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا بخلاف ما قدره الله ولذا قال

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٩٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان ﷺ.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢١٥٢) كتاب الآداب من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ.

ﷺعن الدجال: «هو أهون على الله من ذلك» أى أنه لن يستطيع أن يتحكم فى مقادير العباد وإنما هو مجرد فتنة عابرة.

٥ - يقتل شابًا ثم يحييه (بإذن الله):

عن أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال. فكان فيما حدثنا قال: «**يأتى، وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة. فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس. فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه: فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، أتشكون فى الأمر؟ فيقولون: لا. قال فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه. والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن. قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلَّط عليه**»[1].

هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قِبَله رجل من المؤمنين. فتلقاه المسالح، مسالح الدجال. فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج. قال فيقولون له: أَوَمَا تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه. قال فينطلقون به إلى الدجال. فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ. قال فيأمر الدجال به فيُشبَّح. فيقول: خذوه وشُجُّوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا. قال فيقول: أَوَمَا تؤمن بى؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين. ثم يقول له: قم فيستوى قائمًا. قال ثم يقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً. قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس. قال فيأخذه الدجال ليذبحه. فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا. فلا يستطيع إليه سبيلًا. قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به. فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار. وإنما أُلقى فى الجنة**» فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧١٣٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٣٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

«هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[(١)] .

الأنبياء يحذرون أقوامهم من فتنة الدجال:

ولأن الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم) يعلمون يقينًا خطر فتنة الدجال فإنه ما من نبى إلا وقد أنذر قومه من فتنة الدجال.

ففى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ فى الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: **«إنى لأنذركموه، وما من نبى إلا أنذره قومه، ولكنى سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبى لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور»**[(٢)] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«ما بُعث نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»**[(٣)] .

تميم الدارى... وخبره العجيب:

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنها سمعت منادى رسول الله ﷺ ينادى: الصلاة جامعة... قالت: فخرجت إلى المسجد. فصليت مع رسول الله ﷺ. فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: **«ليلزم كل إنسان مُصلاه»**. ثم قال: **«أتدرون لِمَ جمعتكم؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«إنى، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم، لأن تميمًا الدارى، كان رجلًا نصرانيًا، فجاء فبايع وأسلم. وحدثنى حديثًا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام. فلعب بهم الموج شهرًا فى البحر. ثم أَرْفَئُوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا فى أقرُب السفينة. فدخلوا الجزيرة. فلقيتهم دابة أَهْلَبُ كثير الشعر. لا يدرون ما قُبُله من دُبره. من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير. فإنه إلى خبركم**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٣٣٧) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٣١) كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه.

الأشواق. قال: لما سمَّت لنا رجلًا فرقنا منها (خفنا) أن تكون شيطانة. قال فانطلقنا سراعًا. حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا. وأشده وثاقا. مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى. فأخبرونى ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. ركبنا فى سفينة بحرية. فصادفنا البحر حين اغتلم. فلعب بنا الموج شهرًا. ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه. فجلسنا فى أقربها. فدخلنا الجزيرة. فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر. لا يُدرى ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك! ما أنت! فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعًا. وفزعنا منها. ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبرونى عن نخل بَيْسَانَ. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبرونى عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبرونى عن عين زُغَرَ. قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هى كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإنى مخبركم عنى. إنى أنا المسيح. وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج. فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة. غير مكة وطيبة. فهما محرمتان علىَّ. كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحدًا منهما، استقبلنى ملك بيده السيف صَلْتًا. يصدنى عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته فى المنبر «هذه طَيبة. هذه طيبة. هذه طيبة» يعنى المدينة «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم. قال: «فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن. لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو. من قبل المشرق، ما هو»

وأومأ بيده إلى المشرق... قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ[(١)].

حال المسلمين فى العصر الذى يخرج فيه الدجال:

قبيل خروج الدجال يكون للمسلمين شأن كبير، وقوة عظيمة، ويبدو أن خروجه إنما هو للقضاء على تلك القوة، ففى ذلك الوقت يصالح المسلمون الروم، ويغزون جميعًا عدوًا مشتركًا فيُنصرون عليه، ثم تثور الحرب بين المسلمين والصليبيين.

ففى سنن أبى داود عن ذى مخبر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستصالحون الروم صلحًا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذى تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة،... وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»**[(٢)].

فأنت ترى قوة المسلمين فى ذلك الوقت، حيث إنهم يغزون ويُنصرون ويغنمون ويرجعون سالمين وترى إلى أى مدى هم متمسكون بدينهم، فإن ذلك الصليبى عندما يرفع الصليب زاعمًا أن الانتصار الذى شارك المسلمون فى تحقيقه كان للصليب، يقوم مسلم غيور على دينه فيدق ذلك الصليب ويكسره، وتثور العصابة التى تكون فى ذلك الموقع من المسلمين إلى سلاحهم، ويقاتلون الروم على الرغم من قلتهم فى ذلك الموقع، ويشهد الرسول ﷺ لهم بأنهم شهداء، وأن الله أكرمهم بذلك، ويكون غدر الروم ذلك، وما جرى بعده سببًا فى وقوع الملحمة.

النبى ﷺ يصف تلك الملحمة:

ولقد وصف النبى ﷺ تلك الملحمة التى ستدور بين المسلمين والصليبيين... والتى سيكون سببها هو السبب الذى أشار إليه فى الحديث السابق.. فتأمل معى كيف وصف النبى ﷺ هول تلك الملحمة وشدتها وكيف ثبت فيها المسلمون حتى جاءهم

---

(١) **صحيح**:رواه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**:رواه أبو داود (٤٢٩٢) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦١٢) من حديث ذى مخبر رضي الله عنه.

عـر الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق. فيخرج إليهـم جيـش من المدينة. من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا. والله! لا نخلى بينكم وبين إخواننـا فيقـاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا. ويُقتـل ثلـثهم، أفـضل الـشهداء عنـد الله. ويفتـتح الثلث. لا يُفتنون أبدًا. فيفتتحون قـسطنطينية. فبيـنما هـم يقتـسمون الغنـائم، قـد علقـوا سـيوفهم بـالزيتون، إذ صـاح فيهـم الـشيطان: إن المـسيح قـد خلفكـم فى أهليكـم. فيخرجون... وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خـرج. فبيـنما هـم يُعـدون للقتـال، يـسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم -عليه السلام-. فأمَّهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح فى الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكـن يقتلـه الله بيـده. فيُريهم دمه فى حربته»[١].

وقد حدثنا الرسول ﷺ فى حديث آخر عن هول تلك المعركة، وعن الفدائية التى تكون فى صفوف المسلمين، حتى إن مجموعات من المسلمين يتبايعون عـلى القتـال حتى النصر أو الموت ثلاثة أيام متوالية، ويبـدو أن أعـداد المـسلمين فى تلـك الأيـام قليلة، بدليل أن المسلمين ينتصرون عندما يصلهم المدد من بقية أهل الإسلام.

عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود! جاءت الساعة. قال فقعد وكان متكئًا. فقال: إن الساعة لا تقوم، حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا (ونحَّاها نحو الشام) فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسـلام. قلـت: الـروم تعنـى؟ قـال: نعم. وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة. فيشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبة. فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفىء هؤلاء وهـؤلاء. كـلٌ غيـر غالـب. وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للمـوت. لا ترجـع إلا غالبـة. فيقتتلـون حتى يحجز بينهم الليل، فيفىء هؤلاء وهـؤلاء كـل غيـر غالـب وتفنـى الـشرطة ثـم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبـة فيقتتلـون حتـى يمـسوا، فيفـىء

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة. فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام. فيجعل الله الدَّبرة عليهم. فيقتلون مقتلة لم يُر مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتًا. فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد. فبأى غنيمة يفرح، أو ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس، هو أكبر من ذلك. فجاءهم الصريخ، إن الدجال قد خلفهم فى ذراريهم. فيرفضون ما فى أيديهم. ويُقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة... قال رسول الله ﷺ : **«إنى لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم. هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ. أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»**(١) .

متى سيظهر الدجال؟

ويظهر الدجال بعدما يفتح المسلمون القسطنطينية.. ولذا قال ﷺ : **«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»**(٢) .

ووضح النبى ﷺ كيف يفتح المسلمون القسطنطينية وكيف يظهر الدجال بعد فتحها.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر؟» قالوا: نعم يا رسول الله ! قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق. فإذا جاءوها نزلوا. فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر . فيسقط أحد جانبيها. الذى فى البحر. ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيُفرج لهم. فيدخلوها فيغنموا. فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شىء ويرجعون»(٣) .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٩٤) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٦) من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٢٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

من أين يخرج الدجال؟

يخرج الدجال من المشرق؛ من خُراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما.

عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: **«الدجال يخرج من أرض بالمشرق؛ يقال لها: خراسان»**(١).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم التيجان»**(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «وأما من أين يخرج؟ فمن قِبَل المشرق جزمًا»(٣).

وقال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة يقال لها: اليهودية».

ولكن ظهور أمره للمسلمين يكون عندما يصل إلى مكان بين العراق والشام.

ففي حديث في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان يرفعه: «إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا»(٤). والخلة ما بين البلدين كما يقول الإمام النووي.

أتباع الدجال:

أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس، غالبهم الأعراب والنساء.

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة»**(٥).

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٢٣٧) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠٧٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٤) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٣١) وقال الشيخ الأرنؤوط: حديث حسن وهذا إسناد قابل للتحسين من أجل محمد ابن مصعب - وهو القرقساني - فهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين.

(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٩١).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٤٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

واسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود، وهم يزعمون أنه يخرج آخر الزمان. فيبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهم يزعمون أنه آية من آيات الله، يرد إليهم الملك.

كم يمكث الدجال فى الأرض؟

ولقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن المدة التى يمكثها المسيح الدجال فى الأرض فقالوا: يا رسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا. يوم كسنة ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم**» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا... اقدروا له قدره**»[1] .

قال الإمام النووى: قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور فى الحديث يدل عليه قوله ﷺ. «**وسائر أيامه كأيامكم**».

هكذا يكون الحرص على الدين:

وتأملوا معى كيف أن النبى ﷺ لما أخبر أصحابه بأن الدجال سيمكث أربعين يومًا ـ منهم يوم كسنة ـ وإذا بأصحابه يسألونه عن الصلاة ويقولون: أتكفينا فيه صلاة يوم؟... فهذا الذى يشغلهم وذلك لأن الدين هو قضيتهم الأولى والأخيرة (رضى الله عنهم وأرضاهم).

ملائكة الرحمن تحرس مكة والمدينة من الدجال:

ولقد حرم الله (جل وعلا) على الدجال دخول مكة والمدينة. فإن الله حمى مكة والمدينة من الدجال والطاعون.

قال ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[2] .

وروى البخارى أيضًا عن أنس يرفعه: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان**»[3] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨٠) كتاب الحج، ومسلم (١٣٧٩) كتاب الحج من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٨٧٩) كتاب الحج من حديث أبى بكرة رضي الله عنه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه: «يأتى المسيح من قِبل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دُبر أُحد تلقته الملائكة، فضربت وجهه قِبل الشام، هنالك يهلك، هنالك يهلك»[(١)] .

وفى حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال: «فأخرج، فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة وطيبة (المدينة) فهما محرمتان علىَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة ـ أو واحدًا ـ منهما؛ استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها»[(٢)] .

وثبت أيضا أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى.

قال ﷺ عن الدجال: «وإنه يمكث فى الأرض أربعين صباحًا، يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى»[(٣)] .

وكيف يخرج المنافقون من المدينة:

فإذا عجز الدجال عن دخول مكة والمدينة فلا بد أن يخرج إليه المنافقون حتى يتبعوه... ولذا أخبرنا النبى ﷺ عن كيفية خروج المنافقين من المدينة فقال ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين، تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[(٤)] .

نزول عيسى (عليه السلام) فى آخر الزمان:

بعد خروج الدَّجَّال، وإفساده فى الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقى دمشق الشام، وعليه مهرودتان،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٨٠) كتاب الحج من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٣١٧٢)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٩٣٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨١) كتاب الحج، ومسلم (٢٩٤٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

واضعًا كفَّيْهِ على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، ولا يَحِلُّ لكافرٍ يجِدُ ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسهُ ينتهى حيث ينتهى طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التى تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَّال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلى خلف أمير تلك الطائفة.

قال ابن كثير: هذا هو الأشهر فى موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق.

وذكر ابن كثير أنه فى زمنه سنة إحدى وأربعين وسبعمائة جدَّد المسلمون منارة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التى كانت مكانها، ولعلَّ هذا يكون من دلائل النبوَّة الظاهرة،حيث قيَّض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم وإلا قُتِل، وكذلك غيرهم من الكفار.

ففى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر خروج الدَّجَّال ثم نزول عيسى عليه السلام قالﷺ : «إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّرَ منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحِلُّ لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه ـ أى: يطلب الدَّجَّال ـ حتى يدركه بباب لُد، فيقتله، ثم يأتى عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدِّثُهم بدرجاتهم فى الجنة»[1] .

صفة عيسى (عليه السلام):

ولقد وصفه النبىﷺ وصفا دقيقًا حتى إذا رأيناه عرفناه.

وصفة عيسى (عليه السلام) التى جاءت فى تلك الروايات تفيد أنه رجلٌ، مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس ـ أى: حمَّام ـ له لمة قد رجَّلها تملأ ما بين منكبيه.

الأحاديث الواردة فى ذلك:

منها ما رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ : «ليلة أُسرى بى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان.

لقيت موسى.. (فنعتَهُ إلى أن قال:) ولقيتُ عيسى.. (فنعته فقال:) ربعةٌ، أحمرُ، كأنما خرج من ديماس (يعنى: الحمَّام)»(١) .

وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى؛ فأحمر جعدٌ عريضُ الصَّدر»(٢) .

وروى مسلمٌ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى..(فذكر الحديث، وفيه:) وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائمٌ يصلى، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفى»(٣) .

والجمع بين هذه الروايات من كونه فى بعضها أحمر، وبعضها آدم، وما جاء أنه سبط الشعر، وفى بعضها بأنه جعد:

إنه لا منافاة بين الحُمرة والأُدْمَة؛ لجواز أن تكون أُدمته صافية.

وأما كونه فى رواية سبط الشعر، وفى أخرى أنه جعدٌ، والجعد ضد السبط، فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر، وأما وصفه بأنه جعدٌ؛ فالمراد بذلك جعودةٌ فى جسمه لا شعره، وهو اجتماع اللحم واكتنازه.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[النساء: ١٥٩] .

عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال: قبل موت عيسى عليه السلام. وقال أبو مالك: ذلك عند نزول عيسى وقبل موته عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وهذا القول هو الحق، وقيلت تفاسير شتى فى تفسير هذه الآية ولكن أولى الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. وهذا هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية فى تقرير بطلان ما

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٩٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٤٣٨) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٢) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ادّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة فى ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنّما شُبِّه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باقٍ حَيٌّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلّت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

والمراد بهذا الذى ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته فى السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليكذب هؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه، وتصادمت وتعاكست، وتناقضت، وخلت من الحق، ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصّه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادّعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه فى مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوّا كبيرًا، وتنزّه وتقدس لا إله الا هو.

أدلة نزوله (عليه السلام) من القرآن الكريم:

نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ثابتٌ فى الكتاب والسُنَّة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى..

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٧٥- ٦١].

أى: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامةٌ على قرب الساعة ويدلُّ على ذلك القراءة الأخرى: (وإنه لَعَلَمٌ للساعَة)؛ بفتح العين واللام؛ «أى: علامة وأمارة على قيام الساعة، وهذه القراءة مرويَّة عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير» .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس - ﷺ - فى تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ ؛ قال: «هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة» .

وقال تعالى: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧- ١٥٩].

فهذه الآيات؛ كما أنها تدلُّ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فإنها تدلُّ على أنَّ من أهل الكتاب مَن سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله وقبل موته؛ كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

أدلة نزوله من السنة المطهرة:

إن الأدلة على نزوله عليه السلام في آخر الزمان كثيرة ومتواترة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»**[1].

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة؛ قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرُهم: صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة»**[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه؛ فاعرفوه»[3].

الحكمة في نزول عيسى (عليه السلام) دون غيره:

تلمَّس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذلك عدة أقوال:

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٤٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) **صحيح:** وقد تقدم.

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٣٢٤) كتاب الملاحم، وأحمد (٩٠١٧)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.



١- الردُّ على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذى يقتلهم ويقتل رئيسهم الدَّجَّال.

ورجَّحَ الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره.

٢- إن عيسى عليه السلام وجد فى الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ؛ كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩]، فدعا الله أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام.

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا».

وقال ابن كثير: «وصدقوا فى ذلك؛ فإن هذه الأمة معظَّمة فى الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة».

وقد ترجم الإمام الذهبى لعيسى عليه السلام فى كتابه «تجريد أسماء الصحابة»، فقال: «عيسى ابن مريم عليه السلام صحابىٌّ؛ ونبىّ؛ فإنه رأى النبىَّ ﷺ ليلة الإسراء، وسلَّم عليه، فهو آخر الصحابة موتًا».

٣- إن نزول عيسى عليه السلام من السماء؛ لِدُنُوِّ أجله، ليُدفنَ فى الأرض، إذ ليس لمخلوقٍ من التراب أن يموت فى غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال، فيقتله عيسى عليه السلام.

٤- إنه ينزل مكذبًا للنصارى، فيُظهر زيفهم فى دعواهم الأباطيل، ويُهلك الله المللَ كلها فى زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥- إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبى ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بينى وبينه نبىٌّ»[1].

فرسول الله ﷺ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشَّر بأن رسول الله ﷺ يأتى من بعده، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به؛ كما فى قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

﴿مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وفى الحديث: «أنا دعوة إبراهيم وكان آخر من بشر بى عيسى ابن مريم»[1].

هلاك الدجال على يديه:

يكون هلاك الدَّجَّال على يدى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؛ كما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وذلك أنَّ الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه، وتعمُّ فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، وعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عبادُ الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدًا المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُد)، فإذا رآه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهوديٌّ خلفي، تعال فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود.

وبقتله ـ لعنه الله ـ تنتهى فتنته العظيمة، وينجى الله الذى آمنوا من شره وشر أتباعه على يدى روح الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه المؤمنين.

بماذا يحكم عيسى (عليه السلام)؟

يحكم بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد ﷺ، فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباقٍ إلى قيام الساعة، لا ينُسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر الإسلام، إذ لا نبى بعد محمد ﷺ.

فمرحى بأمة رسول الله ﷺ نبيها أعظم الأنبياء، وآخر مجدديها نبى على ملة رسول الله وشريعته، بل آخر صحابى نبى.

عيسى (عليه السلام) يحج إلى بيت الله الحرام:

عن حنظلة الأسلمى قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدِّث عن النبى ﷺ أنه قال:

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر (٣/ ٣٩٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

«والذى نفسى بيده ليُهلّن ابن مريم بفجّ الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنّينَّهما»[1] . أى يجمع بين الحج والعمرة.

وضعه للجزية ليس نسخًا لحكم الجزية:

أما وضع عيسى ـ عليه السلام ـ الجزية عن الكفار ـ مع أنها مشروعة فى الإسلام قبل نزوله عليه السلام ـ؛ فليس هذا نسخًا لحكم الجزية جاء به عيسى شرعًا جديدًا؛ فإن مشروعية أخذ الجزية مقيَّد بنزول عيسى عليه السلام بإخبار نبينا محمد ﷺ، فهو المبيِّن للنَّسخ بقوله لنا: «والله لينزلَنَّ ابنُ مريم حكمًا عدلًا، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجزية»[2] .

انتشار الأمن وظهور البركات فى عهده (عليه السلام):

ولأن الكون كله قد أسلم واستسلم لله ـ جل وعلا ـ فإن الإنسان كلما ازداد طاعة لله كلما سخّر الله له الكون كله.

ولذلك فعند نزول عيسى ـ عليه السلام ـ يعلم الناس أن نزوله علامة على قُرب القيامة فينشغل الناس جميعًا بالعبادات والطاعات فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها فيفيض المال ولا يجد من يأخذه وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد.

طوبى لعيش بعد المسيح:

قال ﷺ: «طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذَن للسماء فى القطر، ويؤذن للأرض فى النبات، حتى لو بذرت حَبَّك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره... ولا تشاحَّ، ولا تحاسد ولا تباغض»[3] .

فضل الذين يصحبون عيسى (عليه السلام):

قال النبى ﷺ: «عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢٥٢) كتاب الحج من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٣) صحيح: أخرجه أيضًا: الديلمى (٢/ ٤٥٠، رقم ٣٩٤٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩١٩) من حديث أبى هريرة ﷺ.

وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم»[(١)].

كم يمكث عيسى (عليه السلام) فى الأرض؟

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام فى الأرض بعد نزوله؛ فقد جاء فى بعض الروايات أن يمكث سبع سنين، وفى بعضها أربعين سنة.

ففى رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو ﭬ: «فيبعث الله عيسى ابن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردةً من قِبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته»[(٢)].

وفى رواية الإمام أحمد وأبى داود: «فيمكث فى الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلى عليه المسلمون»[(٣)].

وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل؛ إلا أن تُحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافًا إلى مُكثه فى الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور.. والله أعلم.

لماذا لم يذكر اسم الدجال فى القرآن؟

تساءل كثير من العلماء، بل ومن العامة عن الحكمة فى عدم التصريح بذكر الدجال فى القرآن مع أنه أعظم فتنة فى الحياة كلها.

وجاءت الإجابة من بعض أهل العلم فقالوا:

١- أنه مذكور ضمن الآيات التى ذُكرت فى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والآيات هى: الدجال وطلوع الشمس من مغربها والدابة.

قال ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣١٧٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠١٢) من حديث ثوبان ﭬ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث عبد الله بن عمرو م.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٢٤) كتاب الملاحم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٩٨) من حديث أبى هريرة ﭬ.

إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[(١)].

٢- أن القرآن ذكر نزول عيسى عليه السلام، وعيسى هو الذى يقتل الدجال. فاكتفى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة، وعادة العرب أنها تكتفى بذكر أحد الضدين دون الآخر.

٣- أنه مذكور فى قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، وإن المقصود بالناس هنا الدجال، من إطلاق الكل على البعض.

٤- أن القرآن الكريم لم يذكر الدجال احتقارًا له، لأنه سيدعى الربوبية.

شبهة.. والرد عليها:

فإن اعتُرض بأن القرآن ذكر فرعون وهو قد ادعى الربوبية والألوهية، فيقال: إن أمر فرعون انقضى وانتهى، وذُكر عبرة للناس وعظة، وأما أمر الدجال؛ فسيحدث فى آخر الزمان، فتُرك ذكره امتحانًا به، مع أن ادعاءه الربوبية أظهر من أن يُنبَّه على بطلانه؛ لأن الدجال ظاهر النقص، واضح الذم، أحقر وأصغر من المقام الذى يدعيه، فترك الله ذكره؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين؛ أن مثل هذا لا يخيفهم ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله ورسوله؛ كما يقول الشاب الذى يقتله الدجال ويحييه: «والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم»[(٢)].

كيف ننجو من فتنة الدجال؟

إنه ما من نبى إلا وأنذر أمته فتنة الدجال.

وها هو الحبيب ﷺ يحذر أمته من تلك الفتنة الشديدة، وذلك لأن الدجال خارج فى تلك الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ورسولنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإليكم جميعًا الوسائل التى تجعلنا ننجو بإذن الله من فتنة الدجال:

أولًا: الاعتصام بالله ـ جل وعلا ـ والتمسك بالإيمان والتعرف على أسماء الله

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

وصفاته الحسنى، فنعلم أن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]أما الدجال فهو أعور والله ليس بأعور، وأننا لن نرى ربنا حتى نموت، أما الدجال فيراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانيًا: التعوذ من فتنة المسيح الدجال:

وخاصة فى الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا تشهَّد أحدكم؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**[1].

وفى إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنة الدجال أعظم الفتن الواقعة فى الدنيا.

قال السفارينى: «مما ينبغى لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال... وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر».

ثالثًا: حفظ آيات من سورة الكهف:

فقد أمر النبى ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفى بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

وعن النواس بن سمعان قوله ﷺ: «.....من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[2].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصم من الدجال»[3]؛ أى: من فتنته.

وقفة لطيفة:

وقد يقال: لِمَ كانت قراءة فواتح سورة الكهف، وخواتمها أمانًا من الدجال؟

قال بعضهم: لأن الله أخبر فى طليعة هذه السورة أن الله أمَّن أولئك الفتية من

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه.



الجبار الطاغية الذى يريد إهلاكهم، فناسب أن من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم.

وقيل: لأن فى أولها من العجائب والآيات التى تثبِّت قلب من قرأها بحيث لا يُفتن بالدجال، ولا يستغرب ما جاء به الدجال، ولم يُلهه ذلك، ولم يؤثر فيه.

رابعًا: الفرار من الدجال، والابتعاد منه:

والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغى للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التى يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن فى نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

قال ﷺ: «من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»[1].

فأسأل الله (جل وعلا) أن يحفظنا جميعًا من فتنة الدجال وأن يثبت قلوبنا على الإيمان والتوحيد حتى نلقاه.

يأجوج ومأجوج

ويأجوج ومأجوج من ذرية يافث أبى الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام.

والذى يدل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام ما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا؛ فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف»[2].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٣١٩) كتاب الملاحم، وأحمد (١٩٤٦٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٠١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

صفة يأجوج ومأجوج:

أما صفتهم التى جاءت بها الأحاديث؛ فهى أنهم يُشبهون أبناء جنسهم من الترك الغتم المغول، صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجانُّ المطرقة، على أشكال الترك وألوانهم.

الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج:

والأدلة على خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان ثابتة فى القرآن والسُّنة المطهرة.

أما عن أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقال تعالى فى سياقه لقصة ذى القرنين: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾

[الكهف: ٩٢-٩٩].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخَّر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين فى الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة؛ اندك هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمعٍ كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا فى الناس، وعاثوا فى الأرض فسادًا.

وهذا علامة على قرب النفخ فى الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة.

أما عن أدلة السنة المطهرة:

إن الأحاديث التى تخبر عن ظهور يأجوج ومأجوج بلغت حدَّ التواتر المعنوى وسأكتفى بذكر حديث واحد.

فعن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها)». قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم؛ إذا كَثُر الخبث»[1].

قصة بناء السد:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٢-٩٣].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ أى سلك طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب يوصله جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ أى حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين، بمنقطع أرض بلاد الترك مما يلى أرمينية وأذربيجان.

قال ابن كثير فى تفسيره:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان متناوحان، بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيها فسادًا ويهلكون الحرث والنسل.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥].

وعندما وجدوه فاتحًا قويًا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح.. عرضوا عليه أن يقيم لهم سدًا فى وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون فى أرضهم فسادًا، ولا يقدرون هم على دفعهم وصدهم.. وذلك فى مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم.

وتبعًا للمنهج الصالح الذى أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد فى

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٨٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذى عرضوه من المال؛ وتطوع بإقامة السد؛ ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هى ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين؛ فطلب إلى أولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

وهذه شهامة منه حيث رفض قبول المال وتطوع ببناء السد واكتفى بعون الرجال ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أى أعطونى قطع الحديد واجعلوها لى فى ذلك المكان ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أى حتى إذا ساوى البناء بين جانبى الجبلين ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ أى انفخوا بالمنافيخ عليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ أى جعل ذلك الحديد المتراكم كالنار بشدة الإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أى أعطونى أصب عليه النحاس المذاب.

قال الرازى: لما أتوه بقطع الحديد وضع بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ عليها حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلًا صلدًا ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أى فما استطاع المفسدون أن يعلوه ويتسوروه لعلوه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ أى وما استطاعوا نقبه من أسفل لصلابته وثخانته، وبهذا السد المنيع أغلق ذو القرنين الطريق على يأجوج ومأجوج ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أى قال ذو القرنين هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أى فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج وذلك قرب قيام الساعة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أى جعله الله مستويًا بالأرض وعاد متهدمًا كأن لم يكن بالأمس ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ أى كان وعده تعالى بخراب السد وقيام الساعة كائنًا لا محالة.

كيف يخرجون؟!!!

وأما عن كيفية خروجهم فى آخر الزمان فلقد أخبر الحبيب ﷺ عن ذلك...

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حضروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله،

واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم الذى اجفظَّ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نَغَفًا فى أقفائهم فيقتلهم بها، والذى نفسى بيده إن دواب الأرض لتسمن وتَشكَرُ شُكرًا من لحومهم ودمائهم»[(١)] .

وما يعلم جنود ربك إلا هو:

إن الاستدراج سُنة ثابتة وهى تتغير بتغير الأحوال والأشخاص والأزمان.. وفى آخر الزمان سيبلغ الاستدراج درجة عالية مع يأجوج ومأجوج ففى الوقت الذى يخرجون فيه ويعيثون فى الأرض فسادًا وإفسادًا فيمرون على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - جبل بيت المقدس - وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَن فى الأرض، هلم فلنقتل مَن فى السماء، فيرمون بنشابهم - نبالهم وسهامهم - إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا»[(٢)] .

وعن كيفية هلاكهم يقول ﷺ: «إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجتُ عبادًا لى لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولئك على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصرُ نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف - دود يكون فى أنوف الإبل والغنم - فى رقابهم، فيصبحون فرسى - قتلى - كموت نفسٍ واحدةٍ، ثم يُهبطُ بنبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخت - الإبل - فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله»[(٣)] .

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٨٠) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٧٣٥) من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث النواس بن سمعان ﷺ.

(٣) انظر الحديث السابق.

الخسوفات الثلاثة

وتلك الخسوفات الثلاثة من علامات الساعة الكبرى الثابتة.

ومعنى الخسف: يُقال: خسف المكان يخسف خسوفًا إذا ذهب فى الأرض وغاب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]

أدلة السنة على ظهور الخسوفات:

وسأكتفى بذكر حديث واحد للاستدلال على ذلك، فعن حذيفة بن أسيد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات... (فذكر منها:) وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»(١).

الدخان

وظهور الدخان فى آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة فى الكتاب والسُّنة المطهرة.

الأدلة من القرآن الكريم على ظهور الدخان:

قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الدخان: ١٠، ١١]

والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتى السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويعمهم، وعند ذلك يُقال لهم: هذا عذاب أليم؛ تقريعًا لهم وتوبيخًا، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وفى المراد بهذا الدخان؟ وهل وقع؟ أو هو من الآيات المرتقبة؟ قولان للعلماء:

الأول ـ أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشًا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبى ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون فى السماء كهيئة الدخان.

وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وتبعه جماعة من السلف.

الثانى ـ أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة، التى لم تجىء بعد، وسيقع قرب قيام الساعة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى رضي الله عنه.

وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين.

على أن بعض العلماء ذهب إلى الجمع بين هذه الآثار بأنهما دخانان ظهرت إحداهما وبقيت الأخرى، وهى التى ستقع فى آخر الزمان، فأما التى ظهرت؛ فهى ما كانت تراه قريش كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقى، الذى يكون عند ظهور الآيات التى هى من أشراط الساعة.

قال القرطبى: «قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذى بقى يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فتثقب مسامعه».

الأدلة من السنة المطهرة: عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًّا: الدجال، والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة...»[1]

طلوع الشمس من مغربها

وطلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة فى الكتاب والسُّنة المطهرة.

الأدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

أى يوم يأتى بعض أشراط الساعة حينئذ لا ينفع الإيمان نفسًا كافرة آمنت فى ذلك الحين ولا نفسًا عاصية لم تعمل خيرًا.

قال الطبرى: أى لا ينفع من كان قبل ذلك مشركًا بالله أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية العظيمة الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة.

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة فى الآية هو

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين.

الأدلة من السنة المطهرة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس؛ آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»**[1] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **« بادروا بالأعمال ستًّا: الدجال، والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة ....»**[2] .

ما السبب في عدم قبول الإيمان والتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها؟!!!

وهذا سؤال قد يخطر ببال كثير من الناس... ويتولى الرد على هذا السؤال باقة من أئمتنا - رحمة الله عليهم أجمعين -.

قال القرطبي: «قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسًا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيامة - في حالِ من حضره الموت؛ في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال؛ لم تُقبل توبته؛ كما لا تقبل توبة من حضره الموت».

وقال ابن كثير: «إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يُقبل منه، فأما مَن كان مؤمنًا قبل ذلك؛ فإن كان مصلحًا في عمله، فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطًا فأحدث توبة؛ حينئذ لم تقبل منه توبة».

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**[3] .

ويرى بعض العلماء أن الذين لا يُقبل إيمانُهم هم الكفار الذين عاينوا طلوع الشمس من مغربها، أما إذا امتدَّ الزمان، ونسي الناس ذلك؛ فإنه يُقْبل إيمان الكفار

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٦) كتاب الرقاق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وتوبة العصاة.

والجواب عن هذا كله: «أن النصوص دلَّت على أن التوبة لا تُقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، وأن الكافر لا يُقبل منه الإسلام، ولم تفرِّق النصوص بين مَن شاهد هذه الآية وبين من لم يشاهِدها».

ولقد ذكر الحافظ ابن حجر (رحمه الله) أحاديث وآثارًا كثيرة تدلُّ على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: «فهذه آثار يشدُّ بعضها بعضًا متَّفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أُغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختصُّ بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة».

الدابة

وخروج الدابة في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة في الكتاب والسنة.

الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]. أي أخرجنا للكفار هذه الآية الكبيرة «دابة الأرض» تكلم الناس وتناظرهم وتقول من جملة كلامها: ألا لعنة الله على الظالمين الذين لا يصدقون ولا يؤمنون بآيات الله.

قال ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكلم الناس وتخاطبهم مخاطبة. قال ابن عباس وعطاء: تكلمهم كلامًا فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

الأدلة من السنة المطهرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[1].

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعتُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٨) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريبًا»[(١)].

من أين تخرج الدابة:

اختلف العلماء في ذلك اختلافًا واضحًا فمنهم من قال: إنها تخرج من مكة المكرمة من أعظم المساجد، ومنهم من قال: إنها تخرج ثلاث خرجات.. فالله تعالى أعلم.

ماذا تفعل الدابة إذا خرجت:

قال ﷺ: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يُعمَّون فيكم حتى يشترى الرجل الدابة فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطَّم»[(٢)].

فالدابة إذا خرجت فإنها تسم المؤمن والكافر؛ فأما المؤمن؛ فإنها تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامة على إيمانه.

وأما الكافر؛ فإنها تخطمه على أنفه، علامة على كفره والعياذ بالله.

وجاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

ما المراد بتكليم الدابة للناس؟!!!

وفي معنى هذا التكليم اختلفت أقوال المفسرين:

١- أن المراد: تكلمهم كلامًا؛ أي: تخاطبهم مخاطبة، ويدل على هذا قراءة أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: (تنبئهم).

٢- تجرحهم، ويؤيد ذلك قراءة (تكلمهم)؛ بفتح التاء وسكون الكاف، من الكَلْم، وهو الجَرْح، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما أي: تسمهم وسمًا.

وروى عن ابن عباس أنه قال: «كلًا تفعل» أي: المخاطبة والوسم.

قال ابن كثير: «وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم».

وأما الكلام الذى تخاطبهم به؛ فهو قولها: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢١٨٠٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٢٧) من حديث أبى أمامة رضي الله عنه.

النار التى تحشر الناس

وهى آخر علامة من علامات الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة.

من أين تخرج تلك النار؟

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعره عدن، وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء فى روايات أخرى.

وإليك طائفة من الأحاديث التى تبيِّن مكان خروج هذه النار، وهى من الأدلَّة على ظهورها.

عن أنس ﷺ أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبى ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبى ﷺ: **«أما أول أشراط الساعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»**[1].

وجاء فى حديث حذيفة بن أسيد فى ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله ﷺ: **«وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»**[2].

وقال رسول الله ﷺ: **«ستخرج نارٌ من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة، تحشر الناس»**[3].

والجمع بين ما جاء أن هذه النار هى آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراط الساعة: أن آخريتها باعتبار ما ذُكِر معها من الآيات الواردة فى حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أوَّل الآيات التى لا شىء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ فى الصور؛ بخلاف ما ذُكِرَ معها من الآيات الواردة فى حديث حذيفة؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا».

وأما ما جاء فى بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن، وفى بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فيجاب عن ذلك بأجوبة:

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢٩) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى ﷺ.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٢١٧) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٩) من حديث ابن عمر ﷺ.

١- أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت فى الأرض كلها، والمراد بقوله: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»؛ إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢- أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولًا، ويؤيد ذلك ان ابتداء الفتن دائمًا من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب.

٣- يحتمل أن تكون النار المذكورة فى حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التى أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قِبَلِ المشرق، حتى خرب معظمه، وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر، وهما من جهة المغرب؛ كما شوهد ذلك مرارًا من عهد جنكزخان ومن بعده.

وأما النار التى فى حديثى حذيفة بن أسيد وابن عمر، فهى نار حقيقية، والله أعلم.

كيف تحشر النار الناس إلى أرض المحشر؟

عند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن؛ تنتشر فى الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج:

الأول: فوجٌ راغبون طاعِمون كاسون راكبون.

والثانى: وفوجٌ يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد.

والفوج الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانبٍ إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار.

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا»[1] .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٢٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٦١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة ﷺ.

هل هذا الحشر فى الدنيا أو الآخرة ؟

وقد يتساءل البعض: هل النار التى تحشر الناس إلى أرض المحشر تكون فى الدنيا أم فى الآخرة؟!

والحق أن هذا الحشر فى الدنيا وليس فى الآخرة.

ذكر القرطبى أن الحشر معناه الجمع، وهو على أربعة أوجه: حشران فى الدنيا، وحشران فى الآخرة:

أما حشرا الدنيا:

فالأول ـ إجلاء بنى النضير إلى الشام.

والثانى ـ حشر الناس قبل القيامة إلى الشام، وهى النار المذكورة هنا فى الأحاديث».

وذهب بعض العلماء كالغزالى والحليمى إلى أن هذا الحشر ليس فى الدنيا وإنما هو فى الآخرة.

وهذا مخالف لما جاءت به النصوص.

قال النووى: «قال العلماء: وهذا الحشر فى آخر الدنيا قبيل القيامة، وقبيل النفخ فى الصور، بدليل قوله ﷺ: تحشر بقيتهم النار؛ تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسى».

وإلى هذا الرأى ذهب ابن كثير وابن حجر.

وأما حشر الآخرة: فإنه قد جاء فى الأحاديث أن الناس مؤمنهم وكافرهم يُحشرون حُفاة عُراة غُرلًا بُهمًا، ففى الصحيح عن ابن عباس؛ قال: قام فينا النبى ﷺ ، فقال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وإن أول الخلق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل»[1] .

فدلَّ هذا على أن هذا الحشر يكون فى الدنيا قبل يوم القيامة.

وبهذا تظهر لنا أهمية الإيمان بالغيب ومكانته فى الإسلام ، فهو صفة المؤمنين المتقين ، وكل من يدعى علما بشىء من الغيب من تلقاء نفسه ، يكون ضالًا ومكذبا لخبر الله عز وجل . ونصوص الكتاب والسنة تبين أن علم الغيب من خصائص

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

المولى تبارك وتعالى ، وهذا يبين لنا حكم الذين يزعمون أنهم يخبرون عما سيقع فى المستقبل من حوادث ، أو يزعمون علم ما فى نفس الإنسان ، وغير ذلك من كذب ودجل وشعوذة ، مما نجد له صورا فى بعض الصحف والمجلات التى تحتوى على زاوية لقراءة حظ الإنسان ، أو معرفة ما يقع له فى المستقبل خلال معرفة الأبراج والكواكب ، نسأل الله السلامة والعافية .

واعلم أن الإيمان بأشراط الساعة جزء من الإيمان باليوم الآخر الذى هو ركن من أركان الإيمان . والإيمان بالغيب هو أساس الإيمان كله ؛ لأن أركان الإيمان كلها من الأمور الغيبية ، وقد بين الله عز وجل فى كتابه المبين أن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين المتقين فقال عز وجل : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

[البقرة: ١-٥]

البعث من القبور (يوم الحشر)

خلق الله العباد لطاعته، وكلفهم بعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات: ٥٦] ، وقد رسم لهم سبيل الخير، كما بين لهم طرق الشر، ولما كانت الطبيعة البشرية فيها الاستعداد لقبول الخير والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[الشمس: ٧، ٨] فقد يطغى جانب الشر أحيانا على جانب الخير، استجابة لداعى الشهوة الموجودة فى الطبيعة البشرية، فهى غالبا ما تجنح بصاحبها إلى تعدى الحدود التى يتحتم على المرء ألا يتجاوزها، فيوقع الظلم على الآخرين.

وواقع الحال يبين لنا أن كثيرا ممن ارتكبوا تلك الجرائم فى حق غيرهم، وأوقعوا الظلم بالآخرين قد غادروا هذه الحياة الدنيا، ولم ينل المظلوم حقه منهم، مع العلم بأن كل ذلك واقع بعلم الله القوى القادر السميع البصير، الذى يمهل ولا يهمل، والذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما.

ولما كان الظالم والمظلوم قد غادرا هذه الحياة الدنيا، ولم يأخذ المظلوم حقه من

ظالمه ولما كانت عدالة الله تعالى تقتضى القصاص، وأن يأخذ المظلوم حقه من الظالم كان لا بد من حياة أخرى، غير هذه الحياة، يتم فيها تقاضى الحقوق بين العباد ويقتص فيها للمظلوم من الظالم هذه الحياة هى التى تكون فى الآخرة، حين يبعث الله الناس من قبورهم ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣] ولذا كان من المحتم على المرء الاعتقاد، بوقوعه وتحققه. وهذا أمر يرشد إليه العقل، و يحتمه المنطق، وتدل عليه النصوص الدينية، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

لكن كثيرا من الناس قد ضلوا فى هذا الباب، فقصرت عقولهم عن إدراك هذا المعنى فأنكروا البعث بعد الموت، بلا دليل، سوى أنه استبعدوا وقوعه بعد تفتت الأجساد وتمزقها.

الحكمة من البعث والمعاد

إن الحكمة من المعاد الأخروى الذى هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم، أحياء كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادى الاختيارى الذى كسبوه فى هذه الدنيا، لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فالناس يعيشون فى هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتًا كبيرًا فى أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وفى سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغنى الثرى، ومنهم الفقير الشقى ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسىء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف فلو أنهم يموتون بانقضاء آجالهم، ولا يُبعثون لكان ذلك منافيًا للحكمة، مجانبًا للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما. فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمدًا ﷺ أن يقسم

عليهما فى قوله من سورة التغابن: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ٧].

وقال تعالى من سورة النحل: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾

[النحل: ٣٨- ٤٠].

أدلة البعث والنشور

لقد سلك القرآن الكريم فى إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هى غاية فى الوضوح والسهولة منها:

أولًا: إعادة خلق الشىء أيسر من خلقه أول مرة:

أن الشىء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أعدمه، وأفناه. فالذى بنى دارًا، ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا فى حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيرًا مما كانت.

والذى يصنع آلة من الآلات مخترعًا لها لا يستصعب عليه أن يعيدها كما كانت إذا هو كسرها بإرادته وإختياره ليحولها إلى آلة أفضل منها قبل.

ورد هذا المسلك من الاستدلال فى سورة الروم إذ قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم: ٢٧].

كما ورد فى سورة يس فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[يس: ٧٩].

ثانيًا: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:

أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله، وصدَّق برسوله الذى أرسل، وكتابه الذى أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنَّة والنار.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[طه: ١٥]

وقوله: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

* وفى مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧] ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ١-٨].

* الردّ على المكذبين به المنكرين له، كقوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

* وفى مواضع أخرى يذمُّ المكذبين بالمعاد، كقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾ [يونس: ٤٥].

* وأحيانًا يمدح المؤمنين بالمعاد ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٧-٩].

* وأحيانًا يخبر أنه وعد الصادق وخبرٌ لازم وأجلٌ لا شك فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ۝١٠٤﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤].

* وفى بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧] وقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ [النحل: ١] وقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

* وفى مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم الآلهة التى يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق وإعادته كقوله: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل: ٦٤]

* وبينَّ فى مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذى يعجز العباد ويذهلهم سهلٌ يسير عليه، ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)﴾ [القيامة: ٣، ٤].

هول المطلع

* هول المطلع هو الخروج من القبور أى النشور والبعث مرة أخرى وسمى هكذا لأننا نطالع المشاهد التى سمعنا عنها فى كتاب الله من أهوال القيامة، وقد قال الرسول ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت»(١).

يقول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١-١٤].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)......﴾ إلى آخر السورة [سورة الانفطار].

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) ......﴾ إلى آخر السورة [سورة الانشقاق]

* تخيل معى هذا المشهد المهيب... ها هى القبور تتشقق فى كل أنحاء الأرض والناس يخرجون بعد رقادٍ طويل فى تلك القبور الموحشة على العصاة والكافرين المنيرة للطائعين والموحدين، الكل يخرج من القبر ينفض التراب من على جسده وهو يشخص ببصره فى اتجاهٍ واحد إلى هذا الداعى (الملك الكريم) الذى يقود الناس إلى أرض المحشر للحساب والوقوف بين يدى الله -عز وجل- أيتها العظام البالية... أيتها الأجساد العارية... أيها الناس لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدى الله (عز وجل).

فها هو الكون كله يتجه إلى أرض المحشر للوقوف فى تلك الأرض لانتظار بدء

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٧ رقم ٤٨٠٦)، وقال الهيثمى (٧/ ١٣٤): رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات. والترمذى (٥/ ٤٣٣، رقم ٣٣٣٣) وقال: حسن غريب. والحاكم (٤/ ٦٢٠، رقم ٨٧١٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٣).

الحساب.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) ﴾ [طه: ١٠٨-١١٢].

فعندما نخرج من القبور لا يعرف بعضنا البعض وإذا عرفه أحد ينكره فالإنسان ينكر أمه وأباه وأخاه وزوجته لأنه لكل منهم يومئذ شأن يغنيه كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ [عبس: ٣٣- ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾ [الحاقة: ١٣- ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) ﴾ [ق: ٤١- ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ﴾ [القمر: ٦- ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) ﴾ [يس: ٥١- ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

﴿شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة]

صفة حشر العباد

يُحشر العباد حفاة عراة غرلًا أي غير مختونين كما قال الحبيب ﷺ «**يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلًا**» قالت عائشة يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(١).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ: قال: «**إنكم محشورون عُراة غُرلًا**» ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤](٢).

إن العبد يبعث على الحال التى مات عليها من الإيمان والكفر، واليقين والشك، كما يبعث على العمل الذى كان يعمله عند موته... يدلُّ على هذا ما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد الله بقوم عذابا، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بُعثوا على أعمالهم**»(٣).

فالذى يموت وهو مُحرم يُبعث يوم القيامة ملبيًا، وذلك أن رجلًا كان مع النبى ﷺ فوقصته ناقته وهو مُحرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبيه، ولا تُمِسُّوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا**»(٤).

والشهيد يُبعث يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك.

ومن هنا استحب تلقين الميت لا إله إلا الله، لعله يموت على التوحيد، ثم يبعث يوم القيامة ناطقا بهذه الكلمة الطيبة.

لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٥٢٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٣٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٦٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧١٠٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٧٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢/ ٦٥٦ رقم ١٧٥٢)، ومسلم (٢/ ٨٦٥، رقم ١٢٠٦).

[مريم: ٨٥، ٨٦] قال ابن عباس ﷺ: وفدًا: ركبانًا.

أما الورد: الجماعة العطاش، وهو مروى عن ابن عباس ﷺ أيضًا.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[الإسراء: ٩٧] .

وقال النبي ﷺ قال: «يُحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير. وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا»[1] .

وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا» قالت عائشة: يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال: **«يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»**[2] :

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[عبس:٣٧] .

ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلًا قال: يا نبي الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: **«أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرًا على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة؟»**[3] قال قتادة: بلى وعزة ربنا، قلت: وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

[الإسراء: ٩٧]

أرض المحشر

وها هى أرض المحشر التى يحشر عليها الناس جميعًا يوم القيامة ليس فيها شجر ولا حجر ولا بنيان فليس فيها مكان يختبئ وراءه الخلائق بل هى أرض مستوية كما أخبر النبيﷺ بذلك فقال: **«يُحشر الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء كقرصة النَّقى**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٠ ، رقم ٦١٥٧) ، ومسلم (٤/ ٢١٩٥ ، رقم ٢٨٦١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤/ ٢١٩٤ ، رقم ٢٨٥٩).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤/ ١٧٨٤ ، رقم ٤٤٨٢) ، ومسلم (٤/ ٢١٦١ ، رقم ٢٨٠٦).

ليس فيها معلمٌ لأحدٍ»[1].

وعن ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآية. قال: تبدل الأرض أرضًا كأنها الفضة لم يُسفك عليها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة.

وقال ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خُبزةً واحدة يتكفَّأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نُزلًا لأهل الجنة»[2].

جاءت الأحاديث الصحيحة لتخبر أن أرض المحشر هي أرض الشام.

قال ﷺ: «إنكم تحشرون رجالا و ركبانا و تجرون على وجوهكم هاهنا - وأومأ بيده نحو الشام»[3].

من أهوال يوم القيامة

إن يوم القيامة خَطْبُه جليل وشأنه عظيم لا يستطيع عقل بشرٍ أن يتخيل شدائده وأهواله... فلقد وصفه الحق (جل وعلا) بأنه يوم عظيم فقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٤-٦] ووصفه في موضع آخر بأنه عسير فقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: ٩، ١٠] ووصفه في موضعٍ آخر بأنه ثقيل فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧].

بل إن الطفل الوليد الذي لم يفعل سيئة واحدة ولم يرتكب جُرمًا فإنه يشيب شعر رأسه إذا عاين ورأى يوم القيامة... قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾ [المزمل: ١٧، ١٨].

وها هي الأم التي تتمنى أن تفدي وليدها بنفسها... ها هي تذهل عنه في ذلك

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥/ ٢٣٩٠، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٠، رقم ٢٧٩٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥/ ٢٣٨٩، رقم ٦١٥٥)، ومسلم (٤/ ٢١٥١، رقم ٢٧٩٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣، رقم ٢٠٠٤٣)، والترمذي (٤/ ٤٨٥، رقم ٢١٩٢) وقال: حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٦٠٨، رقم ٨٦٨٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠٢).

اليوم... والحامل تُسقط حملها وترى الناس كأنهم سُكارى من هول ذلك اليوم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ **[الحج: ١، ٢].**

وها هى الأنساب تنقطع بين الناس كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ ﴾ **[المؤمنون: ١٠١].**

فكل واحدٍ يريد النجاة بنفسه ولا يهتم بغيره بل إنه يفر من أحب الناس إليه...

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ **[عبس: ٣٣- ٣٧].**

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٣٣ ﴾

[لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨ ﴾ **[البقرة: ٤٨].**

وها هى أبصار الظالمين تشخص من هول ذلك اليوم فلا تطرف أبدًا من شدة الخوف ولا تلتفت يمينًا ولا شمالًا بل تصبح أفئدتهم خاوية لا تعقل شيئًا.. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ ﴾

[إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

بل ترتفع قلوبهم من شدة الهول إلى حناجرهم فلا هى تخرج ولا تستقر فى مكانها.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨ ﴾ **[غافر: ١٨].**

فالقلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم. قال قتادة: وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها... ومعنى

كاظمين: أى ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)﴾ [النبأ: ٣٨].

ويزداد هول ذلك اليوم بسبب طول الانتظار

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)﴾ [المعارج: ٤- ٧] ولذلك فهم يظنون أنهم لم يلبثوا إلا يومًا أو جزءًا يسيرًا من اليوم.

قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢)﴾ [المؤمنون: ١١٢] وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾ [النازعات: ٤٦] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)﴾ [طه: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)﴾ [الروم: ٥٥].

وحسبنا أن نعرف أن الكافر يأتى يوم القيامة فيرى أهوالها وشدائدها فيتمنى أن يفدى نفسه بكل ما فى هذا الكون.... قال تعالى مصورًا هذا المشهد المهيب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١)﴾ [آل عمران: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)﴾ [يونس: ٥٤] بل إنه لو كان يملك ضعف ما فى الأرض لافتدى بـه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)﴾ [المائدة: ٣٦].

وقال ﷺ: «إن الله يقول لأهون أهل النار عذابًا لو أن لك ما فى الأرض من شىء كنت تفتدى به قال نعم قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى فأبيت إلا الشرك» (١).

بل يصل الحال بهذا الكافر فى ذلك اليوم إلى أنه يتمنى أن يفدى نفسه من العذاب ولو دفع بأعز الناس عنده فى النار... قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣/ ١٢١٣ ، رقم ٣١٥٦) ، ومسلم (٤/ ٢١٦٠ ، رقم ٢٨٠٥).

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١١﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٢﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٣﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١١-١٥].

أول من ينشق عنه القبر

فإذا نفخ إسرافيل (عليه السلام) نفخة البعث يكون حبيبنا ﷺ أول من ينشق عنه القبر - أي أول من تنشق عنه الأرض - .

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشقُّ عنه القبر وأول شافعٍ وأول مشفعٍ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «استبَّ رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال: المسلم: والذى اصطفى محمدًا على العالمين، فقال اليهودى: والذى اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودى، فذهب اليهودى إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذى كان من أمره وأمر المسلم، فقال: **«لا تُخيروني على موسى، فإنَّ الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله عز وجل»**[2].

وفى رواية لهما: **«... فإنه ينفخ فى الصور، فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى: أحوسب بصعقة الطور، أم بُعث قبلى؟»**[3].

كم يبلغ طول هذا اليوم

وأما عن طول يوم القيامة فلقد أخبر عنه الحق (جل وعلا) بقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٖ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ١-٤].

وكل ذلك فى انتظار بدء الحساب... ومع ذلك فهناك صنف كريم أخلص العبادة

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٤/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢/ ٨٤٩، رقم ٢٢٨٠)، ومسلم (٤/ ١٨٤٤، رقم ٢٣٧٣).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣/ ١٢٥٤، رقم ٣٢٣٣)، ومسلم (٤/ ١٨٤٣، رقم ٢٣٧٣).

ـه - جل وعلا- فيمر عليه يوم القيامة كما بين صلاتى الظهر إلى العصر.

قال ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» [(١)] ومع ذلك فإنهم لا يقفون فى أرض المحشر فى تلك الشمس الحارقة بل يجلسون فى ظل عرش الرحمن -جل وعلا- يأكلون من تلك الوجبة التى أعدَّها لهم الملك -جل جلاله- وهى زيادة كبد الحوت ثم يذهبون لحوض النبى ﷺ فيشربون من يديه شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا.

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة

قال ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ «إذا الشمس كُورت» و«إذا السماء انفطرت» و«إذا السماء انشقت» [(٢)].

وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة، لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكور شمسها وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها، إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم، بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم، وأخذها بأيمانهم وشمائلهم، أو من وراء ظهورهم فى موقفهم على ما يأتى بيانه.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ **[الانشقاق: ١]** وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ **[الانفطار: ١]** وقال ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ **[الفرقان: ٢٥]** فتراها واهية منفطرة متشققة، كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩﴾ **[النبأ: ١٩]** ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض، وقيل إن الباء بمعنى عن، أى تشقق عن سحاب أبيض، ويقال: انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم، وذلك إذا بطلت المياه، وبرزت النيران، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن، وتتشقق لما يريد الله من

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ١٥٨، رقم ٢٨٣) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٩٣).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٧ رقم ٤٨٠٦)، وقال الهيثمى (٧/ ١٣٤): رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات. والترمذى (٥/ ٤٣٣، رقم ٣٣٣٣) وقال: حسن غريب. والحاكم (٤/ ٦٢٠، رقم ٨٧١٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٣).

نقض هذا العالم، ورفعه. وقد قيل: إن السماء تتلون، فتصفر، ثم تحمر، أو تحمر. ثم تصفر، كالمهرة تميل فى الربيع إلى الصفرة، فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة، ثم إلى الغبرة. قاله الحليمى.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] قال ابن عباس ﷺ: تكويرها إدخالها فى العرش. وقيل: ذهاب صفوها... قاله الحسن وقتادة.

فهى تُكوَّر، ثم يمحو ضوؤها ثم يُرمى بها والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ٢] أى انتثرت، قيل: تتناثر من أيدى الملائكة، لأنهم يموتون، وفى الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدى الملائكة. وقال ابن عباس ﷺ: انكدرت تغيرت، وأصل الانكدار الانصباب، فتسقط فى البحار، فتصير معها نيرانا، إذا ذهبت المياه.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ٣] هو مثل قوله ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] أى تحول عن منزلة الحجارة، فتكون كثيبًا مهيلًا، أى رملًا سائلًا، وتكون كالعهن، وتكون هباءً منبثًا، وتكون سرابا، مثل السراب الذى ليس بشىء. وقيل: إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم، كما تصير السماء من حرها كالمهل.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤] أى عطلها أهلها، فلم تُحلب من الشغل بأنفسهم. والعشار: الإبل الحوامل، واحدها عشر، وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعدما تضع،... وإنما خص العشار بالذكر، لأنها أعز ما يكون على العرب.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] أى جُمعت، والحشر الجمع.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] أى أوقدت، وصارت نارًا. رواه الضحاك عن ابن عباس ﷺ. وقال قتادة: غار ماؤها، فذهب. وقال الحسن والضحاك: فاضت ويقال: إن الشمس تُلف، ثم تُلقى فى البحار، فمنها تحمى، وتنقلب نارًا. قال الحليمى: ويحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار فى قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ تكون أكثرها، لأن الشمس أعظم من الأرض

مرات كثيرة، فإذا كُورت، وأُلقيت فى البحر، فصارت نارا، ازدادت امتلاءً.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ [التكوير: ٧] تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة شيعتها: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئًا يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين. وقال عكرمة: المعنى تُقرن بأجسادها، أى تُرد إليها، وقيل: يُقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان. وقيل: يُقرن المؤمنون بالحور العين، والكافرون بالشياطين.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨﴾ [التكوير: ٨] يعنى بنات الجاهلية، كانوا يدفنوهن أحياء، لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولونَ إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به. الثانية: مخافة الحاجة والإملاق، وسؤال الموءودة على وجه التوبيخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضُرب: لِمَ ضُربت؟ وما ذنبك؟ وقال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها، لأنها قُتلت بغير ذنب. وبعضهم يقرأ: وإذا الموؤدة سألت، تعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأى ذنب قتلتنى؟ وقيل: معنى سئلت، يسأل عنها كما قال: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ أى للحساب.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ [التكوير: ١١] قيل: معناه طُويت، كما قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أى كطى الصحيفة على ما فيها، فاللام بمعنى «على»، يقال: كشطت السقف، أى قلعته، فكان المعنى: قُلعت، فطويت والله أعلم، والكشط والقشط سواء، وهو القلع، وقوله ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢] أى أوقدت. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ [التكوير: ١٣] أى قربت لأهلها، وأدنيت.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ [التكوير: ١٤] أى من عملها، وهو مثل قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ [الانفطار: ٥].

يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم

فمثّل لنفسك وقد بُعثت من قبرك مبهورًا من شدة الصاعقة شاخص العين نحو

النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الرعب مضافًا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر.... قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أُغلقت الأبواب وأُرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور وظننت أن يوم الفصل بعيد.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ١ - ٣].

فأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشميرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال، بل إذا سُئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم.

ومن أُخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه ـ الذى أخبر ـ صدقت، ثم مد يديه لتناوله؛ كان مصدقًا بلسانه ومكذبًا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان.

فتفكر فى الخلائق وذلهم. وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفًا من هذه الصعقة، وانتظارًا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت فى الدنيا من المترفين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض فى ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم.... يوطئون بالأقدام مثل الذر، وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: ٥].

فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا

الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطُمس ضوء الشمس والقمر، وأظلمت الأرض لخمود سراجها. فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبةً ليومٍ تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صُفرة فصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة.

إنه اليوم الذى قال عنه الحق جل وعلا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

إنه اليوم الذى قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

[الحج: ١، ٢].

يوم القيامة... يا له من يوم

إنه اليوم الذى يقبض فيه الحق (جل وعلا) الأرض بيده ويطوى السماوات بيمينه كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] بل لقد أخبر عن كيفية طيه للسماوات فقال (عز وجل): ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن يهوديًا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يطوى الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرض بشماله** - وفى رواية: **يأخذهن بيده الأخرى - ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟»**(١).

وإنه اليوم الذى تتفجر فيه البحار وتشتعل نارًا «وإذا البحار فُجرِّت» «وإذا البحار سُجرِّت».

بل وتُنسف فيه الجبال الراسيات وتصبح كثيبًا مهيلًا ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء... قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ **[المزمل: ١٤]**.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ **[الحاقة: ١٣ - ١٦]**.

بل إن الحق (جل وعلا) يزيل هذه الجبال عن مواضعها.... قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ **[طه: ١٠٥ - ١٠٧]**.

وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ **[النبأ: ٢٠]**.

حتى هذه السماء الجميلة التى تسعد القلوب والعيون برؤيتها فإنها تضطرب اضطرابًا عظيمًا وتمور مورانًا وتتشقق ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ فتصبح السماء واهية ضعيفة ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

أما لون السماء الأزرق الجميل فإنه يزول ويذهب، وتأخذ السماء فى التلون فى ذلك اليوم كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها، فتارة حمراء، وتارة صفراء، وأخرى خضراء، ورابعة زرقاء، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ **[الرحمن: ٣٧]**.

حتى هذه الشمس التى جعلها الله سببًا من أسباب الحياة فإنها تُجمع وتُكوَّر ويذهب ضوؤها كما قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٤/ ٢١٤٨، رقم ٢٧٨٨).

بل وهذا القمر الذى نراه فى أبهى وأجمل صورة ويأنس به المسافرون فإنه يخسف ويذهب ضوؤه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة: ٧، ٨]

وهذه النجوم التى تُزين السماء فإنها تنكدر وتتناثر كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾.

فيا له من يومٍ ما أصعبه... فنسأل الله (عز وجل) أن يربط على قلوبنا وأن يرزقنا الأمان فى يوم الفزِع الأكبر.

الاستعداد لهذا اليوم

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كورت، والجبال قد سُيرت، والعشار قد عُطلت، والوحوش قد حُشرت، والبحار قد سُجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والجحيم قد سُعرت، والجنة قد أزلفت، والجبال قد نُسفت، والأرض قد مُدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم، يوم تُحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، يومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة.يوم تُرج الأرض فيه رجًا وتبس الجبال بسًا فكانت هباءً منبثًا، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تُبدلُ الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، يوم تُنسف فيه الجبال نسفًا فتترك قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عِوجًا ولا أمتا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يُمنع فيه العاصى من الكلام، ولايسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام، يوم تجد كل نفس

ما عملت من خيرٍ محضرًا وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يومٌ شيّب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق ﷺ: أراك قد شبت يا رسول الله قال: «شيبتنى هود وأخواتها»(١).

وهى الواقعة والمرسلات وعم يتسألون وإذا الشمس كورت، فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أُغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ١-٣]ثم يعرفنا قُرب القيامة فيقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧] ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملًا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يدركنا الله بواسع رحمته.

مثّل لقلبك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمورُ
قد كُورت شمسُ النهار وأضعفت	حرًا على روس العباد تفورُ
وإذا الجبال تعلقت بأصولها	فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كدورُ
وإذا العشار تعطلت عن أهلها	خلت الديار فما بها معمورُ
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحضرت	وتقول للأملاك أين نسيرُ

(١) صحيح: رواه الترمذى (٥/ ٤٠٢، رقم ٣٢٩٧) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/ ٣٧٤، رقم ٣٣١٤) وقال: صحيح على شرط البخارى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٢٣).

فيقال سيروا تشهدون فضائحًا ... وعجائبًا قد أحضرت وأمورُ

وإذا الجنين بأمه متعلقٌ ... خوف الحساب وقلبه مذعورُ

هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف المقيم على الذنوب دهورُ؟؟

مجيء جهنم

تأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا، ينتظرون حقيقة أنبائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] فأسكنوه دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يامالك قد نضجت منا الجلود، يامالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول لهم الزبانية: هيهات هيهات لا خروج لكم من دار الهوان. فلا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف فهم غرقى فى النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران، وسرابيل القطران، وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضائقها، ويتحطمون فى دركاتها، ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور، ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رؤوسهم الحميم، يُصهر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع

من حديد، تهشم بها جباههم، فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلودًا غيرها.... وكسرت عظامهم، وجُدعت آذانهم وأُعميت أبصارهم وأُبكمت ألسنتهم وغُلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على النار بوجوههم، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائهم، وحيات الهاوية وعقاربها متشبثةً بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

قال ﷺ «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول: إنى وكلت بثلاثة..... بكل جبارٍ عنيد وبكل من دعا مع اللّه إلهًا آخر وبالمصورين»[(١)].

وقال ﷺ **«يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**[(٢)]. فياله من مشهدٍ مهيب تتفطر منه القلوب فإذا جيء بجهنم لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه وقال: يارب سلم سلم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢١- ٢٤].

تأمل معى هذه الحسرة الشديدة لكل من فرط فى حق اللّه جل وعلا ـ أو رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ كلمة يقولها كل من فرط فى الصلاة وكل من عق والديه وكل من ظلم العباد وكل من حارب اللّه جل وعلا وتقولها كل من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة ناسيةً قول اللّه جل وعلا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٣٦، رقم ٨٤١١)، والترمذى (٤/ ٧٠١، رقم ٢٥٧٤) وقال: حسن غريب. والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/ ١٩٠، رقم ٦٣١٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٥١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٨٤، رقم ٢٨٤٢).

وناسيةً قول رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساءٌ كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

أما آن الأوان يا أختاه أن تلبسى حجابك ليكون حجابًا لك من النار..... أما آن الأوان لتلبسى لباس الستر والعفاف وتنقادى لأمر اللّه وأمر رسول اللّه ﷺ حتى لا تكونى من أهل النار الذين أخبر عنهم النبى ﷺ فى الحديث السابق....إنها كلمة فى أذن كل فتاة مسلمة تؤمن باللّه واليوم الآخر ـ يا أختاه أنقذى نفسك من النار قبل أن تصرخى وتقولى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾.

فها هى الفرصة أمامك فتوبى إلى اللّه وأسرعى الخُطى ولسان حالك ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤] واسجدى بين يدى اللّه عز وجل واطلبى منه المغفرة والرحمة فهو القائل ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ **[الحجر: ٤٩، ٥٠]**.

ويا من تظلم وتتجبر لا تنس هذا المشهد المهيب عند مجىء جهنم فتب إلى اللّه وتحلل من المظالم. قبل أن تصرخ وتقول: «يا ليتنى قدمت لحياتى» فتندم حيث لا ينفع الندم ولا تُدفع النِقم.

فى ظل عرش الرحمن - جل وعلا-

ومع كل هذه الأهوال والكُربات فهناك صنفٌ كريم يكون فى ظل عرش الرحمن - جل وعلا-.

قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[2].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٣/ ١٦٨٠، رقم ٢١٢٨).

(٢) **متفق عليه:** روه البخارى (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١).

والإظلال فى ظل عرش الرحمن ليس مقصورًا على السبعة المذكورين فى الحديث بل لقد أخبر النبى ﷺ عن غيرهم أنهم يكونون فى ظل عرش الرحمن -جل وعلا-.

قال ﷺ: **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»**[1].

وقال ﷺ: **«من أنظر مُعسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»**[2].

وقال ﷺ: **«من نفَّس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة»**[3].

المشركون ومشاهد الحسرة

إنها الحسرة على كلِّ من أشرك بالله -جل وعلا-.

وذهب يطلب المدد من البدوى وغيره وذهب يذبح وينذر لغير الله ويعتقد أن النفع والضر بيد المخلوقين وليست بيد الله جل وعلا فيعيش فى تلك الحياة، وقد انسلخ من ثوب الإيمان وارتدى ثوب الجحود والكفران فيُحرم من نعيم القرب من الرحمن ويعيش عيشة الذل والحرمان..... إنها الحسرة عندما يخرج أهل الشرك على تلك الهيئة التى يصورها القرآن لنا، حيث يقول جل وعلا ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المعارج: ٤٣، ٤٤].

وقال ﷺ: **«يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيدٍ واحد ثم يطّلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع كل إنسان ما كان يعبد؟ فيُمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين...»**[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٨٨، رقم ٢٥٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٠٠، رقم ٢٢٦١٢) وعبد بن حميد (ص ٩٧، رقم ١٩٥)، والدارمى (٢/ ٣٤٠، رقم ٢٥٨٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩١١).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٦٩١، رقم ٢٥٥٧) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٢٥).

ثم بعد ذلك ينادى المشركون على آلهتهم فلا تستجيب لهم. ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الكهف: ٥٢].

وفى النهاية فالنار تجمع المشركين وآلهتهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[الأنبياء: ٩٨- ١٠٠].

قال ﷺ: «إذا جمعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخرينَ، ليومٍ لا ريبَ فيهِ، نادَى منادٍ: منْ كانَ أشركَ فى عَملٍ عملهُ لله أحدًا فليطلبْ ثوابهُ مِنْ عندهِ فإنَ الله أغنى الشركاءِ عنِ الشركِ»[1].

وقال ﷺ: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشركُ الأصغرُ الرِّياءُ، يقولُ الله يومَ القيامةِ إذا جزَى النَاسَ بأعمالهم: اذهبُوا إلى الذينَ كنتمْ تراؤونَ فى الدُّنيا، فانظروا هلْ تجدونَ عندهم جزاءَ»[2].

الكافر ليس له حسنات

قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى عليها فى الدنيا ويُثاب عليها فى الآخرة وأما الكافر فيُطعمَ بحسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن لهُ حسنة يُعطى بها خيرًا»[3].

يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار فى النار، ومن شاء الله معهم من أهل القبلة. قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. فيقولون: ما أغنى عنكم

---

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٦٦، رقم ١٥٨٧٦)، والترمذى (٥/ ٣١٤، رقم ٣١٥٤) وقال: حسن غريب، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، رقم ٢٣٦٨٠). قال المنذرى (١/ ٣٤): إسناده جيد. وقال الهيثمى (١/ ١٠٢): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى الجامع (١٥٥٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٦٢، رقم ٢٨٠٨).

إسلامكم إذ أنتم معنا فى النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله عز وجل ما قالوا. فيأمر بإخراج من كان فى النار من أهل القبلة، فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[الحجر: ٢](1).

فيا لها من فرحة لأهل الإسلام والتوحيد... فيا إخوانى اعرفوا قدر الإسلام، بل اعرفوا قدر أنفسكم فى ظل الإسلام.

ظلمات بعضها فوق بعض

إن الشدائد التى تمر بالكفار والمنافقين لا تنتهى أبدًا... فالعذاب لا يفارقهم أبدًا منذ اللحظة التى يأتيهم فيها ملك الموت وإلى أن يدخلوا نار جهنم ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ.

فها هم يخرجون من قبورهم فى حالة شديدة من الذلة والمهانة كما وصفهم الحق -جل وعلا- فقال: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

بل إنهم ينادون بالويل والثبور إذا نُفخ فى الصور وقاموا من القبور... قال العزيز الغفور: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس: ٥١، ٥٢].

وها هم فى أرض المحشر شاخصة أبصارهم وأفئدتهم خالية إلا من الهول والشدائد التى تحيط بهم من كل جانب.. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فإذا برزوا للواحد القهار جىء بهم فى حالة شديدة من الذل والصغار مقرَّنين فى

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبى عاصم (٢/ ٤٠٥، رقم ٨٤٣)، وابن جرير فى التفسير (١٤/ ٢)، والحاكم (٢/ ٢٦٥، رقم ٢٩٥٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى. والبيهقى فى البعث والنشور (ص ٩١، رقم ٧٩). وعزاه ابن كثير فى التفسير، وصححه العلامة الألبانى فى ظلال الجنة (٨٤٣).

لأصفاد مُسربلين بالقطران تغشى وجوههم النار... قال العزيز الجبار: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥٠].

ويتحسر الكافر يوم القيامة على كفره ويندم على عمره الذى ضاع فى الشرك والكفران بدلًا من أن يستعمله فى نعمة التوحيد والإيمان... قال ذو الجلال والإكرام: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾

[الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

فيتمنى الكافر فى ذلك اليوم أن يُهلكه الله وأن يجعله ترابًا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [النساء: ٤٢].

﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠].

ويزداد الأمر سوءًا عندما يجد الكافر أعماله أصبحت يوم القيامة هباءً منثورًا... كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣].

فتنة الأتباع والمتبوعين

إنه مشهد الخزى الذى تتفطر له القلوب المؤمنة، إنها اللحظة الحاسمة التى يتبرأ فيها أهل الطغيان من الأتباع الذى اتبعوهم فى كفرهم وضلالهم.

وكانت البداية فى الحياة الدنيا كما سطرها اللّه فى كتابه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٢].

وهذه هى البداية وهذا هو دأب أهل الضلال فى مكرهم بأهل الإيمان فهم يطلبون منهم أن يتبعوهم فى كفرهم ويعطونهم العهود والمواثيق أنهم سيحملون خطاياهم يوم القيامة «وهذا على سبيل المكر والخداع» فمن تبعهم من المؤمنين فى الدنيا فسوف يذوق الحسرة الدائمة التى لا تنقطع فى الآخرة ولذا قال اللّه جل وعلا ردًا على هؤلاء الكافرين: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

[العنكبوت: ١٢، ١٣]

ولكى يزداد الأمر وضوحًا وجلاءً فإن الحق تبارك وتعالى يصور لنا تلك المشاهد محذرًا لنا من اتباع أهل الباطل ومحذرًا لنا من حسرات يوم القيامة فقال جل وعلا: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [إبراهيم: ٢١].

أى قال الأتباع وهم ضعاف الإيمان للكبراء والكفار ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ لقد سرنا وراءكم فى كل ما يغضب الله جل وعلا وما عصينا أمركم أبدًا بل عصينا الله من أجل أن ترضوا عنا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يسألونهم هل ستدفعون عنا شيئًا من عذاب الله كما أطعناكم فى سخط الله ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

وما زالت المشاهد تتوالى وتتوالى ـ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧]. فإذا بالسادة أذلة قد عنت وجوههم للحى القيوم ولا يملكون لأنفسهم شيئًا ولا يستطيعون وهم يقولون: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٨].

فكم من ظالم يردد ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

فالعقلاء بمقالتهم لا يغترون وإن فعلوا فهم فى العذاب والخزى والحسرة يومئذ مشتركون.

وتصور معى يا أخى هذا الجو من الحسرة والخزى والندامة والمخيمة على المستضعفين والمستكبرين ـ فالأتباع الضعفاء يتهمون زعماءهم بالحيلولة بينهم وبين الإيمان.... والمستكبرون يقولون لأتباعهم أنتم المجرمون دعوناكم فكنتم مجيبين..... فلو رأيتهم إذ وقفوا بين يدى ربهم من غير إرادة منهم ولا اختيار ترهقهم ذلة وهم ينتظرون الجزاء!!

يتراجعون فيرجع بعضهم إلى بعضٍ القول ويلوم بعضهم بعضًا ويؤنب بعضهم بعضا، ويُلقى بعضهم تبعة ما هم فيه على بعض فيقول أتباع الضلال الذين استُضعفوا لقادة الضلال الذين استكبروا ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١﴾ [سبأ: ٣١].

يقولونها جاهلين بها صادعين فى وقتٍ لم يكونوا فى الدنيا بقادرين على تلك المواجهة، فكان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام وبيع الحرية التى وهبها الله لهم والكرامة التى منحهم الله إياها.

فاليوم فى تلك الحسرة قد سقطت القيم الزائفة وواجهوا العذاب فهم يقولونها غير خائفين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١﴾ لقد كنتم حائلًا بيننا وبين الإيمان لقد زينتم لنا الفسق والكفران فأنتم المجرمون وبالعذاب أنتم جديرون وله مستحقون.... وفى تلك اللحظات يضيق الذين استكبروا بهم ذرعا فهم فى البلاء سواء.... وعندها يردون عليهم فى ذلة مصحوبة بفظاظة وفحشاء ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ [سبأ: ٣٢] الله أكبر!! كانوا فى الدنيا لا يقيمون للضعفاء وزنا ولا يأخذون لهم رأيا ولا يعتبرون لهم وجودا ولا يحتملون منهم مخالفة أو حتى مناقشة، أما اليوم فى تلك الحسرة فهم يسألونهم فى ذل وحقار ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢﴾ [سبأ: ٣٢].

وهذا اعتراف منهم بأنهم زينوا لهم الإجرام والكفر ولكنهم لم يقهروهم عليه بل لقد كان الضعفاء مستعدين لقبول هذا الكفر والإجرام.

وتأتى الردود الحاسمة من المستضعفين الذين لم يكونوا فى الدنيا قادرين على أن ينطقوا بكلمة واحدة، ولكن بعد أن سقطت القناعات الزائفة وظهرت الحقائق واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار قالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

أى أن مكركم لم يفتر ليلًا ولا نهارًا فى الصد عن الهدى فأنتم تزينون لنا الضلال وتشجعوننا على الفساد وتقولون إنه الحق ثم تقدحون فى الحق وتزعمون أنه باطل فمازال مكركم بنا حتى أغويتمونا وفتنتمونا!!

وتالله يا إخوانى إن صور المكر تتنوع وتتغير من عصر لآخر ففى وقت نزول

القرآن كانت تتخذ أشكالًا من الأشعار فى المنتديات الجاهلية توجه بها التهم الباطلة لرسول الله ﷺ ومن معه أو لصد الناس عن سماع الحق، أو لإثارة نعرة القوميات والآباء والأجداد، لكن ماذا يساوى هذا المكر بالنسبة للمكر فى زماننا الحاضر فما يكاد التلفاز وما فيه من الرذيلة يبث على مدى الأربع وعشرين ساعة الرذيلة فى بيوت المسلمين وينهاهم عن كل فضيلة وما يكاد التلفاز يُغلق حتى يأتى دور الفيديو ثم يأتى البث المباشر ثم المجلة الهابطة والقصة الخليعة، وهكذا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ولكننا نسأل أنفسنا هذا السؤال: هل يُعذر المسلم لمعايشة هذا المكر؟!

كلا والله لا يُعذر لأنه هو الذى أتى به إلى بيته واستأنس بكل ما فيه من الرذيلة ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢)﴾ [سبأ: ٣٢].

ويرد هؤلاء المستضعفون﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

ومن هنا ندرك أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء إلا براءة بعضهم من بعض لأنه قد علم كل واحد منهم أنه ظالمٌ لنفسه مستحقٌّ للعذاب فندم حين لا ينفع الندم وتمنى أن لو كان على الحق والإيمان ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ [سبأ: ٣٣]، فقضى الأمر وسكت الحوار وانتهى الجدل.

وفى سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أى مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان الله وجليل قدرته وُجد فى الناس من يتخذ معه سبحانه ندًّا يعبده من الأصنام ويحبه «كحب الله»، أى كحب المؤمنين لله... أو كما يحب المشركون الله يحبون أندادهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أى أشد فى حبهم لله من حب الكفار للأنداد ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾ [البقرة: ١٦٥].

أى ولو أن الذين ظلموا بمحبتهم الأنداد كحب الله لو يرون حالهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة ومعاينتهم قوة الله وبطشه وعجز آلهتهم عن أن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ أى تبرأ السادة والرؤساء وأئمة الكفر ممن تبعهم

على الكفر ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يعنى التابعين والمتبوعين ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]الصلات والعلاقات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا من الرحم وغيره ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧]

ففى هذا المشهد يتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا ويعملوا صالحًا ويتبرأوا من أئمة الكفر كما تبرأوا منهم فى الآخرة، ولكن هيهات هيهات ويا لها من حسرة!!!

ويقول الحبيب ﷺ:«تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر ما أدرى ما يعنى بالميل: أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال: **«فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا»** [1].

وها هى الأم التى تتمنى أن تفدى وليدها بنفسها... ها هى تذهل عنه فى ذلك اليوم... والحامل تُسقط حملها وترى الناس كأنهم سُكارىٰ من هول ذلك اليوم.

بل ترتفع قلوبهم من شدة الهول إلى حناجرهم فلا هى تخرج ولا تستقر فى مكانها.

وقال ﷺ:«إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعًا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو آذانهم» [2].

وقال ﷺ فى قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه» [3].

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ

---

(١) **صحيح**:رواه مسلم (٤/ ٢١٩٦، رقم ٢٨٦٤).

(٢) **صحيح**:رواه مسلم (٤/ ٢١٩٦، رقم ٢٨٦٣).

(٣) **صحيح**:رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٣، رقم ٦١٦٦).

صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١]. الضعفاء المستذلين. ومعهم الشيطان.. ثم الذين آمنوا بالرسل وعملوا الصالحات.. برزوا «جميعًا» مكشوفين. وهم مكشوفون لله دائمًا. ولكنهم الساعة يعلمون ويحسون أنهم مكشوفون لا يحجبهم حجاب، ولا يسترهم من ساتر، ولا يقيهم واق.. برزوا وامتلأت الساحة ورُفع الستار، وبدأ الحوار: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

* والضعفاء هم الضعفاء. هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية فى التفكير والاعتقاد والاتجاه؛ وجعلوا أنفسهم تبعًا للمستكبرين والطغاة. ودانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله. والضعف ليس عذرًا، بل هو الجريمة؛ فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفًا، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله. وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعًا عن نصيبه فى الحرية - التى هى ميزته ومناط تكريمه - أو أن ينزل كارهًا. والقوة المادية - كائنة ما كانت - لا تملك أن تستعبد إنسانًا يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية. فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه. أما الضمير. أما الروح. أما العقل. فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال!

من ذا الذى يملك أن يجعل أولئك الضعفاء تبعًا للمستكبرين فى العقيدة، وفى التفكير، وفى السلوك؟ من ذا الذى يملك أن يجعل أولئك الضعفاء يدينون لغير الله، والله هو خالقهم ورازقهم وكافلهم دون سواه؟ لا أحد. لا أحد إلا أنفسهم الضعيفة. فهم ضعفاء لا لأنهم أقل قوة مادية من الطغاة، ولا لأنهم أقل جاهًا أو مالًا أو منصبًا أو مقامًا.. كلا، إن هذه كلها أعراض خارجية لا تعد بذاتها ضعفًا يلحق صفة الضعف بالضعفاء. إنما هم ضعفاء لأن الضعف فى أرواحهم وفى قلوبهم وفى نخوتهم وفى اعتزازهم بأخص خصائص الإنسان!

إن المستضعفين كثرة، والطواغيت قلة. فمن ذا الذى يُخضع الكثرة للقلة؟ وماذا الذى يخضعها؟ إنما يخضعها ضعف الروح، وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والتنازل

لداخلى عن الكرامة التى وهبها الله لبنى الإنسان!

إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير. فهى دائمًا قادرة على الوقوف لهم لو أرادت. فالإرادة هى التى تنقص هذه القطعان!

إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل فى نفوس الأذلاء.. وهذه القابلية هى وحدها التى يعتمد عليها الطغاة!! والأذلاء هنا على مسرح الآخرة فى ضعفهم وتبعيتهم للذين استكبروا يسألونهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾؟..

وقد اتبعناكم فانتهينا إلى هذا المصير الأليم؟!

أم لعلهم وقد رأوا العذاب يهمون بتأنيب المستكبرين على قيادتهم لهم هذه القيادة، وتعريضهم إياهم للعذاب؟ إن السياق يحكى قولهم وعليه طابع الذلة على كل حال!

ويرد الذين استكبروا على ذلك السؤال:

﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾..

فعلام تلوموننا ونحن وإياكم فى طريق واحد إلى مصير واحد؟ إننا لم نهتد ونضللكم. ولو هدانا الله لقدناكم إلى الهدى معنا، كما قدناكم حين ضللنا إلى الضلال! وهم ينسبون هداهم وضلالهم إلى الله. فيعترفون الساعة بقدرته وكانوا من قبل ينكرونه وينكرونها، ويستطيلون على الضعفاء استطالة من لا يحسب حسابًا لقدرة القاهر الجبار. وهم إنما يتهربون من تبعة الضلال والإضلال برجع الأمر لله.. والله لا يأمر بالضلال كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨].. ثم هم يؤنبون الضعفاء من طرف خفى، فيعلنونهم بأن لا جدوى من الجزع كما أنه لا فائدة من الصبر. فقد حق العذاب، ولا راد له من صبر أو جزع، وفات الأوان الذى كان الجزع فيه من العذاب يجدى فيرد الضالين إلى الهدى؛ وكان الصبر فيه على الشدة يجدى فتدركهم رحمة الله. لقد انتهى كل شىء، ولم يعد هنالك مفر ولا محيص:

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾!

لقد قُضى الأمر، وانتهى الجدل، وسكت الحوار.. وهنا نرى على المسرح عجبًا. نرى الشيطان.. هاتف الغواية، وحادى الغواة.. نراه الساعة يلبس مسوح الكهان، أو

مسوح الشيطان! ويتشيطن على الضعفاء والمستكبرين سواء، بكلام ربما كان أقسى عليهم من العذاب:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الله! الله أما إن الشيطان حقًّا لشيطان! وإن شخصيته لتبدو هنا على أتمها كما بدت شخصية الضعفاء وشخصية المستكبرين فى هذا الحوار...

إنه الشيطان الذى وسوس فى الصدور، وأغرى بالعصيان، وزيَّن الكفر، وصدهم عن استماع الدعوة... هو هو الذى يقول لهم وهو يطعنهم طعنة أليمة نافذة، حيث لا يملكون أن يردوها عليه - وقد قضى الأمر - هو الذى يقول الآن، وبعد فوات الأوان:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾!

ثم يخزهم وخزة أخرى بتعييرهم بالاستجابة له، وليس له عليهم من سلطان، سوى أنهم تخلوا عن شخصياتهم، ونسوا ما بينهم وبين الشيطان من عداء قديم، فاستجابوا لدعوته الباطلة وتركوا دعوة الحق من الله:

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾!

ثم يؤنبهم، ويدعوهم لتأنيب أنفسهم. يؤنبهم على أن أطاعوه!:

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾!

ثم يخلى بهم، وينفض يده منهم، وهو الذى وعدهم من قبل ومنَّاهم، ووسوس لهم أن لا غالب لهم، فأما الساعة فما هو بملبيهم إذا صرخوا، كما أنهم لن ينجدوه إذا صرخ:

﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾..

وما بيننا من صلة ولا ولاء!

ثم يبرأ من إشراكهم به ويكفر بهذا الإشراك:

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾!

ثم ينهى خطبته الشيطانية بالقاصمة يصبها على أوليائه:

﴿إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾!

فيا للشيطان! ويا لهم من وليهم الذى هتف بهم إلى الغواية فأطاعوه؛ ودعاهم رسل إلى الله فكذبوهم وجحدوه!

وقبل أن يُسدل الستار نبصر على الضفة الأخرى بتلك الأمة المؤمنة، الأمة الفائزة، الأمة الناجية:

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣].

ويسدل الستار..

فيا له من مشهد! ويا لها من خاتمة لقصة الدعوة والدعاة مع المكذبين والطغاة!.

بل يذكر الحق (جل وعلا) تخاصم الضعفاء والسادة فى موضع آخر فيقول:

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

وها هى صورة أخرى من تخاصم الأتباع مع قادة الضلال من أصحاب المبادىء المناقضة للإسلام.

قال تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٢٢- ٣٥].

بل ها هى صورة أخرى من مخاصمة العابدين للمعبودين.

قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ

﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: ٩١- ٩٩].

إنهم يخاطبون آلهتهم التى كانوا يعبدون، معترفين بضلالهم إذ كانوا يعبدونها. ويسوون بينها وبين الخالق، وقد خاب وخسر من رفع المخلوق إلى مرتبة الخالق. وكل من عبد من دون الله آلهة، فقد سوى بين الخالق والمخلوق، وهذا هو الظلم العظيم، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

أما الصالحون الأخيار الذين عُبدوا وهم لا يعلمون، أو عُبدوا بغير رضاهم كالملائكة وصالحى البشر، فإنهم يتبرؤون من عابديهم، ويكذبون زعم العابدين وافتراءهم فإن الملائكة ما طلبت هذه العبادة ولا رضيت بها، والذين طلبوها هم الجن، كى يضلوا البشر ويوبقوهم، فهؤلاء الضالون عبَّادون للجن لا للملائكة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

بل إنه فى ذلك اليوم - يوم القيامة - يقع التخاصم بين الكافر وبين قرينه الشيطان. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٣- ٢٩].

وفى ذلك الموقف يمقتون أنفسهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر: ١٠]، كما يمقتون كل الذين كانوا لهم أنصارًا وخلانًا فى الدنيا، ويدعون عليهم، ويطلبون لهم المزيد من العذاب ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦- ٦٨] ولشدة حنقهم على من أضلهم يسألون الله أن يريهم الذين أضلوهم ليدوسوهم بأقدامهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجرم كل مَنْ كفر بالله جل وعلا، وبذنب كل مَنْ عصى الله سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٤].

قال ﷺ: «**هل تُضارّون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة؟ قالوا: لا قال: هل تُضارّون، فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة؟ قالوا: لا قال: فوالذى نفسى بيده لا تضارّون فى رؤية ربكم عز وجل إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: أى فُل - يعنى يا فلان - ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقىَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثانى فيقول له: أى فُلُ؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقىَّ؟ فيقول: لا فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: رب آمنت بك وبكتابك. وبرسلك وصليت وصُمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول: هاهنا إذن. ثم يقال: الآن نبعث شاهدًا عليك ويتفكر فى نفسه: مَن ذا الذى يشهد علىَّ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه: انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعذَر من نفسه، وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه**»[1].

فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٨).

تعالى يسألك شفاها، فيقول لك: ألم أنعم عليك بالشباب ففى ماذا أبليته، ألم أمهل لك من العمر ففيماذا أفنيته، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته، وفى ماذا أنفقته، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت. فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدّ عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساوئك، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك..

قال أنس رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: **«أتدرون مما أضحك»** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم؟»** قال: **«يقول: بلى»** قال: **«فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدًا منى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا»** قال: **«فيُختم على فيه ويقال لأركانه انطقى»** قال: **«فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه: بعدًا لكنَّ وسُحقًا فعنكن كنت أناضل»**[1].

فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

فاتق الله يا أخى فى تلك الجوارح ولا تسعَ بها إلى المعاصى، بل اجعلها تعمل فى طاعة الله جل وعلا، فإن الجوارح ستنطق وتتكلم وتخبر بما عملته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التى هى من الحجارة والصخور سوف تتكلم وتُخبر بكل ما حدث على ظهرها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ **[الزلزلة: ٤، ٥]**.

إننا لابد أن نعلم يقينًا أنه ما من ذنبٍ إلا وكانت عاقبته الحسرة والندامة فى الدنيا والآخرة ولكننى سوف ألقى الضوء على بعض الذنوب التى تصاحبها مشاهد الحسرة يوم القيامة.

يقول ابن الجوزى: لتعظمن على أهل المخالفات الآفات ولتقطعن أفئدة المفرطين بالزفرات وليشتهرن الفاجر فى الخلوات بالجلوات ولتمورن السُّوق يوم السَوق إلى سُوق المحاسبات ولتسلين الدماء بعد الدموع على الوجنات وليتحسرن أهل المعاصى إذا لاحت درجات الجنات ولينادين منادى الجزاء يخبر بتفاوت

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٢٨٠، رقم ٢٩٦٩)

نعطاء ووقوع السيئات ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال أبو حامد فى كتاب (كشف علم الآخرة): ومن الناس من يُحشر بفتنته الدنيوية، فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم، فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه بيمينه فيطرحه من يده ويقول: سحقًا لك، شغلتنى عن ذكر الله، فيعود إليه، يقول: أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، وكذلك يبعث السكران سكران، والزامر زامرًا، وكل واحد على الحال الذى صده عن سبيل الله.

من قتل نفسًا بغير حق

إنها الحسرة على كل من قتل نفسًا بغير حق.

فقد قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، فقال: **«أبغض الناس إلى الله ثلاثة - وذكر منهم - ومطّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه»**. فهو من أبغض الخلق إلى الله جل وعلا فى الدنيا والآخرة.

أما المشهد الثانى فيصوره لنا النبى ﷺ قائلًا: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلنى؟ حتى يدنيه من العرش».

الذين يأكلون الربا

إنها الحسرة على من ترك البيع الحلال وذهب يتعامل بالربا الذى حرَّمه الله (عز وجل).

فأما حسرته فى الدنيا فيقول النبى ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه وهم فيه سواء»[1].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٣/ ١٢١٩، رقم ١٥٩٨).

وقال ﷺ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستةٍ وثلاثين زنية»[(١)].

وقال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه»[(٢)].

بل إنه إذا ظهر الربا فى قوم فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل: قال ﷺ «إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»[(٣)].

وأما حسرة آكل الربا فى القبر فيقول ﷺ فى جزء من حديث طويل: «فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول: «أحمر مثل الدم» - وإذا فى النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فليقمه حجرًا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجرًا». فلما سأل النبى وقال: ما هذان؟ قال -: «وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا»[(٤)].

فهذا عذابه فى قبره وأما عن عذابه وحسرته يوم القيامة فقد قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أى أن الذين يأكلون الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا.

يقول ابن عباس: آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٢٥، رقم ٢٢٠٠٧)، والدارقطنى (٣/ ١٦)، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٤/ ١١٧) قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٨/ ٣١٤، رقم ١٥٣٤٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

(٣) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٤٣ رقم: ٢٢٦١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٨)، والطبرانى (٧/ ٢٣٧، رقم ٦٩٨٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٨).

الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]

قال ابن كثير: أى إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون نارًا تتأجج فى بطونهم يوم القيامة.

وقال السدى: يُحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه - فمه - ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم.

تارك الصلاة

وها هو تارك الصلاة عندما تنكشف له الحقائق يوم القيامة يريد أن يسجد فيُحال بينه وبين السجود لله -جل وعلا-.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال ابن كثير: أى فى الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم فى الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة، إذا تجلى الرب، عز وجل، فيسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجُد، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرّ لقفاه، عكس السجود، كما كانوا فى الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

قال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حى على الصلاة حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.... فكل من حافظ على الصلاة فى الدنيا يسجد لله فى الآخرة أما من تركها فى الدنيا فإن الله يسلبه نعمة السجود فى الآخرة.

- وروى أنه أول من يسوّد يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وأن فى جهنم واديًا يقال له: (لملم) فيه حيات: كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

فيا لها من حسرة.

الذين لا يؤدون الزكاة

وأما عن مشاهد الحسرة للذين لا يؤدون الزكاة فهى كثيرة وسأكتفى بمشهدين منها:

أما المشهد الأول فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ويا له من مشهد عظيم... والسؤال هنا لماذا اختار الله الجبهة والجنب والظهر دون سائر الجسد؟!

والجواب عن ذلك أن الفقير كان فى الدنيا إذا ذهب إلى الغنى ليسأله أن يعطيه مما أعطاه الله فإن الغنى يعبس بجبهته فى وجه الفقير فإذا تكرر السؤال من الفقير فإن الغنى يعطيه جانبه فإذا ازداد إلحاح الفقير فإن الغنى يعطيه ظهره!! فاختار الله عز وجل تلك المواطن الثلاث التى أعرض بها الغنى عن الفقير لتعذب بنفس أمواله بعد أن يُحمى عليها فى نار جهنم... وهذا ما أخبر عنه النبى ﷺ أيضًا حيث يقول: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأُحمى عليها فى نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت عليه، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار»**. قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: **«ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها، ومن حقها حَلْبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر، أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخراها، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: **«ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى فيها**

حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئًا، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[(١)].

وأما المشهد الثانى: فإنه يُمثَّل لصاحب المال ماله شجاعًا أقرع، له زبيبتان، يطوق عنقه، ويأخذ بلهزمتى صاحبه، قائلا له أنا مالك، أنا كنزك، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته، مُثِّل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك.** ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ **[آل عمران: ١٨٠]**[(٢)].

المتكبرون

ويا له من مشهدٍ رهيب للمتكبرين الذين ملأوا الدنيا كبرًا وعنادًا واستعلاءً.

ها هم يُحجبون عن آيات الله فى الدنيا كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ **[الأعراف: ١٤٦]**.

وفى الآخرة يُحشرون فى صورة مهينة ذليلة أخبر عنها الحبيب ﷺ فقال: **«يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يُسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يُسقون من عصارة أهل النار»**[(٣)] فيا له من عذاب شديد!!!

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢/ ٦٨٠، رقم ٩٨٧).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٢/ ٥٠٨ رقم ١٣٣٨).

(٣) **حسن:** رواه أحمد (٢/ ١٧٩، رقم ٦٦٧٧)، والترمذى (٤/ ٦٥٥، رقم ٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٤٠).

والذر: صغار النمل... ومن المعلوم أن الناس لا يعبأون به ولذلك فهم يطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون.

هؤلاء لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم

ومن الذين يغضب الله عليهم يوم القيامة، فلا يكلمهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم. الذين ينقضون ما عاهدوا الله عليه ويشترون بأيمانهم ثمنا قليلا، فيحلفون الأيمان الكاذبة تحقيقا لكسب دنيوى تافه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾[آل عمران: ٧٧] .

وقد ساق ابن كثير أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية:

منها الحديث الذى رواه مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»**. قلت: يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا. قال: وأعاده رسول الله ثلاث مرات. قال: **«المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان»**[1] .

ومنها ما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم، لقى الله ـ عز وجل ـ وهو عليه غضبان»[2] .

ومنها ما رواه البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى أن رجلا أقام سلعة له فى السوق، فحلف بالله لقد أعطى فيها مالم يعطه، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾.

بل لقد أخبر الصادق ﷺ عن أصناف كثيرة من البشر لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

قال ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلمهم الله يومَ القيامةِ ولا ينظرُ إليهم رجُلٌ حلفَ على سلعتِهِ

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١/ ١٠٢، رقم ١٠٦).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤/ ١٦٥٦، رقم ٤٢٧٥)، ومسلم (١/ ١٢٢، رقم ١٣٨).

قد أُعطي بها أكثرَ مما أعطىَ؛ وهو كاذبٌ، ورجُلٌ حلفَ على يمينٍ كاذبةٍ بعدَ العصر؛ ليقتطعَ بها مالَ رجُلٍ مسلمٍ، ورجلٌ منعَ فضل مائِه، فيقولُ الله: اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لمْ تعملْ يداك»[(١)].

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلمهُمُ اللهُ يوم القيامة؛ ولا ينظرُ إليهم؛ ولا يزكيهمْ؛ ولهمْ عذابٌ أليمٌ: رجُلٌ على فضلِ ماءٍ بالفلاةِ يمنعهُ من ابن السَّبيل، ورجلٌ بايعَ رجلًا بسلعةٍ بعد العصرِ؛ فحلفَ له باللهِ لأخذها بكذا وكذا فصدقهُ وهوَ على غير ذلكَ، ورجلٌ بايعَ إمامًا لا يبايعُهُ إلا لدُنيا، فإن أعطاه مِنها وفَّى، وإنْ لم يعطهِ لمْ يَفِ»[(٢)].

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ لا يكلمُهُمُ الله يومَ القيامة؛ ولا يزكيهمْ؛ ولا ينظرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملِكٌ كذابٌ، وعائِلٌ مُستكبرٌ»[(٣)].

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظرُ الله إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ لوالديهِ والمرأةُ المترجِّلةُ المتشبهةُ بالرِّجالِ، والدَّيوثُ. وثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنةَ: العاقُّ لوالديهِ، والمدمنُ الخمرَ، والمنانُ بما أعطى»[(٤)].

وقال ﷺ: «إن الذى يأتى امرأته فى دُبرها لا ينظر الله إليه يوم القيامة»[(٥)].

وقال ﷺ: «إن الذى يجرُّ ثيابه من الخُيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة»[(٦)].

لجام من النار لمن كتم علمًا

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢/ ٨٣٤، رقم ٢٢٤٠)، ومسلم (١/ ١٠٣، رقم ١٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٠٣، رقم ١٠٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٠٢، رقم ١٠٧).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٣٤، رقم ٦١٨٠)، والنسائى فى الكبرى (٢/ ٤٢، رقم ٢٣٤٣)، والطبرانى (١٢/ ٣٠٢، رقم ١٣١٨٠)، والحاكم (١/ ١٤٤، رقم ٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٧١).

(٥) صحيح: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٣٥٥، رقم ٥٣٧٦) وأخرجه أيضًا: عبد الرزاق عن معمر فى الجامع (١١/ ٤٤٢ رقم ٢٠٩٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٧٢، رقم ٧٦٧٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٩١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٦٥٢، رقم ٢٠٨٥).

ﭐلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة: ١٧٤، ١٧٥].

وقال ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار»[١].

الغيبة

قال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه»[٢].

وأما عن حسرته فى الآخرة يقول النبى ﷺ واصفًا تلك الحسرة: «لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقومٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»[٣]. قال الطيبى لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلها جزاء من يقع فى أعراض المسلمين إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال بل هما من صفة النساء فى أقبح حالة وأبشع صورة.

الذين لا يخشون الله بالغيب

قال ﷺ: «لأعلَمَنَّ أقوامًا منْ أمَّتى، يأتونَ يومَ القيامة بحسنات أمثال جِبال تِهامةَ بيضاءَ، فيجعلُها الله هباءً منثورًا، أما إنهم إخوانُكم ومن جلدتِكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قومٌ إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها»[٤].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٤٤، رقم ٨٥١٤)، وأبو داود (٣/ ٣٢١، رقم ٣٦٥٨)، والترمذى (٥/ ٢٩، رقم ٢٦٤٩) وقال: حسن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (١/ ١١٩، رقم ١٦٥)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٣٣).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢/ ١٤١٨، رقم ٤٢٤٥)، قال المنذرى (٣/ ١٧٠): رواته ثقات. وقال=

الذين يكذبون على الله ـ عز وجل ـ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)﴾ [هود: ١٨] ويا له من مشهدٍ كله خزيٌ وحسرة وندامة.

بل تدبر معى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾ [الزمر: ٦٠].

ويا له من يوم تسوَّد فيه وجوه الكاذبين فى الوقت الذى تبيض فيه وجوه الصادقين... قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

الحاكم الذى يحتجب عن رعيته

قال ﷺ: «من وَلى من أمور المسلمين شيئًا، فاحتجبَ دونَ خلَّتِهم، وحاجتِهم، وفقرِهم، وفاقتهم، احتجب اللهُ عنهُ يومَ القيامةِ، دونَ خَلَّتِهِ، وحاجتِهِ، وفاقتِهِ، وفَقرِه»(١).

من كان له وجهان

قال ﷺ: «من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»(٢).

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «... تجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(٣).

=البوصيرى (٤/ ٢٤٦): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٠٥).

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى (٢٢/ ٣٣١ رقم ٨٣٢) والحاكم (٤/ ١٠٥، رقم ٧٠٢٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤/ ٢٦٨، رقم ٤٨٧٣)، وابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ١٦٢، رقم ٢٧٤)، والبيهقى (١٠/ ٢٤٦، رقم ٢٠٩٤٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٩٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦/ ٢٦٢٦، رقم ٦٧٥٧)، ومسلم (٤/ ٢٠١١، رقم ٢٥٢٦).

الغلول

الغلول هو الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية، وهو ذنب يخفى تحته شيء من الطمع والأثرة، وقد توعد الله تبارك وتعالى الغال بفضحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وذلك لتحميله ما غلّه فى ذلك اليوم: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومن الغلول غلول الحكام والموظفين والعمال والولاة من الأموال العامة، وقد وضح الرسول ﷺ كيف يحمل الغالون يوم القيامة ما غلوه فى أكثر من حديث».

قال ﷺ: «من غلَّ بعيرًا أو شاةً أتى يحمله يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: «من استعملناه منكم على عملٍ فكتمنا مخيطًا فما فوقه كانت ذلك غُلولًا يأتى به يوم القيامة»[٢].

قال ﷺ لأحد الصحابة «انطلق أبا مسعود لا ألفينَّك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعيرٌ من إبل الصدقة له رغاءٌ قد غللته»[٣].

وقال ﷺ: «لا أُلفينَّ أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبتهِ بعيرٌ، لهُ رغاءٌ يقولُ: يا رسول الله أغثنى، فأقولُ: لا أملكُ لك شيئًا، قد أبلغتكَ، لا ألفينَّ أحدكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته فرسٌ، لهُ حمحمةٌ، فيقولُ: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملكُ لك شيئًا، قد أبلغتكَ، لا ألفينَّ أحدكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته شاةٌ لها ثغاءٌ، يقولُ: يا رسول الله أغثنى، فأقولُ: لا أملكُ لك شيئًا، قد أبلغتكَ، لا ألفينَّ أحدكم يجيءُ يومَ القيامةِ على رقبتهِ نفسٌ، لها صياحٌ، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقولُ: لا أملك لكَ شيئًا، قدْ أبلغتك، لا ألفينَّ أحدكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته رقاعٌ تخفقُ، فيقولُ: يا رسول الله أغثنى، فأقولُ: لا أملك لكَ شيئًا، قدْ أبلغتكَ، لا ألفينَّ أحدكمْ يجيءُ يوم القيامة على

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٩٨، رقم ١٦١٠٧)، والضياء (١/ ٢٥٨، رقم ١٤٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٤٦٥، رقم ١٨٣٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣/ ١٣٥، رقم ٢٩٤٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٠٣).

رقبته صامتٌ، فيقولُ: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك»[١].

وقد ساق ابن كثير فى تفسيره الأحاديث المرهبة من الغلول، ومنها أحاديث غلول العمال من الصدقات، وساق حديث أبى حميد الساعدى قال: «استعمل رسول الله ﷺ رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أُهدى لى.

فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فقال: «ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول: هذا لكم، وهذا لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذى نفس محمد بيده لا يأتى أحدكم منها بشىء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»[٢].

لكل غادرٍ لواء

قال ﷺ: «إن الغادر يُنصب لـه لـواءٌ يـوم القيامـة فيقـال: ألا هـذه غـدرة فـلان ابـن فلان»[٣].

وقال ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكـل غـادرٍ لـواء فيقـال: هذه غدرة فلان ابن فلان»[٤].

من شرب الخمر ولم يتب

قال ﷺ: «من شربَ الخمرَ وسكِر لم تقبَل له صلاةٌ أربعين صباحًا، فإن ماتَ دخلَ النارَ، فإن تابَ تابَ اللهُ عليه، وإن عادَ فشربَ فسكِر، لم تقبلْ له صلاةٌ أربعين صباحًا، فإنْ ماتَ دخل النار وإن تابَ تابَ اللهُ عليه، وإن عادَ فشربَ فسكِر لم تقبـل لـه صـلاةٌ أربعيـن صباحًا، فإن مات دخل النارَ، وإن تاب تابَ الله عليه، فإن عاد كان حقًا على الله أن يَسقيهُ من ردغة الخبالِ يومَ القيامة: عُصارة أهلِ النارِ»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣/ ١١١٨، رقم ٢٩٠٨)، ومسلم (٣/ ١٤٦١، رقم ١٨٣١).

(٢) متفق عليه: والبخارى (٦/ ٢٤٤٦، رقم ٦٢٦٠)، ومسلم (٣/ ١٤٦٣، رقم ١٨٣٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٢٨٥، رقم ٥٨٢٤) ومسلم (٣/ ١٣٦٠، رقم ٧٣٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٢٨٥، رقم ٥٨٢٣)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩، رقم ١٧٣٥).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/ ١١٢٠، رقم ٣٣٧٧)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٠٩).

من لبس ثوب شهرة

قال ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله ثم يُلهب فيه النار»[١].

من منع فضل الماء

قال ﷺ: «من منع فضل ماءٍ أو كلأً منعه الله فضله يوم القيامة»[٢].

النياحة على الميت

وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتُب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطران ودرعٌ من جرب»[٣].

الشح

قال ﷺ: «لا يسأل الرجل مولاه من فضل هو عنده فيمنعه إياه إلا دعى له يوم القيامة فضله الذى منعه شجاعا أقرع »[٤].

لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء

قال ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٥].

وهذا كله بسبب كثرة اللعن الذى يقع فيه كثير من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

* * *

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤/ ٤٣، رقم ٤٠٢٩)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢، رقم ٣٦٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٩، رقم ٦٦٧٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٦٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢/ ٦٤٤، رقم ٩٣٤).

(٤) **حسن**: رواه أبو داود (٤/ ٣٣٦، رقم ٥١٣٩)، والطبرانى (١٩/ ٤٠٩، رقم ٩٧٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٠٩).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٦، رقم ٢٥٩٨).

المصورون

قال ﷺ: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»(١).

وقال ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يُعذَّبون يوم القيامة فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم»(٢).

حسرة يوم القيامة لمن غفل عن ذكر الله

قال ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمارٍ وكان ذلك المجلس عليهم حسرةً يوم القيامة»(٣).

الذى يسأل وله ما يغنيه

قال ﷺ: «من سألَ الناسَ أموالهم تكثُّرًا، فإنما يَسألُ جمر جهنَم، فليستقلَّ منه أو ليستكثر»(٤).

وقال ﷺ: «من سألَ الناسَ وله ما يُغنيه، جاء يومَ القيامةِ ومسألتُه فى وجههِ خموشٌ، أو خُدوشٌ، أو كُدوحٌ، قيل: وما الغِنى؟ قال: خمسون درهمًا، أو قيمتُها من الذهب»(٥).

الذى منع الأجير حقه

لقد رغَّب النبى ﷺ فى سرعة إعطاء الأجير حقه فقال: «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه». فمن خان تلك الأمانة فإنه يجنى الحسرة فى الدنيا بدعوة المظلوم ونزع

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٢٢٠، رقم ٥٦٠٦) ومسلم (٣/ ١٦٧٠، رقم ٢١٠٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٢٢١، رقم ٥٦١٢)، ومسلم (٣/ ١٦٦٩، رقم ٢١٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤/ ٢٦٤، رقم ٤٨٥٥)، والحاكم (١/ ٦٦٨، رقم ١٨٠٨)، والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٤٠٣، رقم ٥٤١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٥٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢/ ٧٢٠، رقم ١٠٤١).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٦٦، رقم ٤٤٤٠)، والترمذى (٣/ ٤٠، رقم ٦٥٠)، وقال: حسن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٩).

البركة من ماله وأولاده وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة - وذكر منهم: ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (١).

من غصب أرضًا بغير حق

إن الناس لما ضاع الإيمان والأمان بينهم وغابت مراقبتهم للواحد الديان أصبحت القوة هى اللسان لمن أراد أن يتكلم وهى البيان لمن أراد أن يفصح وهى السلاح لمن أراد أن يحارب.

فأما الحسرة التى يجنيها من غصب أرضًا فى الدنيا فإنه يجنى كراهية الخلق والخالق جل وعلا ويكون صدره وقلبه هدفًا يوجه إليه سهام المظلومين (دعاؤهم) ودعوة المظلوم ليس بينها وبين اللّه حجاب.

وأما فى الآخرة فإن النبى ﷺ قال: «لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة» (٢).

وقال ﷺ: «أيما رجلٍ ظلم شبرًا من الأرض كلفه اللّه تعالى أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس» (٣).

من قذف مملوكه وهو برىء

قال ﷺ: «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال» (٤).

وقال ﷺ: «من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جُلد يوم القيامة حدًا إلا أن يكون كما قال» (٥). فإن كان هذا هو الحال مع المملوك فكيف بالحرة الطاهرة؟

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢/ ٧٧٦، رقم ٢١١٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٢٣١، رقم ١٦١١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٧٣، رقم ١٧٦٠٧)، والطبرانى (٢٢/ ٢٧٠، رقم ٩٢)، قال الهيثمى (٤/ ١٧٥): رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والصغير بنحوه بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٢٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٢٨٢، رقم ١٦٦٠).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦/ ٢٥١٥، رقم ٦٤٦٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٣، ٢٤]

الأثرياء المنعمون

الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمئنون إليها، ويكثرون من التمتع بنعيمها، يُضيَّق عليهم فى يوم القيامة، فقد أخبر الرسول ﷺ أن الذى يكثر شبعه فى الدنيا، يطول جوعه يوم القيامة.

كما أخبر أن أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوى الواسع يكونون أقل الناس أجرًا يوم القيامة، مالم يكونوا قد بذلوا أموالهم فى سبل الخيرات، ففى الصحيحين عن أبى ذر قال: **«إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله تعالى خيرًا، فنفح فيه بيمينه وشماله، وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا»** [(١)].

وقلة الحسنات تؤخرهم، وتجعل الآخرين يتقدمونهم، بعدما كانوا فى الدنيا مقدمين؛ فعن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ **«الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا، وهكذا»** [(٢)].

وأخبرنا الرسول ﷺ أن الذين أثقلوا أنفسهم بالنعيم الدنيوى، والغنى والثراء لا يستطيعون أن يتجاوزوا فى يوم القيامة العقبات والأهوال.

ففى شُعب الإيمان عن أم الدرداء قالت: قلت لأبى الدرداء: مالك لا تطلب كما يطلب فلان؟ فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون»** [(٣)].

* * *

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٦٦، رقم ٦٠٧٨)، ومسلم (٢/ ٦٨٨، رقم ٩٤).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٨٤، رقم ٤١٣١)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٦٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ٦١٨، رقم ٨٧١٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٠١).



الذى لا يعدل بين أزواجه

إنها الحسرة على كل من لم يعدل بين أزواجه فإنه يجنى الحسرة فى الدنيا بـ.. يتعرض لدعوة المظلوم التى ليس بينها وبين الله حجاب وذلك لأنه ظلم إحدى زوجاته وفضّل عليها الأخرى.

وأما حسرته فى الآخرة فإنه يأتى يوم القيامة أمام الخلائق وشِقه مائل كما قـ.. النبى ﷺ: **«من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»**(١).

كرامات أهل الإيمان فى المحشر

وها هى مشاهد أهل الإيمان والتوحيد يوم القيامة فإن الله (عز وجل) سيكرمهم فى أرض المحشر أمام الخلائق كلها قبل أن يُدخلهم الجنة... وسأكتفى ببعض تلك المشاهد المهيبة.

يُبعث يوم القيامة مُلبيًا

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا كان مع النبى ﷺ محرمًا فوقصته ناقته فمات، فقال رسول الله ﷺ: **«اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا»**(٢).

أصحاب النور يوم القيامة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ **[الحديد: ١٢]**.

وقال ﷺ: «لا تنتفوا الشيب ما من مسلمٍ يشيب شيبة فى الإسلام إلا كانت له نورًا يوم القيامة»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢/ ٢٤٢، رقم ٢١٣٣)، والنسائى (٧/ ٦٣، رقم ٣٩٤٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٩٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٢/ ٦٥٦ رقم ١٧٥٢)، ومسلم (٢/ ٨٦٥، رقم ١٢٠٦).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤/ ٨٥، رقم ٤٢٠٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٦٣).

وقال ﷺ: «بشِّر المشَّائين فى الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[1].

أهل القرآن

قال ﷺ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنها غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صاف يحاجان عن صاحبهما»[2].

الأمن يوم الفزع الأكبر

صنف من عباد الله لا يفزعون عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، أولئك هم أولياء الرحمن الذين آمنوا بالله، وعملوا بطاعة الله استعدادًا لذلك اليوم فيؤمنهم الله فى ذلك اليوم، وعندما يُبعثون من القبور تستقبلهم ملائكة الرحمن تهدىء من روعهم، وتطمئن قلوبهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

[الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

والفزع الأكبر، هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم:٤٢].

ففى ذلك اليوم ينادى منادى الرحمن أولياء الرحمن مطمئنًا لهم: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

[الزخرف: ٦٨، ٦٩].

وقال فى موضع آخر: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١/ ١٥٤، رقم ٥٦١)، والترمذى (١/ ٤٣٥، رقم ٢٢٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ٥٥٤، رقم ٨٠٥).

والسر فى هذا الأمن الذى يشمل الله به عباده الأتقياء أن قلوبهم كانت فى الدنيا عامرة بمخافة الله، فأقاموا ليلهم، وأظمؤوا نهارهم، واستعدوا ليوم الوقوف بين يدى الله، فقد حكى عنهم ربهم أنهم كانوا يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [الإنسان: ١٠] ومن كان حاله كذلك فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١١، ١٢].

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: وعزتى وجلالى، لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين، إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادى، وإن هو خافنى فى الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادى»[1].

وكلما كان العبد أكثر إخلاصًا لربه تبارك وتعالى كان أكثر أمنًا فى يوم القيامة فالموحدون الذين لم يلبسوا إيمانهم بشىء من الشرك، لهم الأمن التام يوم القيامة. يدلك على هذا جواب إبراهيم لقومه عندما خوَّفوه بأصنامهم، فأجابهم قائلًا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

الشهداء والمرابطون

قال ﷺ: «لا يُكْلَمُ أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله -إلا جاء يوم القيامة وجرحه يَثْعَبُ دمًا اللون لون الدم والريح ريح المسك»[2].

وقال ﷺ: «من راح روحة فى سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكًا يوم القيامة»[3].

وقال ﷺ: «من مات مرابطًا فى سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٤٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣/ ١٠٣٢، رقم ٢٦٤٩)، ومسلم (٣/ ١٤٩٦، رقم ١٨٧٦).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٢/ ٩٢٧، رقم ٢٧٧٥)، والطبرانى فى الأوسط (٢/ ٩٣، رقم ١٣٥٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٦٠).

يعمل عليه وأجرى عليه رزقه وأمِن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع»[١].

وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دَفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلى حُلة الإيمان، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفع فى سبعين إنسانًا من أهل بيته»[٢].

وقال ﷺ: «أفضل الشهداء الذين يُقاتلون فى الصف الأول، فلا يَلْفتُون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبطون فى الغرف العُلا من الجنة، يضحك إليهم ربُّك، فإذا ضحك ربُّك إلى عبدٍ فى موطنٍ، فلا حساب عليهم»[٣].

الحجر الأسود يشهد لك يوم القيامة

قال ﷺ عن الحجر الأسود: «إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحقٍ»[٤].

وقال ﷺ: «والله ليبعثه الله يوم القيامة -يعنى الحجر- له عينان يبصر بهما ولسان ينطق يشهد على من استلمه بحق»[٥].

* * *

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/ ٩٢٤، رقم ٢٧٦٧). قال البوصيرى (٣/ ١٥٥): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٤٤).

(٢) صحيح: رواه أخرجه أحمد (٤/ ١٣١، رقم ١٧٢٢١)، والترمذى (٤/ ١٨٧، رقم ١٦٦٣)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٨٧، رقم ٢٢٥٢٩). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (٣/ ٢٨٦، رقم ٣١٦٩)، وفى مسند الشاميين (٢/ ١٩٠، رقم ١١٦٧) قال الهيثمى (٥/ ٢٩٢): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد وأبى يعلى ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان (٩/ ٢٥، رقم ٣٧١١)، والحاكم (١/ ٦٢٧، رقم ١٦٨٠) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٨٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣/ ٢٩٤، رقم ٩٦١) وقال: حسن. وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (٢/ ٩٨٢، رقم ٢٩٤٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٩٨).

عتق الرقاب المسلمة

قال ﷺ: «أيُّما رجُلٍ مُسلمٍ أعتق رجُلًا مُسلمًا، فإنَّ الله تعالى جاعِلٌ وقاءَ كلِّ عظم منْ عِظامِهِ عظمًا منْ عِظامِ محرَّرِهِ منَ النار، وأيُّما امرأةٍ أعتقت امرأةً مسلمة، فإنَّ الله تعالى جاعلٌ وقاء كل عظمٍ منْ عِظامِها عظمًا من عظام محرَّرتها مِنَ النارِ يومَ القيامةِ»(١).

الصبر على البلاء

قال ﷺ عن أهل البلاء الذين صبروا على بلائهم ورضوا بقضاء ربهم (عز وجل): «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطىَ أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض»(٢).

أهل العدل والرحمة

قال ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولًا حتى يفكّه العدل أو يوبقه الجور»(٣).

وقال ﷺ: «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»(٤).

من أراد أن يفرج الله عنه كُربات يوم القيامة

قال ﷺ: «من نفَّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُرب الدنيا نفسَ الله عنه كُربة من كُرب يوم

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤/ ٢٩، رقم ٣٩٦٥)، وابن حبان (١٠/ ١٤٧، رقم ٤٣٠٩)، والبيهقي (١٠/ ٢٧٢، رقم ٢١١٠٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٧٢٦).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٤/ ٦٠٣، رقم ٢٤٠٢) وقال: غريب. والبيهقي (٣/ ٣٧٥، رقم ٦٣٤٥)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٢١، رقم ٣٢٥٥٦)، والبيهقي (١٠/ ٩٦، رقم ٢٠٠٠٢)، وابن عساكر (٣٦/ ٣٨). وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/ ٤٣١، رقم ٩٥٧٠)، قال الهيثمي (٤/ ١٩٢): رجاله رجال الصحيح. وأبو يعلى (١١/ ٤٩٢، رقم ٦٦١٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٦٩٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٣/ ١٤٥٨، رقم ١٨٢٧).

القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومَن ستَر مسْلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عوْنِ العبدِ، ما كانَ العبدُ فى عونِ أخيه»(١).

وقال ﷺ: «من ستر أخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيامة»(٢).

الكاظمون الغيظ

إن كظم الغيظ من الأخلاق السامية التى جاء بها الإسلام ليعلم أبناءه كيف أن المسلم لا يغضب لنفسه أبدًا.. بل لقد وصف الله المتقين وكان من بين صفاتهم الجميلة (كظم الغيظ).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

ويأتى التكريم من الله (عز وجل) يوم القيامة لكل من اتصف بهذا الخُلق الكريم.. قال ﷺ: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيِّره من الحور العين يزوجه منها ما شاء»(٣).

الرحماء

قال ﷺ: «من رحم ولو ذبيحة عصفورٍ رحمه الله يوم القيامة»(٤).

فالرحمة نعمة عظيمة أودعها الله فى قلوب من يشاء من عباده.. فالراحمون يرحمهم الله (جل وعلا).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٦٢، رقم ١٦٦٤٧)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٤١).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٤/ ٢٤٨، رقم ٤٧٧٧)، والترمذى (٤/ ٦٥٦، رقم ٢٤٩٣)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٠، رقم ٤١٨٦)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ١٨٩، رقم ٤١٧)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٢٢).

(٤) **حسن**: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١/ ١٣٨، رقم ٣٨١)، والطبرانى (٨/ ٢٣٤، رقم ٧٩١٥)، قال الهيثمى (٤/ ٣٣): رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٦١).

المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة

قال ﷺ: «من أذَّن ثنتى عشرة سنة وجبت له الجنة، وكُتب له بتأذينه فى كل يومٍ ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة» (١).

وقال ﷺ: «المؤذن يُغفر له مَدَّ صوته وأجره مثل أجر من صلى معه» (٢).

وقال ﷺ: «المؤذن يُغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطبٍ ويابس» (٣).

وقال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة» (٤).

إنهم كانوا يرفعون أصواتهم فى الدنيا بكلمة التوحيد فرفع الله أعناقهم بين الناس يوم القيامة ليُظهر فضلهم ومكانتهم.

التجاوز عن المُعسر

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، قال: فلقى الله فتجاوز عنه» (٥).

وقال ﷺ: «أتى الله عزَّ وجلَّ بعبدٍ منْ عبادهِ آتاهُ اللهُ مالًا، فقالَ لهُ: ماذا عملتَ فى الدنيا؟ فقالَ ما عملتُ منْ شيءٍ يا ربِّ، إلا أنك آتيتنى مالًا، فكنتُ أبايعُ الناسَ، وكانَ منْ خلقى أنْ أيسر على الموسرِ، وأُنظر المعسِر، قالَ الله تعالى: أنا أحقُّ بذلكَ منكَ، تجاوزوا عنْ عبدى» (٦).

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إن رجلًا لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس،

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (١/ ٢٤١ رقم: ٧٢٨)، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (٦٧٨).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٨/ ٢٤١، رقم ٧٩٤٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٣).

(٣) حسن صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤١١، رقم ٩٣١٧)، وأبو داود (١/ ١٤٢، رقم ٥١٥)، والنسائى (٢/ ١٢، رقم ٦٤٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢٩٠، رقم ٣٨٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢/ ٧٣١، رقم ١٩٧٢)، ومسلم (٣/ ١١٩٦، رقم ١٥٦٢).

(٦) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٣٣٥، رقم ٣١٩٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٥).

فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لى غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله أن يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك»[1].

من ترك اللباس تواضعًا

قال ﷺ: «من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حُلل الإيمان شاء يلبسها»[2].

تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء

قال ﷺ: «أنتم الغُرُّ المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء...»[3].

وهذه الغرة وذلك التحجيل تكون للمؤمن حلية فى يوم القيامة.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»[4].

عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدى، فأعرف أمتى من بين الأمم، ومن خلفى مثل ذلك، وعن يمينى مثل ذلك، وعن شمالى مثل ذلك».

فقال رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟

قال: «هم غُرٌّ محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٧/ ٣١٨، رقم ٤٦٩٤)، وابن حبان (١١/ ٤٢٢، رقم ٥٠٤٣)، والحاكم (٢/ ٣٣، رقم ٢٢٢٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٧٨).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٤/ ٦٥٠، رقم ٢٤٨١) وقال: حسن. والطبرانى (٢/ ١٨٠، رقم ٣٨٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢١٦، رقم ٢٤٦).

(٤) صحيح: ومسلم (١/ ٢١٩، رقم ٢٥٠).

يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم»[١].

خذوا جُنتكم من النار

قال ﷺ: «خُذوا جُنَّتَكُمْ منَ النّارِ؛ قولوا: سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله. والله أكبر، فإنهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقدماتٍ، ومُعقباتٍ، ومُجنِّباتٍ، وهُنَّ الباقياتُ الصالحاتُ»[٢]... خذوا جُنتكم: أى وقايتكم.

ورحمتي وسعت كل شيء

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦]

وقال ﷺ: «إنَّ لله مائةَ رحمةٍ، أنزلَ منها رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنس والبهائم والهَوامِّ، فبِها يتعاطَفُونَ، وبِها يتراحَمونَ، وبها تَعطِف الوُحوشُ على وَلَدِها، وأخَّر تِسعًا وتِسعينَ رحمةً، يَرحَمُ بها عبادَهُ يومَ القيامةِ»[٣].

وإليك أخى الحبيب مشهدين فقط من مشاهد رحمة الله (جل وعلا) بعباده يوم القيامة.

قال ﷺ: «يُعذَّب ناسٌ من أهل التوحيد، فيُطرحون فى النار، حتى يكونوا فيها حممًا، ثم تدركهم الرحمة، فيُخرَجون، ويُطرحون على أبواب الجنة، فيرشُّ عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون، كما ينبت الغُثاء فى حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة»[٤].

وقال ﷺ: «هل تُمارُونَ فى القمر ليلةَ البدرِ ليسَ دونَه سَحابٌ؟ هل تُمارونَ فى رؤية الشمس ليسَ دونَها سَحابٌ؟ فإنكم ترَونَه كذلكَ، يَحشُرُ الله الناس يومَ القيامةِ، فيقولُ:

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ١٩٩ رقم: ٢١٧٨٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٢١٢، رقم ١٠٦٨٤)، والحاكم (١/ ٧٢٥، رقم ١٩٨٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢١٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢١٠٨ رقم: ٢٧٥٢).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٩١، رقم ١٥٢٣٥)، وهناد (١/ ١٥٣، رقم ٢٠٦)، والترمذى (٤/ ٧١٣، رقم ٢٥٩٧) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٠٣).

من كانَ يعبُدُ شيئًا فليتبعه، فَيَتَّبِع مَن كانَ يعبُدُ الشمسَ الشمسَ، ويتَّبعُ مَن كانَ يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتَّبعُ من كان يعبدُ الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها، فيأتيهمُ اللهُ في صورةٍ غير صورته التي يعرِفونَ، فيقولُ: أنا ربُّكم. فيقولونَ: نعوذُ بالله منكَ، هذا مكانُنا حتى يأتينَا ربُّنا، فإذا جاءنا عرَفناهُ، فيأتيهِمُ اللهُ في صورتِهِ التي يعرِفونَ، فيقولُ: أنا ربُّكم. فيقولونَ: أنت ربُّنا، فيتبعونهُ، ويُضرَبُ الصراطَ بينَ ظهرانَيْ جِهنَم، فأكُونُ أوَّلَ مَن يجوزُ مِن الرُّسل بأمَّتهِ، ولا يتكلمُ يومئذٍ أحدٌ إلا الرُّسلُ، وكلامُ الرُّسل يومئذٍ: اللهمَّ سلِّم سلِّم، وفى جهَّنم كلاليبُ مثلُ شوْكِ السعدانِ، غيرَ أنهُ لا يَعلمُ ما قدْرُ عِظَمِها إلا الله، تخطَفُ الناسَ بأعمالِهِمْ، فمنهم مَن يوبَقُ بعملهِ، ومنهم مَن يُخردَلُ ثم يُنجو، حتى إذا فرَغ الله من القضاءِ بينَ العباد، وأراد أن يُخرج برحمته من أرادَ من أهل النارِ، أمرَ الملائكة أن يُخرجوا من النارِ مَن كانَ لا يُشركُ باللهِ شيئًا، ممَّن يقولُ لا إلهَ إلا اللهُ، فيُخرجونهم، ويَعرفونهم بآثارِ السجودِ، وحرَّم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار وقد امتُحشوا فيُصب عليهِم ماء الحياةِ. فيَنبُتونَ كما تنبُتُ الحبةُ فى حميل السيل ثم يفرُغُ الله من القضاءِ بينَ العبادِ، ويبقى رَجلٌ بينَ الجنةِ والنارِ، وهو آخرُ أهلِ النارِ دُخولًا الجنةَ، مقبلًا بوجههِ قِبَلَ النارِ، فيقولُ: يا ربِّ اصرِفْ وجهى عن النارِ، فقد قشَبنى ريحُها، وأحرقَنى ذكاؤُها، فيقولُ: هلْ عسَيتَ إنْ فُعِل ذلك بكَ أنْ تسألَ غيرَ ذلكَ، فيقولُ: لا وعزَّتِك، فيُعطى الله ما يشاءُ من عهدٍ وميثاقٍ، فيَصرفُ الله وجهَه عن النارِ، فإذا أقبلَ به على الجنةِ، ورأى بهجتَها سكتَ ما شاءَ الله أنْ يسكُتَ، ثم قالَ: يا رب! قدِّمنى عندَ بابِ الجنةِ، فيقولُ اللهُ: أليسَ قد أعطيتَ العهدَ والميثاق أنْ لا تَسألَ غيرَ الذى كنتَ سألتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ لا أكونُ أشقى خلقِكَ، فيقولُ: فما عسَيتَ إن أعطيتُك ذلكَ أن لا تسأل غيرَه؟ فيقولُ، لا وعزَّتِك، لا أسألُك غيرَ ذلكَ، فيُعطى ربَّه ما شاءَ مِنْ عهدٍ وميثاقٍ، فيقدِّمه إلى بابِ الجنةِ، فإذا بلغَ بابَها فرأى زهرَتها وما فيها من النَّضرةِ والسرورِ، فيسكُتُ ما شاءَ الله أن يسكت، فيقولُ: يا ربِّ أدْخِلنى الجنةَ، فيقولُ الله: ويحَك يا ابن آدمَ! ما أغدرك! أليسَ قد أعطيتَ العهدَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذى أعطيتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ لا تجعلْنى أشقى خَلقِك، فيضحكُ اللهُ منهُ، ثم يأذنُ له فى دخولِ الجنةِ، فيقولُ: تمنَّ، فيتمنىَّ، حتى إذا انقطعتْ أُمنيتهُ، قال الله تعالى: زِدْ من كذا وكذا، أقبَلَ يذكِّره ربُّه، حتى

إذا انتهتْ بِهِ الأمانيُّ، قال الله عزَّ وجلَّ: لكَ ذلكَ، ومثلُهُ معهُ»[١].

ما ينجي من أهوال يوم القيامة

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[٢] أخرجه مسلم. وقد ينجى منها كلها م جاء فى الحديث الآتى:

وقال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدى»[٣].

عن أبى قتادة ط: أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إنى معسر، قال: آلله؟ فقال: آلله، قال: فإنى سمعت رسول الله يقول: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»[٤].

وعن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[٥]، ومعنى فى ظله: أى فى ظل عرشه...جاء هكذا مفسرًا فى الحديث.

عن النبى ﷺ: «أن رجلًا مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كنت تعمل؟ فقال: أما ذكروا ما ذكر، فقال: إنى كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السكة أو فى النقد فغفر له»[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ٢٧٧، رقم ٧٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١١٩٥، رقم ١٥٦١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١١٩٦، رقم ١٥٦٣).

(٥) صحيح: وقد تقدم.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣/ ١٢٧٢، رقم ٣٢٦٦)، ومسلم (٣/ ١١٩٥، رقم ١٥٦٠).

عن كعب بن عمرو أنه سمع رسول الله يقول: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله»[(١)].

أسماء يوم القيامة

إن العربى لا يشيب غالبًا إلا بعد الستين فلما رأى الصحابة رضي الله عنهم الشيب قد بدا فى رأس الحبيب ولحيته قال لهم الرسول ﷺ: «شيبتنى هود وأخواتها»، « شيبتنى هود و ﴿الواقعة﴾ و ﴿المرسلات﴾ و ﴿عم يتساءلون﴾ و ﴿إذا الشمس كورت﴾»[(٢)].

من أسماء يوم القيامة: يوم العرض

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عُذب»، قالت فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»[(٣)].

ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب

يروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه سئل عن محاسبة الله للخلق فقال: «كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة».

- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سأل الناس رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله: «هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة؟، قالوا: لا، قال: «فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر وليس فى سحابة» قالوا: لا، قال: «فوالذى نفس محمد بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما»، قال: «فيلقى العبد فيقول: أى عبدى قل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترتع؟ فيقول: بلى، فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا، فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثانى فيقول له: ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ٥١، رقم ١٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٥، رقم ٢٨٧٦).

مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت، وتصدقت، وصمت، ويثنى بخير ما استطاع، قال: فيقول: ههنا إذًا ثم يقول: الآن نبعث شاهدًا عليك فيقول في نفسه من ذا الذى يشهد على؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقى فتنطق فخذه ولحمه، وعظامه، بعمله وذلك ليعذر فى نفسه، وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه»(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾ [الإسراء: ١٤] أى حاسبًا، فعيلًا بمعنى فاعل.

ومن أسماء يوم القيامة: يوم السؤال

عن ابن عمر ﷺ عن النبى ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راعٍ فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راعٍ فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»(٢).

ومن أسماء يوم القيامة: يوم القضاء وهو أيضًا يوم الحكم والفصل

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»(٣).

* * *

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢/ ٨٤٨، رقم ٢٢٧٨)، ومسلم (٣/ ١٤٥٩، رقم ١٨٢٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢/ ٦٨٠، رقم ٩٨٧).

الحساب

كلمة حساب إذا أطلقت فى الدنيا إنما يخطر ببال الواحد منا الجمع والطرح أو حساب التجار أرباح وخسائر زيادة ونقصان فى أرباح الشركة أو المحل فى آخر العام وهو الحساب الختامى أو الحساب الموسمى إذا كانت الخزانه فيها بالزياده كانت هذه شركة ناجحة وإذا كانت الديون أكثر مما فى الخزينه فهذه الشركة خاسرة وهذا فى مسائل الدنيا فهى عبارة عن زيادة ونقص ربح وخسارة أما حساب الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧].

ولذلك يقول الحبيب ﷺ: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئًا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئًا يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئًا»(١).

أول من يحاسب أمة الحبيب ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأمية و نبيها؟ فنحن الآخرون الأولون»**(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضى غرًّا محجلين من آثار الوضوء فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها.

* * *

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخارى (٣/ ١٠١٢، رقم ٢٦٠٢)، ومسلم (١/ ١٩٢، رقم ٢٠٦).

(٢) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤، رقم ٤٢٩٠). وأخرجه أيضًا: الديلمى (٤/ ٢٨٢، رقم ٦٨٣٣)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٧٤).

ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[التغابن: ٧] أى ما عملتموه.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة: ٧، ٨] أى يسأل عن ذلك ويجازى عليه.

عن أبى هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨] قال الناس يا رسول الله: عن أى نعيم نسأل فإنما هما الأسودان و العدو حاضر و سيوفنا على عواتقنا؟ قال: إن ذلك سيكون وعنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له ألم نصح لك جسمك و نرويك من الماء البارد»[1].

وعن أبى برزة الأسلمى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه و عن جسده فيما أبلاه و عن عمله ما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه»[2].

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر ﷺ كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) صحيح: الترمذى (٥/ ٤٤٨، رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب. والحاكم (٤/ ١٥٣، رقم ٧٢٠٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٥٩٢).

تَمِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾»[(١)].

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه و تخبأ كبارها فيقال له: عملت يوم كذا و كذا كذا و كذا ثلاث مرات قال: و هو يقر ليس ينكر قال: و هو مشفق من الكبائر أن تجيء قال: فإذا أراد الله به خيرا قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول حين طمع: يا رب إن لى ذنوبا ما رأيتها ها هنا»**[(٢)].

قوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل»: عام لأنه نكرة فى سياق النفى لكنه مخصوص بقوله عليه السلام **«يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب»**[(٣)]. على ما يأتى، و بقوله تعالى للحبيب ﷺ: **«أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن»**[(٤)].

وبقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[الرحمن: ٤١].

قوله عليه السلام: «وعن عمله ما عمل فيه».

قلت: هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه و إنما قال ما عمل فيه فلينظر العبد ما عمل فيما علمه هل صدق الله فى ذلك و أخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله عليه بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[البقرة: ١٧٧] أو خالف علمه بفعله فيدخل فى قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾[الأعراف: ١٦٩] الآية.

وقوله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ٤٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[الصف: ٢، ٣].

والأخبار فى هذا المعنى كثيرة وسيأتى ذكرها فى أبواب النار إن شاء الله تعالى

---

(١) **متفق عليه:** والبخارى (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٨).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١/ ١٧٧، رقم ١٩٠).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٥/ ٢٣٧٥، رقم ٦١٠٧)، ومسلم (١/ ١٩٧، رقم ٢١٦).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤/ ١٧٤٥، رقم ٤٤٣٥)، ومسلم (١/ ١٨٤، رقم ١٩٤).

قوله: «حتى يضع عليه كنفه» أي ستره و لطفه و إكرامه فيخاطبه خطاب الملاطفة و يناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف فيقول الله تعالى: ممتنًّا عليه ومظهرًا فضله لديه: فإني قد سترتها عليك في الدنيا أي لم أفضحك بها فيها و أنا أغفرها لك اليوم.

يا له من مشهدٍ جليل

إنه مشهد الحساب يوم القيامة... هذا المشهد الذى قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧]... فالكل موقوف بين يدى الله (عز وجل) والكل مسئول يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة.

ستقف الخلائق كلها صفًّا للحساب بين يدى فاطر السماوات والأرض.. قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف: ٤٨] وياله من مشهد مهيب عندما يعاين الناس تلك الأهوال وإذا بالأمم كلها تجثوا على الرُكب كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٨] بل ويأتى المجرمون وقد علاهم الذل والصَغار بسبب كفرهم بالواحد القهار كما قال العزيز الغفار: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٩- ٥١]

ومع تلك الأهوال فهناك صنف كريم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فنسأل الله أن يجعلنا من هذا الصنف الكريم.

يوم يقوم الناس لرب العالمين

حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حسّ يُسمع، ولا شخص يُرى، وقد بقى الجبار الأعلى كما

لم يزل أزليًا واحدًا منفردًا بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادى لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم. فتوهم كيف وقوع الصوت فى مسامعك وعقلك وتفهَّم بعقلك بأنك تُدعى إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء، لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذى الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض على رأسك، فوثبت مغبرًا من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك قائم على قدميك، شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبّرون من غبار الأرض التى طال فيها بلاؤهم.

فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك فى زحمة الخلائق، عراة حفاة صموت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدّة المنادى، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساعٍ بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة، قد نُزع المُلك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصَغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدرًا بعد عتوّهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل فى أرضه.

ثم أقبلت الوحوش من البرارى وذرى الجبال منكسة رؤوسها لذلّ يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بليّة نابتها ولا خطيئة أصابتها، فتوهم إقبالها بذلها فى اليوم العظيم ليوم العرض والنشور.

وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله سبحانه فسبحان الذى جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور.

حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامّها، واستووا جميعًا فى موقف العرض والحساب تناثرت

نجوم السماء من فوقهم وطُمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها. فبينما أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هَوْل صوت انشقاقها فى سمعك، ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة والملائكة قيام على أرجائها وهى حافات ما يتشقق ويتفطر. فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربّها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفزع يوم القيامة: كما قال الجليل الكبير: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعارج: ٨، ٩].

فبينا ملائكة السماء الدنيا على حافتها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافتيها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذى أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه والسؤال بين يديه.

فتوهم تحدرهم من السحاب بعظيم أخطارهم وكبير أجسامهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم منكسين لذل العرض على الله عز وجل. فيا فزعك وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أمروا بهم، ومسألتهم إياهم: أفيكم ربنا؟ ففزع الملائكة من سؤالهم إجلالًا لمليكهم أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم تنزيلًا لما توهمه أهل الأرض: سبحان ربنا ليس هو بيننا فهو آتٍ، حتى أخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسين رؤوسهم لذل يومهم. فتوهمهم، وقد تسربلوا بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم فى عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لربهم، ثم كل شىء على ذلك وكذلك إلى السماء السابعة كل أهل سماء مضعفين بالعدد وعظم الأجساد، وكل أهل سماء محدقين بالخلائق صفا.

حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كُسيت الشمس حر عشر سنين وأدنيت من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظلَّ عرش رب العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس، قد صهرته بحرِّها واشتد كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع

بعضهم بعضًا وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلًا حتى استنقع على وجه الأرض ثم على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، ومنهم من كاد أن يغيب فى عرقه ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه.

قال ﷺ:«إذا كانَ يومُ القيامةِ أدنيتِ الشمسُ من العِبادِ حتى تكونَ قيدَ ميلٍ أو اثنينِ، فتُصهِرهَمْ الشمسُ، فيكونونَ فى العَرَقِ كقدرْ أعمالهمْ، فمنهم منْ يأخذهُ إلى عقبيهِ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيهِ، ومنهُمْ منْ يأخذه إلى حقْويه، ومنهم منْ يُلجمهُ إلجامًا» [1].

وقال ﷺ:«يَعرَقُ الناس يوم القيامة حتى يذهب عَرقُهُم فى الأرض سبعين ذراعًا، ويُلجِمُهُم حتى يبلغ آذانهم» [2].

وقال ﷺ:«تدنُو الشَّمس يومَ القيامةِ منَ الخلقِ، حتى تكونَ منهُمْ كمقدار ميلٍ، فيكونُ الناسُ على قدرِ أعمالهمْ فى العرقِ، فمنهُم من يكونُ إلى كعبيه، ومنهُم من يكونُ إلى ركبتيهِ، ومنهُم منْ يكونُ إلى حقويه، ومنهم من يُلجمهُ العرقُ إلجامًا» [3].

وقال أبو حامد الغزالى: واعلم أن كل عَرَق لم يُخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر، فسيُخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل (والغرور) لعلم أن تعب (العرق) فى تحمل مصاعب الدنيا أهون أمرًا وأقصر زمانًا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة، فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته.

وعن قتادة - أو كعب - قال:«يوم يقوم الناس لرب العالمين». قال: يقومون

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٦/ ٣، رقم ٢٣٨٦٤)، والترمذى (٤/ ٦١٤، رقم ٢٤٢١) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٣، رقم ٦١٦٧).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٤/ ٢١٩٦، رقم ٢٨٦٤).

مقدار ثلاثمائة عام، قال سمعت الحسن يقول: ما ظنك بأقوام قاموا لله عز وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم من العطش، واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار فسُقوا من عين آنية قد آن حرها، واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضًا فى طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم فى الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم، وموسى وعيسى من بعد إبراهيم، كلهم يقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، فكلهم يذكر شدة غضب ربه عز وجل وينادى بالشغل بنفسه فيقول: نفسى نفسى، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلاصها، وكذلك يقول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل: ١١١].

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه. ينادى نفسى نفسى، فلا تسمع إلا قول نفسى نفسى، فيا هول ذلك وأنت تنادى معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه، فما ظنك بيوم ينادى فيه المصطفى آدم، والخليل إبراهيم، والكليم موسى، والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله ـ عز وجل ـ وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل، كل ينادى: نفسى نفسى، شفقًا من شدة غضب ربه، فأين أنت منهم فى إشفاقك فى ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم، وبحزنك وبخوفك؟ حتى إذا أيس الخلائق من شفاعتهم أتوا النبى محمدًا ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عز وجل واستأذن عليه فأذن له ثم خرَّ لربه ساجدًا، ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق، حتى أجابه ربه عز وجل إلى تعجيل عرضهم والنظر فى أمورهم.

مجيء الرب -جل وعلا-

وها هو الحق -جل وعلا- يتنزل تنزلًا يليق بجلاله وكماله ليقضي بين الخلائق ونبدأ مشهد الحساب يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام وهو ظُلَلُ النور العظيم الذي يبهر الأبصار ونزول ملائكة السماوات يومئذٍ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

قال مجاهد: وهذا كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾

[الفجر: ٢١- ٢٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ **[الحاقة: ١٣- ١٨].**

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع. ثم يعقبها نفخة الصعق، حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة، وقد أكَّدها هنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاجُ إلى تكرار ولا تأكيد. وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال هاهنا ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ أي فمدَّت مدَّ الأديم وتبدلت الأرض غير الأرض ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ أي قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ

فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾[النبأ: ١٩] .

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ الملك اسم جنس أى الملائكة على أرجاء السماء أى أطرافها وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الحاقة: ١٧] ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لى أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه فى الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شَحْمَةِ أُذُنِهِ وعاتقه خَفَقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»(١) .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فى ذكر حَمَلةِ العرش أنهم ثمانية أو عالٍ: وعن سعيد بن جبير أنها ثمانيةُ صفوف من الملائكة وكذا عن ابن عباس. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ أى تعرضون على عالم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شىء من أموركم، بل هو عالمٌ بالظواهر والسرائر والضمائر. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

الوقوف بين يدى الله (عزوجل)

تذكَّر وقوفك يوم العرض عُريانا	مستوحشًا قَلِقَ الأحشاء حيرانا
والنار تَلهب من غيظٍ ومن حَنقٍ	على العُصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبْدُ على مَهَلٍ	فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته	وأقررت إقرار مَنْ عرف الأشياء عِرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى	وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غدًا فى النار يلتهبوا	والموحدون بدار الُخلد سكّانا

إنه مشهد عظيم لا يستطيع إنسان أن يعلم مدى رهبته فإن الإنسان إذا ما وقف أمام ملك من ملوك الدنيا فإنه يرتجف فؤاده خوفًا وفزعًا أن يصدر منه ما يُغضب

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٣١٤، رقم ٦٥٠٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٥٣).

صاحب السلطان فما ظنكم بالوقوف بين يدى الواحد الديان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فبينما أنت فى أرض المحشر إذ يأتيك النداء «أين فلان ابن فلان» فيُلقى الله فى روعك أنك أنت المقصود من بين الخلائق فتقبل على عرش الواحد الديان ويا له من موقف عصيب.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»(١).

فأعظم به من موقف وأعظِم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

وقال ﷺ: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بى»(٢).

ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩١].

أى من مات على الكفر فلن يُقبل منه خير أبدًا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قربة، كما سئل النبى ﷺ عن عبد الله بن جدعان ـ وكان يقرى الضيف ويفك العانى (الأسير) ويطعم الطعام ـ هل ينفعه ذلك؟ فقال: **«لا! إنه لم يقل يومًا من الدهر: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين»**(٣).

وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضًا ذهبًا ما قُبل منه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقال: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦/ ٢٧٠٩، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٩، رقم ٦١٨٩)، ومسلم (٤/ ٢١٦٠، رقم ٢٨٠٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ١٩٦، رقم ٢١٤).



عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة: ٣٦].

ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا، بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها.

وقال ﷺ: «يؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! خير منزلٍ فيقول: سل وتمنَّ. فيقول: يارب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأُقتل فى سبيلك عشر مرات.... لما يرى من فضل الشهادة..... ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ منزلٍ فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب. نعم فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»[1].

فهذا موقف عصيب لكل من أشرك بالله جل وعلا......، أما المؤمن فله موقف يسير أمام الله جل وعلا، ولكن والله لو أننا سنقف أمام الله جل وعلا لمناقشة الحساب فقط وقد علمنا أننا من أهل الجنة لكان الموقف عصيبًا فكيف بنا ونحن لا نعلم مصيرنا إلى جنةٍ أم إلى نار، والحال كما قال النبى ﷺ: «من نوقش الحساب عُذّب»[2].

يا واحدًا صمدًا بغير قرين	ارحم ضراعة عبدك المسكينِ
واعطف علىَّ إذا وقفت مروعًا	حيران بين يديك يوم الدينِ
يا حسرتى بين العباد إذا هُمُو	خافوا الحساب فخفّ عنهم دونى
ما حيلتى فى نشر صحيفتى	إذ قيل لى خُذها بغير يمينِ
ما حيلتى عند الحساب وهوله	إذ قصّرت بى قوتى ويقينى
لا حيلة عندى ولا موئل	إن خاننى طمعى وحُسن ظنونى
يا رب لا تترك عبدك هالكًا	وارحم بفضلك عَبرتى وشجونى

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٦١، رقم ٢٨٠٥).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

يقول: «إن الله يدْني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[1] .

فيا لها من حسرة شديدة أن يقف الكافر والمنافق فى أرض المحشر أمام كل الخلائق من لدُن آدم إلى قيام الساعة وينادى عليه أمام الخلائق ويقال هؤلاء الذين كذبوا على الله........ بل إن الله جعل لهم هيئةً يعرفهم الناس بها ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[الزمر: ٦٠] .

وتصور حين يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب وُلبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدّة الهول مظلم، فقدّر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتُقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن منى، فدنوت منه بقلبٍ خافق محزون وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأُعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها؟ وكم من طاعة غفلت عنها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شِعرى بأى قدم تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر فى عظم حيائك إذا ذكَّرك ذنوبك فعندها يقول: يا عبدى! أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادى، أستخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى؟، ألم أنعم عليك: فماذا غرّك بى؟ أظننت أنى لا أراك وأنك لا تلقانى؟.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٨).

بالقمر ليلة البدر، ثم يقول يا ابن آدم ما غرّك بى؟ يا ابن آدم ما عملت فيما علمت. يـ
ابن آدم ماذا أجبت المرسلين،؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيبًا على عينك وأنت تنظر بها لى م
لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك؟ وهكذا حتى عدّ سائر أعضائه....

وقال مجاهد: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. فأعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك بخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ـ فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأوّلون والآخرون ـ وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السماوات والأرض عليك لكان ذلك جديرًا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرّطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك بدنيا دنيئة لم تبق معك!

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

قال ﷺ: «عُرضت علىَّ الأممُ، فرأيتُ النبى ومعهُ الرَّهطُ، والنبى ومعهُ الرَّجلُ والرجلانِ، والنبى وليسَ معهُ أحدٌ، إذ رُفعَ لى سوادٌ عظيمٌ، فظننتُ أنَّهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومُهُ، ولكنْ انظر إلى الأفقِ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لى: انظرْ إلى الأفقِ الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذابٍ، هم الذين لا يرقونَ، ولا يسترقونَ، ولا يتطيرونَ، ولاَ يكتوون، وعلى ربِّهم يتوكَّلونَ»[1] .

وقال ﷺ: «ليدخُلنَّ الجنةَ من أمتى سبعون ألفًا، أو سَبعُمائةِ ألفٍ، متماسكون، آخذٌ بعضُهم بيدِ بعضٍ، لا يدخُلُ أوَّلهمْ حتى يَدخلَ آخرُهم، وجوهُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ»[2] .

وقال ﷺ: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥/ ٢١٧٠، رقم ٥٤٢٠)، ومسلم (١/ ١٩٩، رقم ٢٢٠).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣/ ١١٨٦، رقم ٣٠٧٥)، ومسلم (١/ ١٩٨، رقم ٢١٩).

عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاثَ حثياتٍ من حثيات ربى»[1].

وقال ﷺ: «أعطيتُ سبعين ألفًا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههُم كالقمر ليلةَ البدرِ، قلوبهمْ على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فاستزدتُ ربى عز وجل فزادنى مع كل واحدٍ سبعين ألفًا»[2].

فيا لها من فرحة لمن يدخل الجنة بغير حساب؛ وذلك لأن المؤمن يعلم أنه لو جاءه من يبشره بالجنة، ولكن بعد أن يحاسبه الله ثم يدخله الجنة لكان ذلك عذابًا شديدًا؛ لأن النبى ﷺ قال: «من نُوقش الحساب عُذِّب»[3].

فمجرد مناقشة الحساب عذاب شديد، فحسبك أيها المؤمن أن يعدد الله عليك ذنوبك وأوزارك. فكيف بمن يحاسبه الله وهو لا يدرى هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار؟! وبذلك تستطيع أن تستشعر مدى فرحة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب فاللهم اجعلنا منهم.

من نوقش الحساب عُذِّب

قال ﷺ: «من حوسِبَ يوم القيامة عُذِّب». قالت عائشة: أوليس يقول الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ليسَ ذلك بالحساب، إنما ذلك العرض، ولكن منْ نوقش الحسابَ يَهلك»[4].

اللحظة الحاسمة التى يتحدد من خلالها مصير العبد

وها هو الإمام القرطبى يصور لنا تلك اللحظة الحاسمة التى يتحدد من خلالها

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٦٨، رقم ٢٢٣٥٧)، والترمذى (٤/ ٦٢٦، رقم ٢٤٣٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧١١١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٦، رقم ٢٢)، والحكيم (١/ ٣٠٢)، وأبو يعلى (١/ ١٠٤، رقم ١١٢). قال الهيثمى (١٠/ ٤١٠): رواه أحمد وأبو يعلى، وفيهما المسعودى وقد اختلط، وتابعيه لم يسم، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٥٧).

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (١/ ٥١، رقم ١٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٥، رقم ٢٨٧٦).

مصير العبد: إما إلى ظلٍّ ظليل أو إلى شرٍّ مقيل... قال الإمام القرطبى: فتوهم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب، ونُصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلمّ إلى العرض على الله تعالى. وقد وُكلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذا قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغير لونك، وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت فى أيديهم، وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.

فتوهَّم نفسك، وأنت بين يدى ربك، فى يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بليَّة كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بليّة قد كنت نسيتها ذكَّرك الله إياها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فردَّه عليك فى ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيمًا! فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.

فأما من أُوتى كتابه بيمينه، فعلم أنه من أهل الجنة، فيقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وذلك حين يأذن الله، فيقرأ كتابه، فإذا كان الرجل رأسًا فى الخير يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر تبعه عليه، دُعى باسمه واسم أبيه، فيتقدم حتى إذا دنى أُخرج له كتاب أبيض، فى باطنه السيئات، وفى ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يقلب كتابه، فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحًا، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك، قد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه، ويُكسى حُلتين، ويحلَّى كل مفصل فيه، ويطول ستين ذراعًا، وهى قامة آدم. ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم، وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]. قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة: ٢١]، أى مرضية، قد رضيها، ﴿فى

جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾ فى السماء، ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أدنيت منهم. فيقول لأصحابه: هل تعرفونى؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]أى قدمتم فى أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأسًا فى الشر يدعو إليه، ويأمر به، فيكثر تبعه عليه، ونودى باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه، فيخرج له كتاب أسود، بخط أسود، فى باطنه الحسنات، وفى ظاهره السيئات، فبدأ بالحسنات فيقرؤها، ويظن أنه سينجو، فإذا بل آخر الكتاب، وجد فيه: هذه حسناتك، وقد رُدت عليك، فيسود وجهه، ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه، فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنًا، ولا يزداد وجهه إلا سوادًا. فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد ضوعفت عليك، أى يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه مالم يعمل. قال فيعظم إلى النار، وتزرق عيناه، ويسود وجهه، ويكسى القطران.

ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ يعنى الموت ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: هلكت عنى حجتى. قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١]أى اجعلوه يصلى الجحيم ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ الله أعلم بأى ذراع.

قال الحسن: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سبعون ذراعًا بذراع الملك. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قيل: يدخل عنقه فيها، ثم يُجر بها، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب.

فينادى أصحابه فيقول: هل تعرفونى؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الحزن. فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾، تخلع كتفه اليسرى، فتجعل يده خلفه، فيأخذ بها كتابه. وقال مجاهد: يحول وجهه فى موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك.

فتوهم نفسك إن كنت من السعداء، وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حل بك الكمال والحسن والجمال، كتابك فى يمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادى على

رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا. وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك وتتخطى الخلائق كتابك فى شمالك، أو من وراء ظهرك، تنادى بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادى على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

القواعد التى يحاسب العباد على أساسها

لو عَذَّب الله جميع خلقه لم يكن ظالمًا لهم؛ لأنهم عبيده وملكه، والمالك يتصرف فى ملكه كيف يشاء.

ولكن الحق تبارك وتعالى يحاكم عباده محاكمة عادلة، لم تشهد البشرية لها مثيلًا من قبل، وقد بين لنا ربنا فى كثير من النصوص جملة القواعد التى تقوم عليها المحاكمة والمحاسبة فى ذلك اليوم.

وسنذكر من ذلك ما ظهر لنا من تلك القواعد:

١ - العدل التام الذى لا يشوبه ظلم:

يوفِّى الحق - عز وجل - عباده فى يوم القيامة أجورهم كاملة غير منقوصة، ولا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[البقرة:٢٨١] .

وقال لقمان فى وصيته لابنه معرفًا إياه بعدل الله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان:١٦] .

٢ - لا يؤخذ أحد بجريرة غيره:

قاعدة الحساب والجزاء التى تمثل قمة العدل ومنتهاه أن الله يجازى العباد بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرا فشر، ولا يُحمل الحق تبارك وتعالى أحدًا وزر غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأنعام:١٦٤] . وهذا هو العدل الذى لا عدل فوقه، فالمهتدى يقطف ثمار هدايته، والضال ضلاله على نفسه.

الذين يجمعون أثقالاً مع أثقالهم

قد يعارض بعض أهل العلم هذا الذى ذكرناه من أن الإنسان لا يحمل شيئًا من أوزار الآخرين بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

وهذا الذى ذكروه موافق لما ذكرناه من النصوص، وليس بمعارض لها، فإن هذه النصوص تدلُّ على أن الإنسان يتحمل إثم ما ارتكب من ذنوب، وإثم الذين أضلهم بقوله وفعله، كما أن دعاة الهدى ينالون أجر ما عملوه، ومثل أجر من اهتدى بهديهم، واستفاد بعلمهم، فإضلال هؤلاء لغيرهم هو فعل لهم يعاقبون عليه.

٣ - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

من إعذار الله لخلقه، وعدله فى عباده أن يُطلعهم على ما قدموه من صالح أعمالهم، وطالحها، حتى يحكموا على أنفسهم، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر.

قال تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وإطلاع العباد على ما قدموه يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم. وقراءتهم لها، فقد أخبرنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أنه وكل بكل واحد منا ملكين يسجلان عليه صالح أعماله وطالحها، فإذا مات ختم على كتابه، فإذا كان يوم القيامة أعطى العبد كتابه، وقيل له: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا.

٤ - مضاعفة الحسنات دون السيئات:

ومن رحمته أن يضاعف أجر الأعمال الصالحة ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

وأقل ما تضاعف به الحسنة عشرة أضعاف ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] أما السيئة فلا تجزى إلا مثلها ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا

يَظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا مقتضى عدله تبارك وتعالى.

قال ﷺ: «**يقول الله من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقينى لا يشرك بى شيئًا جعلت له مثله مغفرة ومن اقترب إلى شبرًا اقتربت إليه ذراعًا ومن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة**»[1].

ومن الأعمال التى أخبر الرسول ﷺ أنها تضاعف عشرة أضعاف قراءة القرآن ففى الحديث الذى يرويه الترمذى والدارمى بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: (الم) حرف. ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[2].

وقد يضاعفها أكثر من ذلك، وقد تصل المضاعفة إلى سبعمائة ضعف، وأكثر من ذلك، ومن ذلك أجر المنفق فى سبيل الله، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن الأعمال التى تضاعف أضعافًا لا تدخل تحت حصر، ولا يحصيها إلا الذى يجزى بها: كالصوم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: «إلا الصوم فإنه لى: وأنا أجزى به»**»[3].

والسر فى كون الصائم يُعطَى من غير تقدير، أن الصوم من الصبر، والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

قال القرطبى: وقال أهل العلم: كل أجر يُكال كيلًا، ويوزن وزنًا إلا الصوم، فإنه

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٨، رقم ٢٦٨٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/ ٢١٦) والترمذى (٥/ ١٧٥، رقم ٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢/ ٨٠٧، رقم ١١٥١).

يحثى حثوًا ويغرف غرفًا».

وعندما يرى أهل العافية عظم أجر الصابرين يتمنون أن تكون جلودهم قُرضت بالمقاريض لينالوا أجر الصابرين.

قال ﷺ: «لَيودَّن أهل العافية يوم القيامة، أن جلودهم قُرضت بالمقاريض، مما يرون من ثواب أهل البلاء»(١).

٥- تبديل السيئات حسنات:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١].

وقال ﷺ: «إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا منها. رجل يؤتى به يوم القيامة. فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول نعم: لا يستطيع أنْ ينكر. وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول: رب، عملت أشياء لا أراها ها هنا»(٢).

٦- إقامة الشهود على الكفرة والمنافقين:

أعظم الشهداء فى يوم المعاد على العباد هو ربهم وخالقهم وفاطرهم، الذى لا تخفى عليه خافية من أحوالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

وأول من يشهد على الأمم رسلها، فيشهد كل رسول على أمته بالبلاغ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

وكما يشهدون على أممهم بالبلاغ يشهدون عليهم بالتكذيب ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

---

(١) **حسن:** رواه الترمذى (٤/ ٦٠٣، رقم ٢٤٠٢) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ١٨٠، رقم ٩٩٢١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٨٤).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١/ ١٧٧، رقم ١٩٠).

ثم إن الأمم تكذب رسلها، وتقول كل أمة ما جاءنا من نذير، فتأتى هذه الأمة: أمة محمد ﷺ وتشهد للرسل بالبلاغ، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

ومن الأشهاد: الأرض والأيام والليالى تشهد بما عمل فيها وعليها ويشهد المال على صاحبه.

ويشهد على العبد أيضًا ملائكة الرحمن الذين كانوا يسجلون عليه صالح أعماله وطالحها كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾[ق: ٢١] والسائق والشهيد الملكان اللذان كانا موكلين بتلك النفس.

وتشهد الملائكة على العباد بما كانوا يعملون ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[هود: ١٨] فإذا لجَّ العبد فى الخصومة، وكذَّب ربه، وكذب الشهود الذين شهدوا عليه، أقام الله عليه شاهدًا منه، فتشهد على المرء أعضاؤه.

نحن آخر الأمم... وأول من يحاسب

قال تعالى عن أمة الحبيب ﷺ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١١٠].

وقال ﷺ: «إنكم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»(١).

وقال ﷺ: «أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة إنما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا»(٢).

بل لقد وصف النبى ﷺ أمته وكيف يكون حالها يوم القيامة وكيف يكون حسابها وأخبر أنهم أكثر أهل الجنة.

وقال ﷺ: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسَب يقال: أين الأمة الأميّة نبيها فنحن الآخرون الأولون»(٣).

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٦١، رقم ١١٦٠٤)، والترمذى (٥/ ٢٢٦، رقم ٣٠٠١)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣، رقم ٤٢٨٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤/ ١٠٥، رقم ٤٢٧٨)، والحاكم (٤/ ٤٩١، رقم ٨٣٧٢) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤، رقم ٤٢٩٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٤٩).

فنحن أول من يُحاسَب يوم القيامة.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس

ويظهر فضل أمة الحبيب ﷺ يوم القيامة عندما يجعلها الله -جل وعلا- أمة شاهدة على البشرية كلها.

قال ﷺ: «يجيء نوح وأمته فيقول الله هل بلغت فيقول نعم أى رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبى فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته وهو قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾»(١).

والوسط: العدل، فيُدعونَ، فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم.

والأمة لا تشهد لنوح -عليه السلام- فحسب بل تشهد لجميع الأنبياء كما أخبر بذلك سيد الأتقياء ﷺ فقال: **«يجيء النبىُّ يوم القيامة ومعه الرَّجل، والنَّبى ومعه الرجلان، والنبىُّ ومعه الثلاثة، وأكثرُ من ذلك، فيُقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومَه، فيقال لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال له: من يشهدُ لكَ؟ فيقول: محمدٌ وأمته، فيُدعى محمدٌ وأمته فيُقالُ لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيُقال: وما عِلْمُكم بذلك؟ فيقولون: جاءَنا نبيُّنا، فأخبرنا أن الرُّسل قد بلَّغوا فصدَّقناه، فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]»(٢).**

آدم (عليه السلام)... وبعث النار

قال ﷺ: «أولُ منْ يُدعى يومَ القيامِة: آدمُ، فَتتراءَى [له] ذرِّيتُهُ فيقالُ: هذا أبوكمْ آدمُ، فيقولُ: لبَّيك وسَعديكَ فيقولُ: أخرجْ بَعث جَهنم منْ ذرِّيتك: فيقولُ: يا ربِّ كم أخرجُ؟ فيقولُ: أخرج منْ كلِّ مائةٍ تِسعةً وتسعين، قالوا: يا رسول الله إذا أُخذ منا من كل مائةٍ

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٣/ ١٢١٥، رقم ٣١٦١).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣/ ٥٨، رقم ١١٥٧٥)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٢٩٢، رقم ١١٠٠٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٢، رقم ٤٢٨٤)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٤٤٨).

تسعةٌ وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: إن أمتى فى الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود»[1].

خطاب الله (عز وجل) لعيسى (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

قال ابن كثير: هذا أيضًا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلًا له يومَ القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله؛ ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد.

يوم يجمع الله الرسل

قال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

هذا إخبار عما يخاطب الله تعالى به المرسلين يوم القيامة عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسلهم إليهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦] وقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩] قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: يقولون للرب عز وجل: لا علم لنا إلاَّ علم أنت أعلم به منا رواه ابن جرير ثم اختاره على غيره من الأقوال.

ولا شك أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله، أى لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شىء، فنحن وإن كنا أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شىء المطلع

(١) صحيح: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٢، رقم ٦١٦٤).

على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك ﴿أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩﴾.

أخي الحبيب... أختي الفاضلة:

إن كان الله -عز وجل- سيسأل الرسل والملائكة والشهداء فهل نُترك بعد هؤلاء بغير سؤال ولا حساب؟!!. ألم تسمعوا قول الله -عز وجل-: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ [الزمر: ٦٨- ٧٠].

تالله لتسألن عما كنتم تفترون

وإن أعظم سؤال يوجَّه إلى العبد يوم القيامة هو السؤال عن التوحيد... فيُسأل العبد: هل حققت التوحيد لله -عز وجل- أم أنك عشت على الشرك والكفر بالله -جل وعلا.

والله يسألهم عن عبادتهم لغيره وتقديم القرابين لآلهتهم المزعومة.. قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۝٥٦﴾ [النحل: ٥٦].

ويسألهم أيضًا عن الشركاء والأنداد الذين كانوا يصرفون لهم العبادة من دون الله، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢﴾ [القصص: ٦٢]

وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝٩٣﴾

[الشعراء: ٩٢، ٩٣].

بل ويسألهم عن تكذيبهم الرسل، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القصص: ٦٥، ٦٦].

ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان

وها هو الحق -جل وعلا- يوبخ هؤلاء المجرمين الذين صرفوا العبودية للشيطان من دون رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ

جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)﴾ [يس: ٥٩- ٦٢]

قال ابن كثير: يخبر تعالى عما يؤول إليه الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازو أى يفترقوا عن المؤمنين فى موقفهم كقوله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤)﴾ [الروم: ١٤]وقوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)﴾ [يس: ٦٠]هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بنى آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذى خلقهم ورزقهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى قد أمرتكم فى دار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتى وهذا هو الصراط المستقيم فخالفتم أمرى وأطعتم الشيطان ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ أى خلقًا كثيرًا ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)﴾ أى أفما كان لكم عقل لما خالفتم ربكم وعبدتم معه غيره وأطعتم الشيطان وهو عدوكم الظاهر العداوة.

﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)﴾ يقال للكفار توبيخًا: هذه جهنم التى كنتم تكذبون الرسل بوجودها، والتى كنتم بها توعدون ذوقوا عذابها وحريقها جزاء كفركم وتكذيبكم.

الحمد لله على نعمة التوحيد

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار» (١).

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمنٍ ملكًا معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكفار فهذا فداؤك من النار» (٢).

فالحمد لله على نعمة التوحيد.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢١١٩، رقم ٢٧٦٧).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٥، رقم ١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٩).

لا يثقل مع اسم الله تعالى شيء

إن كلمة التوحيد هى أعظم كلمة فى الكون كله فهى التى من أجلها خلق الله السماوات والأرض وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار... فإذا جاء بها العبد يوم القيامة خالصة من قلبه ولم يأت بما ينقضها فإن ميزانه يصبح ثقيلًا بالحسنات لأنه لا يثقل مع اسم الله تعالى شىء فتعالوا بنا لنتأمل هذا المشهد المهيب.

فعن ابن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلّص رجلًا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كل سجل مثلُ مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم.. فتوضع السجلات فى كفةٍ والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»[1].

أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة

قال ﷺ: «إنَّ أولَ ما يحاسَبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ منْ عملهِ الصلاةُ، فإنْ صلَحتْ فقد أفلحَ وأنجح، وإنْ فسدت فقد خابَ وخسرَ، وإن انتقص منْ فريضة قالَ الربُّ: انظروا هَلْ لعبدى منْ تطوُّع؟ فيكملُ بها ما انتقص من الفريضة، ثمَّ يكونُ سائرُ عملهِ على ذلك»[2].

وقال ﷺ: «أولُ ما يحاسَبُ الناسُ به، يومَ القيامة منْ أعمالهم الصلاة، يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ لملائكتهِ وهو أعلمُ: انظُروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقَصها؟ فإن كانتْ تامَّة كُتبت له تامةً، وإنْ كانَ انتقصَ منها شيئًا، قال: انظُروا هل لعبدى من تطوُّع؟ فإن كانَ له تطوعٌ

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٥/ ٢٤ رقم: ٢٦٣٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٢/ ٢٦٩، رقم ٤١٣)، وقال: حسن غريب، والنسائى (١/ ٢٣٢، رقم ٤٦٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٢٠).



قال: أتموا لعَبدى فريضتهُ، ثم تُؤخذُ الأعمالُ على ذاكم»[١].

ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم

قال ﷺ: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نُصحَّ لك جسمك ونرويك من الماء البارد؟»[٢].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨] قال الناس: يا رسول الله عن أى نعيم نُسأل، فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: **«إن ذلك سيكون»**[٣].

إن نعم الله كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣].

ولذلك قال ﷺ: «إن الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها»[٤].

وقال ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٥، رقم ٩٤٩٠)، وأبو داود (١/ ٢٢٩، رقم ٨٦٤)، والنسائى (١/ ٢٣٣، رقم ٤٦٦)، والبيهقى (٢/ ٣٨٦، رقم ٣٨١٣). وأخرجه أيضًا: ابن المبارك (١/ ٣٢٠، رقم ٩١٥)، والحاكم (١/ ٣٩٤، رقم ٩٦٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٧١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٥/ ٤٤٨، رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب. والحاكم (٤/ ١٥٣، رقم ٧٢٠٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٣) **حسن**: رواه الترمذى (٥/ ٤٤٨ رقم: ٣٣٥٧)، وأحمد (١/ ١٦٤ رقم: ١٤٠٥)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترمذى.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٥، رقم ٢٧٣٤).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٤٤، رقم ٣٢٠٧)، والترمذى (٤/ ٥٥٠، رقم ٢٣٠٤) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (٥١٥٥).

إن العهد كان مسئولاً

ومن الأشياء التي يحاسب الله عليها عباده ـ العهود والمواثيق ـ.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٥].

السمع والبصر والفؤاد

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ أي لا تقل ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ أُولَئِكَ ﴾ أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ أي سيُسأل العبد عنها يوم القيامة، وتُسأل عنه وعما عمل فيها.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»(١).

وقال ﷺ: «من تحلَّم كاذبًا كُلِّف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولن يعقد بينهما»(٢).

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥/ ١٩٧٦، رقم ٤٨٤٩)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥، رقم ٢٥٦٣).

(٢) **صحيح:** رواه رواه الترمذي (٤/ ٥٣٨، رقم ٢٢٨٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٢٨٩، رقم ٣٩١٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦١٣٩).

مشهد أهل الرياء يوم القيامة

إنها الحسرة على أهل الرياء الذين بذلوا الغالى والنفيس وصلوا وصاموا وفعلوا كل الطاعات وما أرادوا بها وجه رب الأرض والسماوات، وإنما أرادوا من ورائها السمعة والرياء... فيأتى أحدهم بتلك الأعمال فيجد أن الله عز وجل قد جعلها هباءً منثورًا ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] فى الوقت الذى يكون فيه الإنسان أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨] وتكتمل حسرتهم عند معاينة هذا المشهد.

قال ﷺ: «إن الله إذا كانَ يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضى بينهُم، وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ، فأوَّلُ منْ يدعُو به رجلٌ جمعَ القرآن، ورجلٌ قُتل فى سبيلِ الله، ورجلٌ كثير المالِ، فيقولُ الله للقارىء: ألمْ أعلمكَ ما أنزلت على رسولى؟ قال: بَلى يا ربِّ قالَ: فماذا عمِلتَ فيما علِمتَ؟ قالَ: كنتُ أقومُ بِهِ آناءَ الليل وآناءَ النهارِ، فيقولُ الله لهُ: كذبتَ، وتقولُ لهُ الملائكةَ: كذبت، ويقولُ الله لهُ: بلْ أردتَ أنْ يقالَ فلانٌ قارئ، فقد قيلَ ذلكَ. ويؤتى بصاحب المالِ فيقولُ الله لهُ: ألمْ أوسع عليك حتى لمْ أدعكَ تحتاجُ إلى أحدٍ؟ قالَ: بلى يا ربِّ، قالَ: فماذا عمِلت فيما آتيتُك؟ قالَ: كنت أصِلُ الرَّحمَ، وأتصدقُ، فيقولُ الله لهُ: كذبتَ، وتقولُ الملائكةُ: كذبتَ، ويقول اللهُ: بلْ أردت أنْ يقالَ: فلانٌ جوادٌ، فقد قيلَ ذلكَ، ويؤتى بالذى قُتل فى سبيل الله فيقُول الله: فى ماذا قُتلتَ؟ فيقولُ: أمرتُ بالجهاد فى سبيلكَ فقاتلتُ حتى قُتلتُ، فيقولُ الله لهُ: كذبتَ، وتقولُ لهُ الملائكة: كذبت، ويقولُ اللهُ: بلْ أردت أنْ يقالَ فلانٌ جرىءٌ، فقدْ قيلَ ذلكَ. يا أبا هريرةَ أولئكَ الثلاثةُ أولُ خلقِ الله تُسعرُ بهمُ النارُ يومَ القيامةِ» [1].

بل إن الله -عز وجل- يعاقب المرائى بضد مقصده، فهذا المرائى يريد السمعة والشهرة بين الناس ليحبوه وإذا بالحق -جل وعلا- يفضحه بين الناس ليكرهوه.

---

(١) **صحيح** رواه والترمذى (٤/ ٥٩١، رقم ٢٣٨٢)، وقال: حسن غريب. والحاكم (١/ ٥٧٩، رقم ١٥٢٧)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٣٥).

قال ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به ومن راءى راءى الله به»[(١)].

وقال ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[(٢)].

أربعة يحتجون يوم القيامة

عن الأسود بن سريع وأبى هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أربعةٌ يحتجونَ يوم القيامة: رجلٌ أصمٌّ لا يسمعُ شيئًا، ورجلٌ أحمقُ، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ ماتَ فى فترةٍ. فأما الأصمُّ فيقولُ: ربِّ لقد جاء الإسلامُ وما أسمعُ شيئًا. وأمَّا الأحمقُ فيقولُ: ربِّ جاءَ الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا، والصبيانُ يحذفُوننى بالبعرِ. وأمَّا الهرمُ فيقولُ: ربِّ لقدْ جاءَ الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا. وأمَّا الذى ماتَ فى الفترةِ فيقولُ: ربِّ ما أتانى لك رسولٌ. فيأخذُ مواثيقهم ليطيعنَّهُ، فيرسلُ إليهم: أن ادخُلوا النَّارَ، فمنْ دخلها كانت بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها سُحب إليها»[(٣)].

سيسأل كل عبدٍ عن أربعة أشياء

قال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم؟»[(٤)].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢٢٨٩، رقم ٢٩٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٤/ ٦٠٩، رقم ٢٤١٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٩٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٤، رقم ١٦٣٤٤)، وابن حبان (١٦/ ٣٥٦، رقم ٧٣٥٧)، والبيهقى فى الاعتقاد (١/ ١٦٩) وقال: إسناده صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٨١).

(٤) حسن لغيره: رواه الترمذى (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٢٨).

(٥) **صحيح**: رواه أخرجه الترمذى (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨،=

سترٌ في الدنيا... ومغفرة في الآخرة

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كَنَفَه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»[(١)].

ستنسى كل شقاءٍ بغمسةٍ واحدة في الجنة

قال ﷺ: «يؤتَى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النار يومَ القيامة، فيُصبغُ في جهنم صبغةً. ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ في الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرَّ بي بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط»[(٢)].

تدبَّر معي هذا الحوار الرقيق

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ يومَ القيامة: يا ابن آدم مرضت فلمْ تعدنى، قالَ: يا ربِّ كيفَ أعودك وأنت ربُّ العالمينَ؟ قالَ: أما علمت أنَّ عبدى فُلانًا مرض فلمْ تعده؟ أما علمت أنّك لوْ عُدتَهُ لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم استطعمْتُك فلمْ تطعمنى، فقال: يارب وكيف أطعمُك وأنت ربُّ العالمينَ؟ قالَ: أما علِمتَ أنهُ استطعمكَ عبدى فلانٌ فلمْ تطعمهُ؛ أما علمْت أنك لو أطْعمته لوجدت ذلكَ عندى؟ يا ابن آدم استسقيتُك فلمْ تسْقنى، قالَ: يا ربِّ كيف أسقيكَ وأنت ربُّ العالمينَ؟ قال: استسقاكَ عبدى فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى»[(٣)].

=رقم ٧٤٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٣٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(١) صحيح: وقد تقدم..

(٢) صحيح: رواه ومسلم (٤/ ٢١٦٢ رقم ٢٨٠٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٩٠، رقم ٢٥٦٩).

تطاير الصحف

ويا له من مشهد فاصل بين أهل الحق وأهل الباطل إنه مشهد استلام الصحف الذى سيتم الفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، فالكل يتربص وينتظر وترتعد فرائصه وتنتفض جوارحه ويسأل نفسه: يا تُرى هل سآخذها بيمينى أم بشمالى؟!!

وبينما هو يفكر إذ بالصحيفة تأتى فى يمينه فيصرخ بأعلى صوته ويجرى فى أرض المحشر، وهو يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)﴾، وتنادى عليه الملائكة وعلى أمثاله من أهل الجنة وتقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [الحاقة: ١٩- ٢٤].

وأما إن كان عياذًا بالله من أهل النار فتقع الصحيفة فى شماله ويصرخ بأعلى صوته فى حسرة شديدة ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾، فيأمر الله الملائكة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

يقول القرطبى: فيبتدره مائة ألف ملك، ثم تُجمع يده إلى عنقه فذلك قوله تعالى ﴿فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)﴾، ثم أدخلوه النار العظيمة المتأججة ليصْلَى حرها، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ [الحاقة: ٢٥- ٣٢].

أى ثم أدخلوه فى سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعًا.

قال ابن عباس: بذراع الملك تدخل السلسلة من دُبره وتخرج من حلقه، ثم يُجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظمونه كما يُنظم الجراد فى العود حين يُشوى.

قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، ولو سقطت حلقة منها على الأرض ما حملها أهل الأرض، ولماتوا جميعًا من نتن ريحها.

يا له من موقف عصيب يقع الكتاب بين يديك تقلب صفحاته تجد فيه المال الحرام الذى أكلته والزنا الذى فعلته وعقوق الوالدين والغيبة والنميمة والغش وشهادة الزور وهجر القرآن وترك الصلاة.

وأما المؤمن فيفتح كتابه فيجد فيه الصلاة والصيام والصدقة وبر الوالدين وقيام الليل والاستغفار وقراءة القرآن فينظر لإخوانه فى أرض المحشر ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا

كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ لماذا؟ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾.

لقد علم أنه محاسب أمام ربه وأنه موقوف أمام الحق تبارك وتعالى فأعد للسؤال جوابًا فكانت النتيجة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾.

إن هذا المشهد المهيب يكون فى ختام مشهد الحساب.... وعندما يأخذ العبد كتبهم يقال لهم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

تحريم الظلم

إن الله -عز وجل- جعل الظلم مُحرمًا بين العباد فقال تعالى: **«يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرمًا بينكم فلا تظالموا...»**[1].

وأخبر الحبيب ﷺ بأن الظلم عاقبته وخيمة فى الدنيا والآخرة فقال ﷺ: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**[2].

والظلم إيذان بهلاك الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس: ١٣].

ولذلك قال الإمام ابن تيمية: إن الله ليقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ويهدم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.

ومن أجل ذلك جاء الشرع بتحريم الظلم.

قال ﷺ: **«أشد الناس عذابًا للناس فى الدنيا أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة»**[3].

وقال ﷺ: **«إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحشه»**[4].

وقال ﷺ: **«من ضرب مملوكه ظالمًا أقيد منه يوم القيامة»**[5].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ١٩٩٦، رقم ٥٧٨).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٩٠، رقم ١٦٨٦٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٥٠، رقم ٧٤٦٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٨).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذى (٤/ ٣٥٩، رقم ١٩٩٦) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٩٥).

(٥) **صحيح**: رواه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٨) قال الهيثمى: رجاله ثقات، وصححه العلامة=

وقال ﷺ: «من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جُلد يوم القيامة حدًّا إلا أن يكون كما قال»(١).

بل لقد حرَّم النبي ﷺ ظُلم الدواب العجماوات؛ فقال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»(٢).

مغبة الظلم في الدنيا والآخرة

إنها الحسرة على كل ظالم في الدنيا والآخرة.

فأما حسرته في الدنيا فإن الله -عز وجل- يحرمه نعمة الهداية...

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

وكذلك فإن الله يحرمه أعظم نعمة في هذا الكون ـ ألا وهي محبة الله له ـ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: ٥٧].

بل إن الله يُملي للظالم ثم يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر.

قال ﷺ: «إن الله تعالى ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته»(٣).

وكذلك فإن الله - جل وعلا- يستجيب لكل من دعا عليه من المظلومين.... كما قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»(٤).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»(٥).

وعن عبد الله بن سلام قال: إن الله ـ تعالى ـ لما خلق الخلق؛ واستووا على أقدامهم

=الألباني في صحيح الجامع (٦٣٧٦).

(١) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٢٥١٥، رقم ٦٤٦٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/ ١٢٠٥، رقم ٣١٤٠)، ومسلم (٤/ ٢١١٠، رقم ٢٦١٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤/ ١٧٢٦، رقم ٤٤٠٩)، ومسلم (٤/ ١٩٩٧، رقم ٢٥٨٣).

(٤) حسن: رواه خرجه الطبراني (٤/ ٨٤ رقم ٣٧١٨) قال المنذري (٣/ ١٣٠): لا بأس بإسناده في المتابعات، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٥) حسن: رواه أحمد (٣/ ١٥٣، رقم ١٢٥٧١)، وقال الهيثمي (١٠/ ١٥٢): فيه أبو عبد الله الأسدي، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٩).

رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟

قال: مع المظلوم حتى يؤدَى إليه حقه.

وأما حسرته يوم القيامة

وأما عن حسرته يوم القيامة فعن أبى أمامة قال: يجىء الظالم يوم القيامة، حتى إذ كان على جسر جهنم لقيه المظلوم، وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حَملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة ـ يوم القيامة ـ فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه.

قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١] .

قال: فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئًا.

فيُنصب العبد للناس ثم يقول الله ـ تعالى ـ لأصحاب الحقوق: ائتوا إلى حقوقكم قال ـ فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته.

فإن كان وليًّا لله، وفضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبدًا شقيًّا، ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه: فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته. ثم صّك له صكًا إلى النار.

ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبى ﷺ : **«أتدرون من المفلس»** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: **«المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»**[1] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٩٧، رقم ٢٥٨١).

وعن جابر ﷺ قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: **«ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة»**؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قُلة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبتها فانكسرت قُلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا. قال: يقول رسول الله ﷺ: **«صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»**[1].

ولذلك أمرنا النبى ﷺ أن نتحلل من المظالم فى الدنيا قبل أن نجني ثمار الحسرة يوم القيامة فقال ﷺ: **«من كانت لأخيه مظلمة من عرضٍ أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عملٌ صالحٌ أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أُخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه»**[2].

فمن جاء يوم القيامة بتلك المظالم ولم يتحلل منها فى الدنيا فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ [طه: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٢٩ رقم: ٤٠١٠)، وحسنه العلامة الألبانى فى مختصر العلو (٤٦/ ٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٤، رقم ٦١٦٩).

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم: ٤٢ - ٥٢] .

بل أخبر النبي ﷺ عن حال هذا الظالم يوم القيامة بأنه سيكون مُفلسًا من الحسنات بسبب ظلمه للعباد فيأتيه المظلومون... فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى تفنى كل حسناته ثم تُطرح عليه سيئاتهم ثم يُطرح في النار ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ.

هذا هو المفلس

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أتدْرُونَ مَا الْمُفلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا منْ لاَ دِرْهَمَ له وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إنَّ المُفلِسَ مِنْ أمَّتى، يَأتى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصلاةٍ وَصيام وزَكاةٍ، وَيَأتى قَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ هَذَا، وَأكلَ مالَ هَذا، وَسفَكَ دَمَ هَذا، وَضَرَبَ هَذَا، فيُعطى هذا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهذَا مَنْ حَسَنَاتِهِ. فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قبْلَ أنْ يُقضىَ مَا علَيْهِ أخِذ مِنْ خطَايَاهُمْ فَطُرِحتْ عَلَيْه. ثمَّ طُرِحَ فى النَّارِ»(١) .

قال الإمام النووى رحمه الله: معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسًا، وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك فى حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور فى الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى فى النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه.

أول ما يقضى بين الناس فى الدماء

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٣٢].

وقال ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»(٢) .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٩٧، رقم ٢٥٨١).

(٢) صحيح: رواه والبخارى (٦/ ٢٥١٧، رقم ٦٤٧١).

بل يوضح النبي ﷺ بشاعة هذه الجريمة فيقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمنٍ بغير حقٍ»(١) .

ثم يوضح هذا المشهد المفزع من مشاهد يوم القيامة فيقول ﷺ : «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخَبُ دمًا فيقول: يارب سَل هذا فيم قتلني؟ حتى يُدنيه من العرش»(٢) .

القصاص بين الدواب يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إذا كان يوم القيامة مُدَّ الأديم، وحُشر الدواب والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال لها كوني ترابا، قال فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾[النبأ: ٤٠](٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة»(٤) .

وعن أبي هريرة يرفعه: «ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة، حتى الشاتان فيما انتطحتا»(٥) .

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان، فقال: «أبا ذر، هل تدري فيم تنتطحان؟». قال: لا، قال: «ولكن الله يدري وسيقضي بينهما»(٦) .

عن أبي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوق إلى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيامَةِ حتى

(١) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه (٢/ ٨٧٤، رقم ٢٦١٩)، قال البوصيري (٣/ ١٢٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٣٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٥/ ٢٤٠، رقم ٣٠٢٩)، والنسائي (٧/ ٨٧، رقم ٤٠٠٥)، وابن ماجه (٢/ ٨٧٤، رقم ٢٦٢١)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧).

(٣) إسناده جيد: انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (١٩٦٦).

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٦٣ رقم: ٨٧٤١)، انظر السلسلة الصحيحة (١٥٨٨).

(٥) رواه أحمد (٣/ ٢٩ رقم: ١١٢٥٦)، وقال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة إسناد حسن لغيره (١٩٦٧).

(٦) إسناده صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٦٢، رقم ٢١٤٧٦) انظر السلسلة الصحيحة (١٥٨٨).

يُقادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ من الشَّاةِ القَرْنَاءِ»[١] .

قال الإمام النووى: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره.

قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة فى القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة،... والجلحاء: هى الجماء التى لا قرن لها.

فإذا كان القصاص سيكون بين الدواب يوم القيامة فكيف بمن يظلم مسلمًا موحدًا لله (عز وجل)؟!!!.

البدار البدار قبل نزول الموت

وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه، كما قال عمر ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ويتدارك ما فرط من تقصير فى فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده (وسوء ظنه) بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول ظلمتنى، وهذا يقول شتمتنى، وهذا يقول استهزأت بى، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوؤنى وهذا يقول: جاورتنى فأسأت إلى جوارى، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول: بايعتنى وأخفيت عنى عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت فى سعر متاعك، وهذا يقول رأيتنى محتاجًا وكنت غنيًا فما أطعمتنى، وهذا يقول وجدتنى مظلومًا وكنت قادرًا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٩٧، رقم ٢٥٨٢).

على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتنى، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم، وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشد حسرتك فى ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفهت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقًا أو تظهر عذرًا!! فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتُنقل إلى (خصمائك) عوضًا عن حقوقهم.

قال أبو حامد الغزالى: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا (ينقضى) عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك. فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام، (والشبهات) والتقصير فى الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠] فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك؟ فتقول: أين حسناتى؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك، فتقول: يارب هذه سيئات ما قارفتها قط. فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء، وظلمتهم فى المعاملة والمبالغة والمجاورة والمخاطبة، والمناظرة والمذاكرة والمدارسة، وسائر أصناف المعاملة، فاتق الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه

مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليُسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الإخلاص من حيث لا يطلع عليه إلا الله (تعالى) وليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذى ادخره لأرباب المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم.

القنطرة.. والقصاص بين المؤمنين

إنها القنطرة التى لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئًا. فهى القنطرة التى يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض..... فبعد خروجك من تلك الأهوال التى تحدثنا عنها وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التى قال عنها النبى ﷺ **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقّوا وُهّذبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا»**[1].

قال القرطبى فى التذكرة: ومعنى **«ويخلص المؤمنون من النار»** أى يخلصون من الصراط المضروب على النار ودل هذا الحديث على أن المؤمنين فى الآخرة مختلفو الحال.

قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذبوا وطُيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلامٌ عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين.

ويا لها من حسرة شديدة أن تجد نفسك أمام من يأخذ حسناتك من أجل المظالم التى كانت بينكم فى الدنيا.... هذا يقول لك لقد اغتبتنى وهذا يقول لقد سرقتنى وهذا يقول.. ومن أجل ذلك أقول لك يا أخى: إياك ومظالم العباد، وإياك أن تبيت ليلة ولأحدٍ عندك مظلمة وإن كان هذا الإنسان كافرًا فإن دعوة المظلوم مستجابة يرفعها الله فوق الغمام ويقول وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين..... قال ﷺ: **«اتقوا**

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢/ ٨٦١، رقم ٢٣٠٨).

دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»[1].

وقد يسأل سائل ويقول: ما الفرق بين القصاص عند الميزان وبين القصاص على تلك القنطرة؟

والجواب أن القصاص عند الميزان قد يكون بين مؤمن ومؤمن أو بين كافرٍ وكافر، أو بين مؤمن وكافرٍ، وهذا القصاص قد يؤدى إلى فناء حسنات أهل الظلم الذين هم أهل الظلمات يوم القيامة وبالتالى فيكون مصيرهم إلى النار وبئس المصير وقد لا يصل إلى فناء الحسنات؛ ولكنه يُنقص منها بقدر المظالم التى ظلمها للناس وهذا ينقص من درجته فى الجنة.

وإذا اقتص الحق تبارك وتعالى من المؤمن إلى الكافر فإن حسنات المؤمن تنقص بقدر المظلمة ولكنها لا تُحسب لهذا الكافر لأن الكافر ليس له رصيد يوضع فيه تلك الحسنات لأن الكفر يحبط العمل كله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

أما المظالم التى على القنطرة فهى بين المؤمنين الذين يدخلون الجنة فيقتص كل واحد منهم من الآخر بقدر مظلمته فيزداد ويرتفع المظلوم درجة فى الجنة ويخسر الظالم درجة فى الجنة فيا لها من حسرة فإياك ومظالم العباد!!.)

سؤال الأنبياء وشهادة هذه الأمة للأنبياء

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦، ٧] و قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢].

فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام: ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ١٥٣، رقم ١٢٥٧١). قال الهيثمى (١٠/ ١٥٢): فيه أبو عبد الله الأسدى، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

قيل: فى تفسيرها كانوا قد علموا و لكن ذهبت عقولهم و عزبت أفهامهم و نسوا من شدة الهول و عظيم الخطب و صعوبة الأمر فقالوا: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩] ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام و يقال: إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب ثم إن الله يثبتهم و يحدث لهم ذكر فيشهدون بما أجابت به أممهم ويقال: إنما قالوا ذلك تسليما كما فعل المسيح فى قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦] و الأول أصح لأن الرسل يتفاضلون و المسيح من أجلهم لأنه كلمة الله و روحه قاله أبو حامد.

وقال رسول الله ﷺ: «**يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي و معه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فتدعى أمة محمد** ﷺ **فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا** ﷺ **بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه قال فذلك قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **[البقرة: ١٤٣]**»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته فيقول الله هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبى فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته وهو قوله:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم»(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٢ رقم: ٤٢٨٢ . وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٤٤٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣/ ١٢١٥، رقم ٣١٦١).

الميزان

رأينا أن العباد حُشروا أمام رب العباد سبحانه لا وزير فيحرش ولا حاجب فيؤتى ولا إنسان يدافع عن إنسان.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾

[المؤمنون: ١٠٣].

حتى رأينا المرء كيف يفر من أخيه ومن ابنه ومن أبيه ومن أمه ومن عشيرته كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٣- ٣٧].

وفى هذا المقام لا ينفع مال ولا بنون إلا من صلح قلبه وصلح عمله كما قال رب العالمين: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ويقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥- ١٠٧]، ليس فيها حفرة تختفى فيها وتنزل الملائكة تنزيلا يقال إن أهل السماء الأول أكبر عددًا من أهل الأرض يعنى إذا كان على وجه الأرض خمسة مليار كم يكون فى السماء الأولى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]، ينزل أهل السماء إلى أرض المحشر وهم أكثر أضعافًا من عدد البشر وبعد ذلك يأتى الحكم العدل قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وهى جملة حالية وجاء ربك بعد أن صار الملائكة صفًا صفًا.

ويصف لنا الحبيب ﷺ عظم ملك من ملائكة حملة العرش فيقول ﷺ: « **أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش؛ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة** »[1].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤/ ٢٣٢، رقم ٤٧٢٧)، وقال الحافظ فى الفتح (٨/ ٦٦٥): إسناده على شرط=

وقال: «أذن لى أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه فى الأرض السفلى وعلى قرنه العرش و بين شحمة أذنيه و عاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»[١].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧] تخيل عظم حملة العرش من الملائكة الكرام وذكرنا أن السموات والأرض وما فيهن بالنسبة إلى الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة... والكرسى بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة فى فلاة فانظر عظم حجم العرش سبحان الله الخالق العظيم وانظر عظم حملة العرش.

والميزان يوم القيامة هل هو ميزان واحد يوزن به الأعمال أم موازين متعددة قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فإن فى اللغة العربية يطلق الجمع على المفرد مثل كذبت عاد المرسلين وهو رسول واحد وهذا رأى من قال نطلق الجمع على المفرد ولكن سواء كان ميزان أو موازين فهذا لا إشكال فيه ولكن ما هو العمل الذى يثقل الميزان.

يقول القرطبى: «وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغى أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها».

وقد دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيقى، لا يقدر قدره إلا الله تعالى، فقد روى الحاكم عن سلمان عن النبى ﷺ: قال «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت. فتقول الملائكة: يارب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقى. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[٢].

=الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٥٤).

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٣١٤، رقم ٦٥٠٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٥٣).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٦٢٩، رقم ٨٧٣٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٤١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سألت النبى ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال: «أنا فاعل قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك قال: اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط قال قلت فإن لم ألقك على الصراط قال: فاطلبنى عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاث المواطن»[(١)].

ما الذى يوزن فى الميزان

والقول فى الموزون على أربعة أوجه:

١- أن الأعمال هى التى توزن وأن أفعال العباد تُجَسم فتوضع فى الميزان، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

ويقول النبى ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[(٢)].

٢- أن صحائف الأعمال هى التى توزن، يدل على ذلك حديث البطاقة عن ابن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله سيخلّص رجلًا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثلُ مدّ البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٧٨، رقم ١٢٨٤٨)، والترمذى (٤/ ٦٢١، رقم ٢٤٣٣) وقال: حسن غريب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه والبخارى (٥/ ٢٣٥٢، رقم ٦٠٤٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٢، رقم ٢٦٩٤).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

٣- أن الموزون ثواب العمل كما جاء فى حديث أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهم غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما... اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[1].

قال أهل العلم: إنه يجيء ثواب قراءته.

٤- أن الموزون هو العامل نفسه والدليل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت أجتنى لرسول الله ﷺ من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى فقال النبى ﷺ «مم تضحكون»؟ قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أُحد»[2] أى من جبل أحد.

وفى المقابل يقول النبى ﷺ: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾»[3].

ومعنى الحديث: لا ثواب لهم ولا حسنة لهم توزن، وقيل: أى لا قدر لهم عندنا والله أعلم.

فضل الشهادة

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلًا من أمتى على رؤوس الخلائق - وعند ابن ماجه: يصاح برجل من أمتى - يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا يا رب، فيقول: بل إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ٥٥٣، رقم ٨٠٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ١١٤، رقم ٩٢٠)، والطبرانى (٩/ ٩٥، رقم ٨٥١٦). وقال الهيثمى (٩/ ٢٨٨): رجالهم رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٧٥٩، رقم ٤٤٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧، رقم ٢٧٨٥).

قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء»(١).

الميزان حق.. ولا يكون فى حق كل أحد

قال القرطبى ـ رحمه الله ـ: الميزان حق ولا يكون فى حق كل أحد، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام، «فيقال يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه...»(٢). الحديث.

وقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] الآية، وإنما يكون لمن بقى من أهل المحشر ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين.

وقال أبو حامد: والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا، وإنما هى براءات مكتوبة... لا إله إلا الله محمد رسول الله. هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها (أبدًا) فما مر عليه شىء أسرّ من ذلك المقام.

فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون

أخى الحبيب: هل وقفت يومًا لتشترى طعامًا أو فاكهة ورأيت كفة الميزان وهى تميل وترجح على الأخرى.. فتذكرت ميزان الآخرة وقد رجحت كفة السيئات على كفة الحسنات فكان ذلك حاديًا لك لأن تبادر إلى التوبة ولتجتهد فى طاعة الله -عز وجل- لتملأ كفة الحسنات بكل أنواع الطاعات والقربات ليرضى عنك رب الأرض والسماوات.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١- ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال أنس بن مالك ﷺ: «إنكم لتعملون أعمالًا هى أدق فى أعينكم من الشعر إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

هل تدبرت أخى الكريم فى كلمات أنس ﷺ؟.

إنه يقول تلك الكلمات لخير جيل عرفته البشرية كلها... وكأنه يقصد أن الصحابة (ﷺ) كانوا فى عهد النبى ﷺ إذا وقع أحدهم فى صغيرة ينظر بقلبه إلى ميزان يوم القيامة وقد تساوت كفة الحسنات مع كفة السيئات فتأتى تلك الصغيرة فترجِّح كفة السيئات فتكون سببًا فى دخوله النار فتكون بذلك من الموبقات. فهل تخيلت نفسك عند الوقوع فى معصية ـ صغيرة كانت أو كبيرة ـ أن تلك المعصية ربما ترجح كفة سيئاتك فكان ذلك حاديًا لك لأن تتوب وتعود إلى الله وتجتهد فى طاعته لتكون من المفلحين فى الدنيا والآخرة.

ما الأعمال التى تثقل فى الميزان

إن كل أعمال البر والطاعة تثقل فى الميزان وتجعل كفة الحسنات راجحة على كفة السيئات ولكن هناك أشياء تجعل كفة الحسنات ثقيلة جدًا.

قال ﷺ: «ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلق وإن الله يُبغض الفاحش البذىَّ»[1].

وقال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٤/ ٣٦٢، رقم ٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ٢٠٣، رقم ٢٢٣).

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[(١)].

وقال ﷺ: «من احتبس فرسًا فى سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده كان شبعه وريُّه وروثه وبوله حسنات فى ميزانه يوم القيامة»[(٢)].

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة

عن عائشة ﵂ أن رجلًا قعد بين يدى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: إن لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: «بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل» قال: فتنحَّى الرجل فجعل يبكى ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ...﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية[(٣)].

مسألة هامة

فإن قيل: أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه تقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن، والكافر لا يكون له حسنات، فما الذى يقابل بكفره وسيئاته وأنَّى يتحقق فى أعماله الوزن؟.

فالجواب: إن ذلك على وجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته فى إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها فى الكفة الأخرى؟ فلا يجدها فيُشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغا فهو خفيف.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣/ ١٠٤٨ رقم: ٢٦٩٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٢٨٠، رقم ٢٦٤٤٤)، والترمذى (٥/ ٣٢٠، رقم ٣١٦٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٣٩).

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تُجمع وتوضع فى ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها بها رجح به ولم يخل من أن يكون الجانب الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفًا ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا.

فإن قيل: لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها جزاء مثلها وليس له منه جزاء؛ لأن رسول الله ﷺ سُئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له: إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويعين فى النوائب فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «**لا لأنه لم يقل يومًا رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين**»[1].

والجواب: أن الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة، فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبى طالب فإنه قيل له: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ فقال: «**نعم، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار**»[2].

ميزان الدنيا وميزان الآخرة

إن ميزان الدنيا غير ميزان الآخرة وإن مقاييس البشر تختلف كل الاختلاف عن مقاييس رب البشر -جل وعلا-.

قال ﷺ: «**سيأتى على الناس سنوات خدَّاعات، يُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكذَّب فيها الصادقُ، ويُؤتمنُ فيها الخائنُ، ويُخونُ فيها الأمين، وينطقُ فيها الرُّويبضَةُ**». قيلَ: وما الرُّويبَضةُ؟ قال: **الرجلُ التافهُ يتكلمُ فى أمر العامَّةِ**»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٩٦، رقم ٢١٤).

(٢) متفق عليه: رواه والبخارى (٣/ ١٤٠٨، رقم ٣٦٧٠)، ومسلم (١/ ١٩٤، رقم ٢٠٩)

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩١، رقم ٧٨٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٩، رقم ٤٠٣٦) قال البوصيرى (٤/ ١٩١): هذا إسناد فيه مقال، والحاكم (٤/ ٥١٢، رقم ٨٤٣٩) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٥٠).

فهذه هى مقاييس أكثر البشر لكن مقياس رب البشر -عز وجل- بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

وها هو الحبيب ﷺ يوضح أن ميزان العبد يوم القيامة يثقل إذا كان صالحًا فى الدنيا فجاء يوم القيامة متزودًا بالتقوى والعمل الصالح.

فها هو عبد الله بن مسعود كان يجتنى سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ **«مم تضحكون؟»** قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه فقال: **«والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أُحُد»** [(١)] - أى من جبل أُحد.

فلو وُضع عبد الله بن مسعود فى ميزان يوم القيامة ووُضع أمامه جبل أُحد لرجحت كفة ابن مسعود بإيمانه بالله -عز وجل.

وفى المقابل يقول الحبيب ﷺ **«إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»** [(٢)].

بل هناك صنف كريم من البشر لو أقسم على الله لأبرَّ قسمه.

قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبَرَّه منهم البراء بن مالك» [(٣)].

وفى معركة (تُستر) من بلاد فارس لما تحصن الفُرس فى إحدى القلاع واشتد القتال وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك، فأقِسم على الله، فقال: أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا فى المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: «أقسمت يارب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتنى بنبيى ﷺ»، فمنُحوا

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٧٥٩، رقم ٤٤٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧، رقم ٢٧٨٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٥/ ٦٩٢، رقم ٣٨٥٤)، وقال: صحيح حسن، والحاكم (٣/ ٣٣١، رقم ٥٢٧٤)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٧٣).

أكتافهم وقُتل البراء شهيدًا.

لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة: إن العبد يوم القيامة قد يحتاج إلى حسنة واحدة ليدخل الجنة.

وها هم أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فلو كان لأحدهم حسنة واحدة تُرجح كفة الحسنات لدخل الجنة ـ وإن كان الراجح من أقوال أهل العلم أن مصير أصحاب الأعراف فى النهاية إلى الجنة ولكن يكفيهم مرارة الانتظار ـ.

قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧].

قال ابن كثير: والأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله.

قال حذيفة ﷺ: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإنى قد غفرت لكم.

عن ابن مسعود قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح.

وقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة، كُتب له بها عشر وإذا عمل سيئة، لم تُكتب إلا واحدة. ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه. وكذا روى الضحاك عنه... وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أى فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم ولكن لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بدخولها قال الحسن: والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها الله بهم.

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقال ابن مسعود: لما نظروا إلى أهل النار ورأوا منازلهم تعوذوا بالله من منازلهم وقالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)﴾.

ومن أجل ذلك قال ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق»[١].

فبكلمة واحدة يدخل العبد أعلى الجنة.. وبكلمة واحدة يدخل العبد نار جهنم.

قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٢].

وقال ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأسًا، يهوى بها سبعين خريفًا فى النَّار»[٣].

وقال ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلم بالكلمةِ منْ رضوانِ الله تعالى ما يظنُّ أنْ تبلغَ ما بلغتْ؛ فيكتُبُ الله له بها رضوانهُ إلى يوم القيامةِ، وإنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من سخطِ الله تعالى ما يظنُّ أنْ تبلغَ ما بلغتْ؛ فيكتبُ الله عليه بها سخطهُ إلى يوم القيامة»[٤].

بل لقد أخبر النبى ﷺ أن أى عمل يعمله العبد ولو كان صغيرًا قد يُدخله الجنة أو يوبقه فى نار جهنم.

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[٥].

وفى المقابل قال ﷺ: «غُفر لامرأة مومسةٍ مرت بكلبٍ على رأس رَكيٍ يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٣٧٧، رقم ٦١١٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩٧، رقم ٧٩٤٥)، والترمذى (٤/ ٥٥٧، رقم ٢٣١٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨).

(٤) صحيح: رواه مالك (٢/ ٩٨٥، رقم ١٧٨١)، وأحمد (٣/ ٤٦٩، رقم ١٥٨٩٠)، والترمذى (٤/ ٥٥٩، رقم ٢٣١٩)، وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٩).

(٥) متفق عليه: رواه والبخارى (٣/ ١٢٠٥، عقب رقم ٣١٤٠)، ومسلم (٤/ ٢١١٠، رقم ٢٦١٩).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٣/ ١٢٠٦، رقم ٣١٤٣).

فإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا فكيف بمن يعبد ويوحد رب البرايا؟!.

ومن أجل ذلك قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (١).

فافعل الخير أيها الأخ الحبيب ولا تحتقر أى عمل صالح ولو كان صغيرًا فى عينيك... فقد يجعل الله نجاتك فى هذا العمل فلو أنفقت ربع جنيه فلا تقل: هذا قليل فإنك لا تدرى من المقبول.

قال ﷺ: «سبق درهمٌ مائة ألف درهم: رجلٌ له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجلٌ له مالٌ كثير فأخذ من عُرضه مائة ألفٍ فتصدق بها» (٢).

كيف تنجو من خطر الميزان

يقول صاحب الإحياء -رحمه الله-: واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا. وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ويتدارك ما فرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه، هذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى، شتمتنى، وهذا يقول استهزأت بى، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى، وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى، وهذا يقول بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك، وهذا يقول رأيتنى محتاجًا وكنت غنيًا فما أطعمتنى، وهذا يقول وجدتنى مظلومًا

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (٢/ ٥١٤، رقم ١٣٥١)، ومسلم (٢/ ٧٠٤، رقم ١٠١٦).

(٢) حسن رواه النسائى (٥/ ٥٩، رقم ٢٥٢٧)، وابن حبان (٨/ ١٣٥، رقم ٣٣٤٧)، والحاكم (١/ ٥٧٦، رقم ١٥١٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٦).

وكنت قادرًا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم وما راعيتنى. فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم ـ حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم ـ إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧].

فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٤].

فتفكَّر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سرورًا وفرحًا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهَّم تبخترك بين الخلائق رافعًا رأسك خاليًا عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان ﷺ وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنّعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه، بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله، فلن تدرك ذلك إلا به.

* * *



الشفاعة

إن القلوب قد كلّت من عناء الدنيا وما فيها وإن الصدور قد ضاقت بأهل الباطل وما يصنعون وإن المسلم يصبح فى هذه الحياة بين هؤلاء وهؤلاء ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم فعلى المسلم أن يصلح قلبه وعمله ويسعى فى إصلاح غيره ونصحه كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ فبذلك فلاح الدنيا والآخرة واعلم أن القلب له أمور تصلحه وأمور تفسده ومن الأمور التى تصلح القلب ذكر الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

فعليك بإصلاح القلب لأن فيه صلاح الجسد كله كما قال الحبيب ﷺ: «......**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**»[1].

واعلم أن القلوب تفسد كما يفسد الجسد فتجد الإنسان كذاب ويقول لك الله غفور رحيم وتجده لا يصلى ويقول الله غفور رحيم ترى الرجل زوجته تسير فى الشوارع سافرة ويقول لك الله غفور رحيم سبحان الله يركبون بحر التمنى غرتهم الأمانى قالوا إننا نحسن الظن بالله ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل القضية ليست إحسان ظن نظرى ولكن إحسان ظن عملى والله عز وجل أمرك بأمور ونهاك عن أمور وحتى تحسن الظن بالله يكون لك سابقة أعمال حتى يشفع لك الحبيب ﷺ يوم القيامة عندما يشتد البلاء بالناس فى الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كى يأتى لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويذكّرونه بفضله وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر، ويذكر عصيانه ربه بأكله من الشجرة التى حرّم الله عليه الأكل منها، ويحيلهم إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذى سماه الله عبدًا شكورًا، فيأبى ويذكر ما كان منه من تقصير فى بعض الأمور تجاه

(١) متفق عليه: رواه والبخارى (١/ ٢٨، رقم ٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩، رقم ١٥٩٩).

ربه ومولاه، وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولى العزم من الرسل، والآخر يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا الرسول الخاتم: محمد ﷺ، الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم مقامًا يحمده عليه الأولون والآخرون، وتظهر به منزلته العظيمة، ودرجته العالية.

عن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة قال: «أنا فاعل إن شاء الله قال: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبنى على الصراط قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبنى عند الميزان قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن»[1] .

الشفاعة العظمى

قال بعض أهل العلم: ولنبينا ﷺ (الشفاعة العظمى) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى عنه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء: ٧٩] لذا قلنا (قد خصه الله بها) بالشفاعة (تكرمًا) من الله عز وجل على النبى ﷺ وعلى أمته به.

كما فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلى: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[2] .

قال ﷺ: «إنَّ النَّاسَ يصيرونَ يومَ القيامةِ جُثًا، كلُّ أمةٍ تتبعُ نبيَّها، يقولونَ: يا فُلانُ اشفع يا فُلانُ اشفَعْ، حتَّى تنتهى الشفاعةُ إلى محمد ﷺ، فذلكَ يوْم يبعثُه الله المقامَ المحمودَ»[3] .

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٧٨، رقم ١٢٨٤٨)، والترمذى (٤/ ٦٢١، رقم ٢٤٣٣) وقال: حسن غريب، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٦٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ١٢٨، رقم ٣٢٨)، ومسلم (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤/ ١٧٤٨، رقم ٤٤٤١).

مُشفَّعٍ»[(١)].

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبيٍ يومئذٍ آدمُ فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول شافعٍ وأول مشفَّع ولا فخر»[(٢)].

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخارًا فى الغالب أراد النبى ﷺ أن يقطع وهم من توهَّم أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «ولا فخر».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أُتى رسول الله ﷺ بلحم، فُدفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لِمَ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد (واحد)، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى، نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذْباتِه، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨).

(٢) صحيح لغيره: رواه أحمد (٣/ ٢، رقم ١١٠٠٠)، والترمذى (٥/ ٥٨٧، رقم ٣٦١٥)، وصححه العلامة الألبانى.

فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، قال: هكذا هو، وكلَّمتَ الناس فى المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده (مثله، ولم يذكر له ذنبًا)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتونى، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربى عز وجل، ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى، فيقال: يا محمد، ارفعْ رأسك، سلْ تعطه، اشفع تُشفع، فأقول: (يا) رب أمتى أمتى، (يا رب أمتى أمتى، يارب أمتى أمتى)، فيقول: أدخِلْ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذى نفسى بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرَى»(١) .

النبى ﷺ يخبئ دعوته شفاعة لأمته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨] .

فها هو الحبيب ﷺ يختبىء دعوته شفاعة لأمته.

قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٧٤٥، رقم ٤٤٣٥)، ومسلم (١/ ١٨٤، رقم ١٩٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٨٩، رقم ١٩٨).

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «اللهم أمتى، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»[١].

كيف نفوز بشفاعة النبى ﷺ

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أفوز بشفاعة النبى ﷺ؟.

أقول لك: هذا هو الطريق فافتح قلبك لكلام النبى ﷺ.

قال ﷺ: «... وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»[٢].

وقال ﷺ: «إذا سمعتُم المؤذِّن فقُولوا مثل ما يقولُ، ثمَّ صلُّوا علىَّ؛ فإنهُ منْ صلى علىَّ صلاةً صلى الله عليه بِها عشرًا، ثمَّ سلُوا الله لى الوسيلةَ؛ فإنها مَنزِلةُ فى الجنةِ، لا تنبغى إلا لعبدٍ منْ عباد الله، وأرجُو أنْ أكونَ أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت عليه الشفاعةُ»[٣].

وقال ﷺ: «من قال حين يسمعُ النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة»(٤).

وقال ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٣٢ رقم: ٥٢٠).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢٨٨، رقم ٣٨٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٧٤ رقم: ٥٤٣٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٥).

شروط الشفاعة

إن الشفاعة الثابتة فى الشرع هى التى يتوفر فيها شرطان:

ـ إذن الله للشافع. ـ الرضا عن المشفوع له.

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء فى ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له فى الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبأ: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الزمر: ٤٤]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف: ٨٦]، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[طه: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى فى الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾[غافر: ١٨].

وقال عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾[الشعراء: ١٠٠، ١٠١] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٢٥٤﴾[البقرة: ٢٥٤] .

فالنبى ﷺ:

يشفع أولًا إلى الرحمن فى فصل القضاء بين أهل الموقف

من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولى العزم الهداة الفضلا

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافرًا فإن الله لم يقبل شفاعة خليله فيه فى ذلك اليوم: روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر فى يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصنى؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يُبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إنى حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلقى فى النار»[1] .

أنواع الشفاعات يوم القيامة

وقال صاحب شرح العقيدة الطحاوية رحمه الله:

الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهى العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

النوع الثانى والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى أقوام آخرين قد أمِر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٣/ ١٢٢٣، رقم ٣١٧٢).

يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يُستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مُخرَّج فى الصحيحين.

قال ﷺ: «**وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى**»[1].

وقال ﷺ: «**سألت الله الشفاعة لأمتى فقال: لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. قلت: رب زدنى فحثا لى بيديه مرتين وعن يمينه وعن شماله**»[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يدخلُ الجنة من أمتى زُمرةٌ هم سبعون ألفًا تُضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**... وقال أبو هريرة: فقام عُكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنى منهم قال: «**اللهم اجعله منهم**»[3].

- وفى رواية أنه ﷺ قال: «**أنت منهم**» - ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «**سبقك بها عكَّاشة**».

النوع السادس: الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته فى عمه أبى طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبى فى «التذكرة» بعد ذكر هذا النوع: «فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]: قيل له: لا تنفعه فى الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يُخرجون منها ويدخلون الجنة.

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٥/ ٢٦٨، رقم ٢٢٣٥٧)، والترمذى (٤/ ٦٢٦، رقم ٢٤٣٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧١١١).

(٢) **صحيح:** رواه هناد (١/ ١٣٥، رقم ١٧٨)، وأخرجه أيضًا: الديلمى (٢/ ٣١١، رقم ٣٤٠٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٩٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥/ ٢٢٩٦ رقم: ٦١٧٦)، ومسلم (١/ ١٣٦، رقم: ٥٤٤).

النوع السابع: شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة.

فعن أنس قال: قال ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»..

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»(1).

وقال ﷺ: «يجمعُ الله الناس يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حين تُزلَفُ لهم الجنة فيأتون آدم، فيقولونَ: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدمَ، لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم، لستُ بصاحب ذلك؛ إنما كنت خليلًا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلَّمه الله تكليمًا، فيأتونَ موسى، فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحهِ، فيقول عيسى لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمدٍ، فيأتون محمدًا، فيقومُ فيُؤذَنُ له، وترسل الأمانة والرَّحِمُ، فتقومان جَنَبَتَي الصراط يمينًا وشمالًا، فيمرُّ أوَّلُكم كالبرق ثم كمرِّ الريحِ، ثم كمرِّ الطيرِ وشدِّ الرجالِ، تجري بهم أعمالهم، ونبيُّكم قائمٌ على الصراط يقول: ياربِّ سلم سلم، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقةٌ، مأمورةٌ، تأخذ من أُمِرَت بأخذه فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ في النار»(2).

وأما النوع الثامن: فقد قال صاحب معارج القبول رحمه الله: هي شفاعته ﷺ في أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كثرة الآثام فيشفع لهم النبي ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة (الخوارج)، وأنكرها في عصر التابعين (المعتزلة)، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون

---

(1) صحيح: رواه مسلم (1/ 188، رقم 197).

(2) صحيح: رواه مسلم (1/ 186، رقم 195).

الله الجنة ويستعيذون به من النار فى كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم فى جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله عز وجل ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

قال ﷺ: «يُجمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمُّون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربِّنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجَدَ لكَ ملائِكته، وعلَّمَكَ أسماء كلِّ شيء، فاشفع لنا عند ربِّك، حتى يُريحَنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هُناكم، ويذكر ذنبه الذى أصابه، فيستحى ربه عز وجل من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا نوحًا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا، فيقول: لست هناكم -ويذكر لهم خطيئةَ سؤالِهِ ربَّه ما ليس له به علمٌ، فيَستحى ربَّهُ من ذلك -ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونهُ، فيقولُ: لستُ هناكم، ولكن ائتوا موسى عبدًا كلَّمهُ الله، وأعطاهُ التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم -ويذكر لهم النَّفسَ التى قَتَلَ بغير نفس، فيستحى ربَّهُ من ذلك -ولكن ائتوا عيسى عبدَ الله ورسوله، وكلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فيأتون عيسى، فيقول لهم: هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقومُ، فأمشى بين سِماطين من المؤمنين، حتى استأذنَ على ربِّى، فيُؤذنُ لى، فإذا رأيتُ ربى وقعتُ ساجدًا لربِّى تبارك وتعالى، فيدَعنى ما شاء أن يَدَعنى، ثم يقول: ارفع محمدٌ. قل: يُسمَعْ، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسى، فأحمدُهُ بتحميدٍ يُعلمنيه، ثم أشفع فيحُدُّ لى حدًا فأُدخلهم الجنة ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربى وقعت ساجدًا لربى تباركَ وتعالى، فيدعُنى ما شاء الله أن يدعنى، ثم يقول: ارفع محمَّد! قل يسمعْ، وسل تعطهُ، واشفعْ تشفَّعْ، فأرفعُ رأسى، فأحمده بتحميدٍ يُعلمنيه، ثم أشفعُ، فيَحُدُّ لى حدًا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربى تبارك وتعالى، وقعتُ ساجدًا لربِّى، فيدعنى ما شاء أن يَدَعنى، ثم يقول: ارفع محمَّدُ! قل: يُسمع، وسلْ

تعطَه، واشفع تُشفَّع، فإذا رفعت رأسى، فأحمَدُهُ بتحميدٍ يعلِّمُنيه، ثم أشفع، فيحُدُّ لى حدًا، فأدخلُهُمُ الجنة، ثم أعود الرابعةَ فأقول: ياربِّ! ما بقىَ إلا من حَبَسَهُ القرآن، فيُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبِه من الخير ما يَزنُ شعيرةً، ثم يُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخير ما يَزنُ بُرَّةً، ثم يُخرجُ من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخير ما يَزنُ ذرَّةً»[(١)] .

شفاعة الملائكة

قال ﷺ عن شفاعة الملائكة: «... حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحشوا فيُصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مُقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولًا الجنة...»[(٢)] .

شفاعة المؤمنين

إن صُحبة أهل الإيمان تُثمر لك الخير كله فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت فى حاجة إلى النُصرة ويبذل لك كل ما يستطيع من أجل أن يُدخل عليك السرور والسعادة.

وفى الآخرة يشفع لك عند الله -عز وجل-.

قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزخرف: ٦٧]

ولذلك فعلينا أن نتعاهد من الآن على أنه من أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٦٢٤، رقم ٤٢٠٦)، ومسلم (١/ ١٨٠، رقم ١٩٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١/ ٢٧٧، رقم ٧٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٨).

قال ﷺ موضحًا هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة ـ عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم: «... ثم يُضرب الجسرُ على جهنّم، وتحلّ الشفاعة، ويقولون: اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ. قيل: يا رسولَ الله، وما الجسرُ؟ قال: دَحِضٌ مَزَلَّةٌ، فيه خطاطيفُ وكلاليبُ، وحَسَكةٌ تكون بنجدٍ، فيها شوَيكةٌ، يقالُ لها: السَّعدانُ، فيمُرُّ المؤمنونَ كطرْفِ العَينِ؛ وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكابِ، فَناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسلٌ، ومكدوسٌ فى نار جهنم، حتى إذا خلصَ المؤمنون من النارِ، فوالذى نفسى بيدِه ما منْ أحدٍ منكم بأشدَّ مناشدةً لله فى استيفاءِ الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهمُ الذين فى النارِ، يقولونَ: ربَّنا كانوا يصومون معَنا، ويصلونَ، ويحجُّون، فيقالُ لهمْ: أَخرجوا من عرَفتم، فتحرَّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربَّنا ما بقى فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ارجعوا، فمن وجدتم فى قلبِهِ مثقال دينارٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجونَ خلقًا كثيرًا، ثم يقولونَ ربَّنا لم نذرْ فيها أحدًا ممن أمرتنا بِهِ. ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم فى قلبه مثقالَ نصف دينارٍ من خيرٍ فأخرجوهُ، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا لم نذرْ فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا! لم نذرْ فيها خيرًا»[1].

شفاعة أرحم الراحمين

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلقَ الرحمة يومَ خلقها مائةَ رحمةٍ، فأمسكَ عندهُ تسعًا وتِسعينَ رحمةً، وأرسل فى خلقه كلهمْ رحمةً واحدةً، فلوْ يعلمُ الكافرُ بكُلِّ الذى عندَ الله منَ الرحمةِ لم ييأسْ منَ الجنة، ولوْ يعلمُ المؤمنَ بالذى عند الله من العذاب لم يأمنَ من النار»[2].

وقال ﷺ: «إنَّ الله خلق مائة رحمةٍ، فبثَّ بينَ خلقِهِ رحَمةً واحدةً، فهُم يتراحمون بها، وادَّخرَ عنْدهُ لأوليائه تِسعةً وتسعِين»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه والبخارى (٤/ ١٦٧١، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم (١/ ١٦٧، رقم ١٨٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٧٤، رقم ٦١٠٤)، ومسلم (٤/ ٢١٠٨، رقم ٢٧٥٢).

(٣) رواه وابن عساكر (٨/ ٢٥٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦٦).

وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلقَ يومَ خلقَ السَّمواتِ والأرض مائةَ رحمةٍ، كلُّ رحمةٍ طباقُ ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمةً، فبِها تعطِفُ الوالدةُ على ولدها، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعضٍ، وأخَّر تسعًا وتسعين، فإذا كانَ يومُ القيامة أكملَها بهذه الرحمةِ»[1].

فمن هذه الرحمات العظيمة لرب الأرض والسماوات أنه لا يأذن بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين فحسب بل يقبض قبضة من النار ليُخرج قومًا - من النار - لا يعلم عددهم إلا الله فيدخلهم الجنة... ولا يعلمُ أحدٌ من الخلق قدر قبضة الخالق (جل وعلا) فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ﷺ: «... فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيُّونَ، وشَفَعَ المؤمنون، ولم يبق إلا أرحمُ الرَّاحمينَ، فيقبِضُ قبضةً من النارِ، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ، قد عادوا حُممًا، فيُلقيهم في نهرٍ في أفواه الجنةِ يقالُ له: نهرُ الحياةِ، فيخرجون كما تخرُجُ الحبَّة في حميل السَّيل، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكونُ منها إلى الظل يكُونُ أبيض، فيَخرجونَ كاللُّؤلؤ، في رقابهم الخواتيمُ، يعرفُهم أهلُ الجنةِ: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار، الذينَ أدخلهُم الجنة بغير عملٍ عمِلوهُ، ولا خير قدَّموه، ثم يقولُ: ادخُلوا الجنة فما رأيتموهُ فهو لكم، فيقولون: ربَّنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربَّنا أي شيءٍ أفضلُ من هذا؟ فيقولُ: رضاي فلا أسخط عليكم بعدهَ أبدًا»[2].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٠٩، رقم ٢٧٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤/ ١٦٧١، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم (١/ ١٦٧، رقم ١٨٣).

الصراط

رأينا كيف خرج الناس من القبور وكيف جمعهم الله فى صعيد واحد فى أرض بيضاء نقية.. لم يعص الله عليها بمعصية.. ولم ترتكب فيها أى نوع من الأخطاء التى تغضب الله رب العالمين كما قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وكما وصفها الرسول ﷺ فقال: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد**»(١). الأرض ستتغير وتصبح أرض ثابتة، والسموات سموات ثابتة. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: ٤٧]، يعنى ربنا سينشأنا ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة: ٦١]، سوف يبعث الله الناس يوم القيامة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء. يعنى إذا كان الذراع يعنى كما يقولون ٧٥سم يكون سبحان الله يكون الواحد منا طوله ٤٥ متر هذه مسألة تخرج خارج حدود العقل.

* نحن نأخذ كلام سيدنا الحبيب ﷺ ونقول له صدقت يا رسول الله. لماذا لأنه هو الصادق الأمين لأنه معصوم والذى يقوله نحن من المصدقين به نحن من أول المصدقين ويجب أن نكون من أول المصدقين بما يقوله الحبيب الصادق الأمين ﷺ ثم بعد ذلك رأينا كيف ذهب البشر إلى أبيهم آدم ليستشفع ويشفع عند الله لكى يبدأ الحساب ولكن أبانا آدم يعتذر ويعلم أبناءه من البشرية كلها. أن الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله من قبل. يبقى إذن لما غضب الله على قوم نوح ماذا فعل فيهم ... أرسل عليهم الطوفان يبقى غضب الله يوم القيامة كغضبه يوم الطوفان أم أشد؟ أشد.. هو قال غضب ربى اليوم غضبًا لم يغضب مثله من قبل.

* لما غضب على قوم لوط. وبعث إليهم سيدنا جبريل قلب قريتهم. فحمل القرية على جناحه لما ارتكبوا فاحشة اللواط الشذوذ. سبحان الله. حتى سمع الملائكة نباح كلابهم، ثم رمى البلد بمن فيها. ثم أمطروا بحجارة من سجيل والعياذ بالله قال تعالى: ﴿...... مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣]، يعنى الحجر كان مكتوب عليه اسم الذى سيضربه، سبحان الله سبحانك يا خلاق. مسومه: أى: معلمة يعنى الحجر

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٠، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٠، رقم ٢٧٩٠).

مكتوب عليه اسم الذى سيرمى به جند من جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فى هذا اليوم العظيم يعتذر الأنبياء والرسل:

لا يقوم لهذا المقام إلا صاحب المقام إلا صاحب المقام المحمود ﷺ ورأيت كيف شفاعته ﷺ ومقامه عند الله هو المقام المحمود، ودائمًا ندعو له أن يبعثه الله المقام المحمود كما وعده رب العباد فى كتابه الكريم قال: المقام المحمود منزلة لا تكتب إلا لعبد واحد واحد فقط وعسى أن أكون أنا هو هذا من أدبه ﷺ رأينا كيف بدأ الحساب وكيف تطايرت الصحف وكيف علق كل إنسان بكتابه، وكيف من أخذ الكتاب بيمينه ومن أخذه بشماله ومن أخذه من وراء ظهره.

ورأينا كيف نصبت الموازين وكيف أمر الله عز وجل بجهنم أن تجئ كما قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢٣]، قول كل واحد فى هذا الموقف.. ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٤]، لأنه علم ما قدم ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥]، لذلك لا ينفع الإنسان بعد موته إلا كما قال الحبيب ﷺ: «إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاثةٍ إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ ينتَفَعُ به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[1] من بنى مسجدًا... من كتب مصحفًا... من علم علمًا... سبحان الله من حفر بئرًا من حفر نهرًا... من غرس نخلًا كل هذه الأعمال يجرى ثوابها للعبد بعد موته كما سبق الكلام عن ذلك.

* تطايرت الصحف... استلم كل واحد كتابه اللهم اجعلنا ممن يستلمونه بيمينهم يارب العالمين.

ثم وضعت الموازين.. واتفقنا فيما بيننا أننا نميل إلى الرأى أنه ميزان واحد.. وقلنا: إن العرب يطلقون الجمع على المفرد. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]، عاد قوم عاد ذهب إليهم كم رسول... رسول واحد اللغة العربية فيها بلاغة.... أن يطلق الجمع على المفرد. ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، إذًا الموازين هنا يقصد القرآن بها بميزان يوزن بها أعمال العباد كلهم. لكى يكون ميزان واحد لكى يكون... لله الحجة البالغة على عباده.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٢٥٥، رقم ١٦٣١).

لأن ممكن واحد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤]، يزنون له عند هذا الميزان، لا هذا الميزان فاسد، أريد هذا الميزان لا هذا الميزان لا يعجبنه أريد هذا الميزان. لا هو ميزان واحد

توزن الأعمال.. فمن سعد يسعد سعادة لن يشقى بعدها أبدًا فى أن تثقل موازينه اللهم ثقل موازيننا وفيهم والعياذ بالله من تخف موازينه سبحان الله والرسول واقف عند الميزان أحد المواقف الثلاثة له كما يقول أنس بن مالك ﷺ «سألت النبى ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال: «**أنا فاعل** قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك قال **اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط** قال قلت فإن لم ألقك على الصراط قال **فاطلبنى عند الميزان** قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال **فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**»[1].

والكلام عن الصراط ونحن ندعو الله عز وجل فى كل يوم بل فى كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم. اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم.

* إنه بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقى فى الجملة، يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم وهى عقبة فى طريق الذاهبين إلى دار السلام، وممر خطير للغاية يشهد لخطورته أن الرسول ﷺ يقف على جنباته والناس يمرون، وهو: يدعو «يا رب سلِّمْ سلِّمْ»[2].

* ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم فى الدنيا، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة حتى لكأنه البرق الخاطف. ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حبوًا على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه فى جهنم دار الشقاء، والهوان، والبوار، والخسران.

* يوجد صراط فى الدنيا الذى لا يستقيم عليه لن يمشى على صراط الآخرة يجب أن نسير عليه الذى لا يسير على الصراط المستقيم فى الدنيا لن يسلك به ولن يسرع وسوف يبطأ به على الصراط يوم القيامة نحن نقرأ سبع عشر مرة على الأقل كل يوم. ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، القرآن يفسر بعضه بعضًا فالصراط

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ١٨٦، رقم ١٩٥).

المستقيم هو: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧]، لأن الفاتحة أم الكتاب. فيها الخير كله.. وفيها معانى القرآن كله سبحان الله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾، هذا هو الصراط المستقيم من الذين أنعم عليهم؟ وهم الذين أخلصوا لله العبادة وأخلصوا للرسول ﷺ المتابعة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠] الذين عرفهم به سبحانه.. قال داود يا رب من أحب العباد عندك؟ أحب العباد عندك من؟ قال من حببنى إلى خلقى. وحبَّب خلقى إلى.. قال يا رب وكيف يحببك إلى خلقك؟ قال: يذكرهم بنعمائى فيحبوننى فأغفر لهم فأدخلهم الجنة. سبحان الله يعنى يجعلهم يذكرهم بنعم الله انظروا نعم الله عظيمة كيف؟ انظروا هكذا فيجعل الناس فى حالة من الرضا.. لا أن يقنط الناس من رحمة الله.. فييأس الناس والعياذ بالله من فضل الله. إن أسوأ العباد من قنط الناس من رحمة الله.

* وقد وضح لنا الحبيب ﷺ الطريق كما فى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**خط لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم خطًّا ثم قال هذا سبيل الله ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل قال يزيد متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾»[(١)]، فالإنسان إذا ابتعد عن الطريق المستقيم. فيأخذه الشيطان وينسى العبد نفسه فينبغى للعبد أن يتذكر لأن ربنا وصف ومدح الذى يتذكر فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

* إذًا الشيطان ماذا يفعل يجعل على البصر وعلى البصيرة عمى فلا يرى لكن المؤمن لما يأتيه مس من الشيطان يتذكر الله فينجلى بصره وتنجلى بصيرته فيرى أن الله أقرب إليه من حبل الوريد فكن على حذر وقد قال الحبيب ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[(٢)] كل هذه مكاره أم ليست مكاره؟ مكاره مكاره فالعبور

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤٣٥ رقم: ٤١٤٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى المشكاة (١٦٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ٢١٧٤، رقم ٢٨٢٣).

العبور إلى رضوان الله كالعبور تمامًا على الصراط مثل ما سيأتى للتفصيل أن شاء الله فطريق الله واحد. أم طرق متعددة.. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ [الأنعام: ١٥٣] ماذا؟ ﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] الذى هو ماذا؟ الصراط فى الدنيا وصانا الحبيب ﷺ بماذا قال: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله تعالى وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»(١).

*فصراط الله المستقيم واضح ودين الله كامل لا يحتاج لأحد أن يزيد أو ينقص كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ولقد تركنا الحبيب ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزغ عنها إلا هالك لذلك أى أحد ينضم لفرقه أو لجماعة أو حزب كل هذا تفرق للمسلمين - سبحان الله- بل ينبغى لكل المسلمين أن يسعهم جميعًا كتاب الله وسنة حبيبه ﷺ وأصحابه الكرام ﵃: كما قال ﷺ «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشى فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، صراط واحد.... ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، ثم إن ربنا من فضله ورحمته قال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

فمن سار فى الدنيا على الصراط المستقيم.. سار سريعًا فى الآخرة على الصراط يوم القيامة فالسير على الصراط المستقيم يقتضى صبرًا فمن سار على الصراط المستقيم فى الدنيا سار على الصراط المستقيم سريعًا فى الآخرة ونجا بفضل الله ورحمته وكرمه من عذاب جهنم التى هى دركات.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١٧٢، رقم ٣١٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٢٦، رقم ١٧١٨٤)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧)، والترمذى (٥/ ٤٤، رقم ٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٥٨٠).

* ولذلك بين الحبيب ﷺ بُعد قعر جهنم فقال: «لو أن حجرا مثل سبع خلفات ألقى عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفًا لا يبلغ قعرها»(١).

والصراط جسر فوق جهنم، وسوف يمر العبد من عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، يعنى داخلها؟ فى اللغة لا.. ربنا قال عن سيدنا موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، ورد يعنى ماذا؟ وصل ونظر ورأى. يبقى... وردت الإبل الماء.... يعنى ماذا؟ ذهبت ووصلت إلى هناك وعاينت الماء أمامها... لذلك... ورود الشخص.. أى وصوله إلى هذا المكان.

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «نعم فهل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف

---

(١) صحيح: رواه هناد (١/ ١٧٥، رقم ٢٥٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٨).

عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لى لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار. وفى رواية: فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقى فيها ممن أمرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز و جل شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم

يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أى شيء أفضل من هذا فيقول رضاى فلا أسخط عليكم أبدا»[(١)] .

وأى عبور أصعب من هذا العبور يعنى إن لم يسلم الله ويغفر ويثبت. هذه اللحظة الدعوة عند الصراط للملائكة وللأنبياء والمقربيين من الله عز وجل سبحان الله يارب سلم يارب سلم قيل حتى أنت يارسول الله قال: حتى أنا لا دعوة لى ألا يارب سلم يارب سلم الخطاف كأنما يشم رائحة صاحبه والعابرون على الصراط أصناف كما قال الحبيبﷺ لما سئل يا رسول الله وما الجسر قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل وكالركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار».

«فتوهم نفسك - يا أخى - إذا صرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة، قد لظى سعيرها، وعلا لهيبها، وأنت تمشى أحيانًا، وتزحف أخرى...

ولله در القائل:

أبت نفسى تتوب فما احتيالى	إذا برز العباد لذى الجلالى
وقاموا من قبورِهم سكارى	بأوزار كأمثال الجبالِ
وقد نُصب الصراط لكى يجوزوا	فمنهم من يُكب على الشمالِ
ومنهم من يسير لدار عدنٍ	تلقاه العرائس بالغوالى
يقول له المهيمن يا ولى	غفرت لك الذنوب فلا تبالى

وقال آخر:

إذا مُد الصراط على جحيم	تصول على العصاة وتستطيل
فقومٌ فى الجحيم لهم ثُبور	وقوم فى الجنان لهم مقيل

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٦٧١، رقم ٤٣٠٥)، ومسلم (١/ ١٦٧، رقم ١٨٣).

وبـان الحـق وانكـشف المُغطـى   وطـال الويـل واتـصل العويـل

الأمانة والرحم على جنبتى الصراط

عن أبى هريرة رضي الله عنه فى وصف المرور على الصراط، قال: قال رسول الله ﷺ: «وتُرسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتى الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبى أنت وأمى، أى شىء كالبرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع فى طرفة عين؟ ثم كمرّ الريح، ثم كمرِّ الطير وشدِّ الرحال، تجرى بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب، سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وعلى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به. فمخدوش ناج، ومكدوس فى النار»[1].

ويا له من موقفٍ يشيب لهوله الولدان.

ها هى الأمانة تتعلق على الصراط لتقول لكل خائن يمر عليها: أين الأمانة التى ضيعتها؟.... أين أمانة الطاعة؟... أين أمانة الزوجة والأولاد؟ أين أمانة الأموال التى سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التى أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت أيها الإنسان.

بل ها هى الرحم تتعلق على الصراط لتقول لكل من قطعها:

أين صلة الرحم التى قطعتها فى الدنيا؟ وماذا ستصنع اليوم أمام تلك الأهوال؟!.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إذا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هذا مُقَامُ الْعائِذِ بَكَ مِنَ الْقَطِيعةِ، قال: نَعَمْ أمَا تَرضَينَ أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وأقْطَعَ مَنْ قَطَعكِ؟ قالت: بَلَى، قال: فذلك لَكِ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إنْ شِئتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[محمد: ٢٢]»[2].

وقال ﷺ: «ما منْ ذنبٍ أجدرُ أنْ يعجلَ الله تعالى لصاحبِهِ العقوبة فى الدنيا، معْ ما يدَّخرُه لهُ فى الآخرةِ منْ قطيعةِ الرَّحم، والخيانةِ، والكذبِ، وإنَّ أعجلَ الطاعةِ ثوابًا لصِلةُ

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٨٦، رقم ١٩٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٢٣٢، رقم ٥٦٤١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٠، رقم ٢٥٥٤).

الـرحمِ، حتـى إنَّ أهـلَ البيـتِ لَيكُونـوا فجـرةً، فتنمـو أمـوالَهم، ويكثُـرُ عـددُهم، إذا تواصَلُوا»(١).

أنوار المؤمنين على الصراط

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)﴾ [الحديد: ١٢، ١٣].

وفى هذا الموضع الرهيب يسقط المشركون فى نـار جهنم ويبقى المؤمنـون ـ وفيهم أصحاب الذنوب والمعاصى والمنافقون وتُلقى عليهم الظلمة دون الجسر.

يقـول شـارح الطحاويـة رحمـه الله: «وفى هـذا الموضـع يفتـرق المنـافقون عـن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحـال بيـنهم بـسور يمـنعهم مـن الوصول إليهم.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾؟

وها هو مشهد مهيب من مشاهد يوم القيامة... ألا وهو المشهد الذى يـدور بيـن المؤمنين والمنافقين على الصراط.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [الحديد: ١٢ ـ ١٥].

* والمشهد هنا بإجماله وتفصيله جديد ـ بين المشاهد القرآنية ـ وهو من المشاهد

---

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٨/ ١٥١)، وقال الهيثمى: فيـه عبـد الله بـن موسـى بـن أبـى عثمان الأنطاكى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٠٥).

التى يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسمًا قويًا. فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهدًا عجيبًا. هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم. ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعًا لطيفًا هادئًا. ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم. فهذه الشخوص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعَّت نورًا يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها.. إنه النور الذى أخرجها الله إليه وبه من الظلمات. والذى أشرق فى أرواحها فغلب على طينتها. أم لعله النور الذى خلق الله منه هذا الكون وما فيه ومن فيه، ظهر بحقيقته فى هذه المجموعة التى حققت فى ذواتها حقيقتها!

«ثم ها نحن أولاء نسمع ما يوجَّه إلى المؤمنين والمؤمنات من تكريم وتبشير: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢]..

ولكن المشهد لا ينتهى عند هذا المنظر الطريف اللطيف.. إن هناك المنافقين والمنافقات، فى حيرة وضلال، وفى مهانة وإهمال. وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].. فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف. ولكن أنَّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها فى الظلام؟ إن صوتًا مجهولًا يناديهم: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].. ويبدو أنه صوت للتهكم، والتذكير بما كان منهم فى الدنيا من نفاق ودسٍّ فى الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا. إلى ما كنتم تعملون. ارجعوا فالنور يُلتمس من هناك. من العمل فى الدنيا. ارجعوا فليس اليوم يُلتمس النور! وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات. فهذا يوم الفصل إن كانوا فى الدنيا مختلطين فى الجماعة: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣].. ويبدو أن سورًا يمنع الرؤية ولكنه لا يمنع الصوت. فها هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾.. فما بالنا نفترق عنكم؟ ألم نكن معكم فى الدنيا نعيش فى صعيد واحد؟ وقد بُعثنا معكم هنا فى صعيد واحد؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ كان الأمر كذلك. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾.. فصرفتموها عن الهدى. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾.. فلم تعزموا ولم تختاروا الخيرة الحاسمة. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾.. فلم يكن لكم من اليقين ما تعزمون به العزمة الأخيرة. ﴿وَغَرَّتْكُمُ

﴿ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ الباطلة فى أن تنجوا وتربحوا بالذبذبة وإمساك العصا من طرفيها! ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾.. وانتهى الأمر. ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.. وهو الشيطان الذى كان يطمعكم ويمنيكم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد: ١٥].

ثم يأتى هذا العتاب الرقيق من الله (جل وعلا) حيث يقول: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ [الحديد: ١٦].

إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم؛ واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التى أفاض عليها من فضله؛ فبعث فيها الرسول يدعوها إلى الإيمان بربها، ونزَّل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور؛ وأراها من آياته فى الكون والخلق ما يبصِّر ويحذِّر.

عتاب فيه الود، وفيه الحض، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله، والخشوع لذكره، وتلقِّى ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام، مع رائحة التنديد والاستبطاء فى السؤال:

﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾..

ولكن لا يأس من قلب خمد وجمد وقسا وتبلد. فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله. فالله يحيى الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة، وتزخر بالنبت والزهر، وتمنح الأكل والثمار.. وكذلك القلوب حين يشاء الله:

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾..

التوبة.. والنور على الصراط

وها هى التوبة تضىء لك طريقك إلى الله فى الدنيا والآخرة. ففى الدنيا تعيش فى جنة الإيمان التى لو يعلم قدرها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف... والتوبة تضىء لك قبرك بنور العمل الصالح... والتوبة تضىء لك الطريق فوق

الصراط يوم القيامة... والتوبة تقودك إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

المشركون لا يمرون على الصراط

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي في كتاب التخويف من النار:

واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط، ويدل على ذلك ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع الشمس من يعبدها، ويتبع القمر من يعبد القمر، ويتبع الطواغيت من يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها»** فذكر الحديث إلى أن قال: **«ويُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه»**.

فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعُزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عبّاد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولًا؛ وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨]

وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك.

قنطرة بين الجنة والنار

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«يخلص المؤمنون من النار فيحبسون**

على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا»(١).

* قنطرة التوحيد وإخلاص العبادة لله فإن كان توحيده خالصًا مَرّ، وإن كان في توحيده دخن أو رياء سقط.

* وقنطرة الصلاة: لأنها أساس الدين وعماده، فيوقف العبد ليسأل هل كان يصلي أم لا؟ هل كانت صلاته رياءً أم كانت لله؟ وماذا أثمرت؟

* قنطرة الزكاة: ويسأل عن زكاته أيضًا، هل أداها وأخرج حق الفقير من مال الله الذي عنده.

* قنطرة الصيام: ويسأل عن صيامه أيضًا، هل أتمَّه أم لا.

* قنطرة الحج: لمن استطاع الحج ولكنه ترك هذا الركن العظيم.

* قنطرة المظالم: يأخذ المظلوم حقه من الظالم فعلينا أن نسرع برد الحقوق إلى أصحابه كما قال الحبيب ﷺ: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار و لا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته و إن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه»(٢).

وحذر من التهاون في ذلك فقال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(٣).

* * *

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٦١٦، رقم ٨٧٠٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة في المشكاة (٥٥٨٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥/ ٢٣٩٤، رقم ٦١٦٩)

(٣) صحيح: وقد تقدم.

لا يجمع الله على عبدٍ خوفين

قال الله تعالى: «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى وإن هو خافنى فى الدنيا أمّنته يوم أجمع عبادى»[1].

فهذه أهوال الصراط وعظائمه، فطوّل فيه فكرك فإنّ أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة، ولست أعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك؟ فهذا ليس من الخوف فى شىء! بل إن من خاف شيئًا هرب منه، ومن رجا شيئًا طلبه. فلا ينجيك إلا خوفٌ يمنعك عن معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته.

فلا تكن ممن قال استعنت بالله... نعوذ بالله... اللهم سلم سلم. وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم. فالشيطان يضحك من استعاذتهم. كما يضحك على من يقصده سبع ضار فى صحراء ووراءه حصن، فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بُعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدّة بنيانه وإحكام أركانه؟ فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فأنّى يغنى عنه ذلك من السبع.. وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: «لا إله إلا الله» صادقًا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره. ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق فى التوحيد وأمره مخطر فى نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبًا لرسول الله ﷺ حريصًا على تعظيم سنته ومتشوقًا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركًا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة.

آخر رجل يمر على الصراط

ويخبر الحبيب ﷺ عن حال آخر رجل يمر من على الصراط ليدخل جنة رب الأرض والسماوات فيقول ﷺ «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ـ أى على

---

(١) **حسن**: رواه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٢).

الصراط ـ ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين.... »[1].

فمن شدة هول الصراط ـ المنصوب على متن جهنم ـ أحس هذا الرجل بعد مروره من عليه أن الله (عز وجل) أعطاه شيئًا عظيمًا لم يعطه أحدًا من البشرية كلها.. مع أن هذا الرجل هو آخر من يدخل الجنة!!!.

شفقة النبي ﷺ على أمته:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل ! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»[2].

فنسأل الله (جل وعلا) أن ييسر لنا المرور على الصراط.

* * *

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

الحوض

بمشيئة الرحمن نقترب من سيدنا رسول ﷺ بعد أن عبر الناس على الصراط ورأينا كيف أن العابرين على الصراط كانوا أفواجًا ثلاثه فناج مسلم و مخدوش مرسل و مكدوس فى نار جهنم ورأينا الكلاليب التى كشوك السعدان والخطاطيف التى المقروبه على الجسر أو على الصراط وهو مضروب فوق جهنم والعياذ بالله رب العالمين والنار تزفر من تحت الصراط نسأل الله أن يعيذنا واياكم ويجيرنا وإياكم من عذاب جهنم وأن يزحزحنا وإياكم عن النار وأن يدخلنا وإياكم الجنة.

* فعلينا بالمحافظة على طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته اللهم اجعلنا من الناجين يارب العالمين. القناطر السبع قنطرة التوحيد قنطرة الصلاة قنطرة الصيام قنطرة الحج قنطرة الزكاة قنطرة ظلم العباد فمن نجا فليحمد الله كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه.

فإن تنجو منها تنجو من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجيا.

* وكان الحسن البصرى رحمه الله يمشى فى الطريق فوجد شبابًا يضحكون فقال لهم: يا أولادى هل بلغكم أنكم واردون على النار وإن منكم إلا واردها والوارد هو الذى يمر على الصراط المؤمن وغير المؤمن أو المؤمن القوى الإيمان والمؤمن ضعيف الإيمان والمسلم والمتمسلم كله يمر فوق الصراط هل بلغكم أنكم واردون على النار قالوا بلغنا وهل بلغكم أنكم قد صبرتم ونجوتم منها قالوا لا قال فلم الضحك إذن.

* ويقول سلمان الفارسى رضي الله عنه ثلاثه أعجبتنى حتى أضحكتنى مُؤمِّن فى الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس مغفولًا عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط عليه ربه أم راضٍ.

حوض النبي ﷺ الكوثر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر].

والكوثر فى اللغة هو الخير الكثير عليه أكواب وأباريق من الجنة اللهم اجعلنا من المنعمين فى الجنة بدون سابقه عذاب يارب العالمين.

وعن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: «بينا أنا أسير فى الجنة، إذ عرض لى نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قلت: يا جبريل ما هذا؟ هذا الكوثر الذى أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا، ثم رفعت لى سدرة المنتهى، فرأيت عندها نورا عظيما»(١).

وقال ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء، فإذا مسك أذفر، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله»(٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكوثر نهر أعطانيه الله فى الجنة، ترابه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طائر أعناقها مثل أعناق الجزر، آكلها أنعم منها»**(٣).

وعن ابن عمر ﷺ قال ﷺ: «الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب ريحا من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأشد بياضا من الثلج»(٤).

عن حارثة بن وهب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«حوضى كما بين صنعاء والمدينة فيه الآنية مثل الكواكب»**(٥).

قال عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال ﷺ: **«حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبدا»**(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤/ ١٩٠٠، رقم ٤٦٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه والبخارى (٥/ ٢٤٠٦، رقم ٦٢١٠).

(٣) **صحيح**: رواه لحاكم (٢/ ٥٨٥، رقم، ٣٩٧٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٦١٤).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٦٧، رقم ٥٣٥٥)، وهناد (١/ ١٠٨، رقم ١٣١)، والترمذى (٥/ ٤٤٩، رقم ٣٣٦١) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٦١٥).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٤٠٨، رقم ٦٢١٩)، ومسلم (٤/ ١٧٩٧، رقم ٢٢٩٨).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٤٠٥، رقم ٦٢٠٨)، ومسلم (٤/ ١٧٩٣، رقم ٢٢٩٢).

وقال ﷺ: «حَوضى من عدَنَ إلى عَمَّان البلقاء، ماؤُهُ أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحْلى من العَسل، وأكوابُهُ عددُ نُجوم السماء، مَن يشربْ منهُ شربةً لم يظمأ بعـدَها أبـدًا، أول النـاس ورُودًا عليه فُقراء المُهاجرين؛ الشُّعثُ رُؤوسًا، الدُّنَّسُ ثيابًا، الذين لا ينكحون المُتنعماتِ، ولا تُفتحُ لهمُ السُّددُ»(١).

وقال ﷺ: «إن لكل نبيٍ حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى أرجـو أن أكـون أكثرهم واردة»(٢).

الذى يحدث فى الدين لا يشرب من يدى النبى ﷺ

وها هم أُناس يأتون يوم القيامة ويذهبون إلى حوض النبـى ﷺ ليـشربوا مـن يـد النبى ﷺ شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا... وإذا بالملائكة تدفعهم وتطردهم بعيدًا عن الحوض فلا يشربون منه شربة واحدة.

عن أسماء بنت أبى بكر ﵄ قالت: قال النبى ﷺ: «إنى على الحوض، حتى أنظـر من يرد على منكم، وسيؤخذ ناس دونى، فأقول: يا رب! منـى ومـن أمتـى. فيقـال: هـل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله؛ ما برحوا يرجعون على أعقابهم»(٣).

وقال ﷺ: «أُنزلتْ عليَّ آنفًا سورةُ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أتدرونَ ما الكوثر؟ فإنه نهرٌ وعدنيه ربى، عليه خير كثيرٌ، هو حوضى تردُ عليه أمَّتى يومَ القيامة، آنيته كعددِ النجومِ، فيُختلجُ العبدُ منهمْ، فأقولُ: ربِّ إنهُ من أمتى، فيقولُ: ما تدرى ما أحدثَ بعدكَ»(٤).

وعن سهل بن سعد ﵁ قال: قال ﷺ: «إنى فـرَطُكمْ علـى الحـوضِ، مـنْ مـرَّ بـى شربَ، ومنْ شرِبَ لم يَظمأ أبدًا، وليردَنَّ عليَّ أقوام أعرفُهم ويَعرفـونى، ثـمَّ يُحـالُ بينـى

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٦٢٩، رقم ٢٤٤٤) وقال: غريب. والحاكم (٤/ ٢٠٤، رقم ٧٣٧٤) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦٢) من حديث ثوبان ﵁.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٦٢٨، رقم ٢٤٤٣)، وصـححه العلامـة الألبـانى فى السلـسلة الـصحيحة (١٥٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٤٠٩، رقم ٦٢٢٠)، ومسلم (٤/ ١٧٩٤، رقم ٢٢٩٣).

(٤) صحيح: رواه النسائى (٢/ ١٣٣ رقم: ٩٠٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٩٨).

وبينهُمْ، فأقولُ: إنهُم منى، فيُقالُ: إنكَ لا تَدرى ما أحدثُوا بَعدكَ، فأقولُ: سُحقًا سحقًا لمنْ بدَّل بَعدى»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تردُ عليَّ أمَّتى الحوضَ، وأنا أذودُ الناسَ عنهُ، كما يذودُ الرجُلُ إبلَ الرجُل عن إبله، قالوا: يا نبيَّ الله تعرفُنا؟ قال: نعمْ، لكم سيما ليسَت لأحد غيركمْ، تردونَ عليَّ غُرًا منْ آثار الوضوء، وليُصَدنَّ عنى طائفةٌ منكمْ، فلا يَصلونَ، فأقولُ: يا ربِّ هؤلاء منْ أصحابى! فيُجيبُنى مَلكٌ فيقولُ: وهلْ تدرى ما أحدثُوا بعدكَ»(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يردُ عليَّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابى فيجلون عن الحوض فأقول أى رب أصحابى فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى»(٣).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا قائم على الحوض، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى، حتى عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم: هلم، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»(٤).

قال القرطبى: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون. وكذلك الظَلَمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى، وجماعة أهل الزيغ والأهواء

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٤٠٦، رقم ٦٢١٢)، ومسلم (٤/ ١٧٩٣، رقم ٢٢٩٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢١٧، رقم ٢٤٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥/ ٢٤٠٧، رقم ٦٢١٣).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥/ ٢٤٠٧، رقم ٦٢١٥).

والبدع.

* ثم البعد قد يكون فى حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد، وعلى هذا يكون نور الوضوء يُعرفون به، ثم يقال لهم: سحقا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد فى النار إلا كل جاحد مبطل، ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

فاللهم ارزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبى ﷺ لا نظمأ بعدها أبدًا.

* * *

دركات النار

وصف النار

يجب أن يرتجف قلب العبد من النار لأننا لسنا أشرف ولا أزكى من رسول الله ﷺ فقد كان إذا ذكرت النار يهتز قلبه وكان صدره له أزيز كأزيز المرجل هو وأصحابه الكرام ﵃ وكان لعمر بن الخطاب ﵁ تحت عينيه خطان من البكاء خوفًا من الله عز وجل.

والحسن البصرى كان عندما تُقرأ هذه الآية أمامه ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩] يغشى عليه وكان عمر بن عبد العزيز كذلك، إذا مر بآية من آيات النار شعر أن لفح جهنم فى أذنيه ووجهه، فكان يقوم الليل هكذا كان تعاملهم مع كتاب الله عز وجل، وعند ذكر الجنة كانت قلوبهم تطرب لأن القلوب كانت تقية.

من عمل صالحًا دخل الجنة ومن عمل عمل غير صالح دخل النار إن كنت مؤمنًا كان مكانك الجنة وإن كان غير ذلك فالمكان والعياذ بالله شر مكان للكافر والفاجر والظالم والمفترى والزنديق والمرتد والمرابى كل هؤلاء والذى لا يأتمر بأمر الله ولا ينتهى عند نهيه فكما تزرع تحصد كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فلا يستوى هذا وهذا كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

من خاف أدلج ومن أدلج فقد بلغ المنزل إلا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة إلا دلاج هو السفر.

إن قومًا غرتهم الأمانى يقولون نحسن بالله الظن والله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

[المعارج: ٢٧، ٢٨].

وقال تعالى فى صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

وقال ﷺ: «اجعلوا بينكم وبين النار حجابًا ولو بشق تمرة»[1].

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»[2].

تالله لو عرف المؤمن ما فى النار من عذابٍ ونكال لم يهنأ بعيشٍ ولم يغفل عن طاعة الله لحظة واحدة ولم يتجرأ على معصيته حتى يلقاه.

وكان بعض الصالحين يخرج فى بعض الليالى وينادى بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها، وعجبت من النار كيف نام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف: ٩٧].

ويقول آخر: لو وليت من أمر الناس شيئًا اتخذت منارًا على الطريق وأقمت عليها رجالًا ينادون فى الناس: النار النار.

التخويف من النار

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

[الزمر: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾

[الأحزاب: ٦٦].

---

(١) حسن: رواه الطبرانى (١٨/ ٣٠٣، رقم ٧٧٧)، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٩٧) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٢٤١، رقم ٥٦٧٧)، ومسلم (٢/ ٧٠٤، رقم ١٠١٦) من حديث عدى ابن حاتم رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [المدثر: ٣١- ٣٧].

قال الحسن فى قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦)﴾ قال: والله ما أُنذر العباد بشىء قط أدهى منها.

وقال ﷺ: «إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحُجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»[(١)]، وفى رواية لمسلم «مثلى كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها» قال: «فذلكم مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبونى وتقتحمون فيها»[(٢)].

وقال إبراهيم التيمى: ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار. لأن أهل الجنة قالوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)﴾ [الطور: ٢٦].

النبى ﷺ يستعيذ بالله من عذابها

وها هو الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستعيذ بالله من عذاب جهنم... بل لقد كان يأمر أصحابه ﷺ أن يستعيذوا بالله من عذاب النار ـ بعد التشهد ـ.

فقد كان ﷺ يقول: «إذا فرغ أحدكم من التشهد [الآخر] فليستعذ بالله من أربع [يقول: اللهم إنى أعوذ بك] من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر [فتنة] المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٨٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٣) صحيح: رواه النسائى (١٣١٠) كتاب السهو، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢) من حديث أبى هريرة ﷺ.

وكان يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار...»(١).

وكان ﷺ يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل ورب إسرافيل أعوذ بك من حرِّ النار ومن عذاب القبر»(٢).

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبى ﷺ «اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(٣).

وعن جابر أن النبى ﷺ قال لرجل «كيف تقول فى الصلاة» قال: أتشهّد، ثم أقول: اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إنى لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبى ﷺ: «حولها ندندن»(٤).

وأنذر عشيرتك الأقربين:

ولما نزلت تلك الآية الكريمة قام النبى ﷺ ينذر قومه وعشيرته وابنته فاطمة (رضي الله عنها) من نار جهنم.

عن أبى هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[الشعراء: ٢١٤]. دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: «يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئًا»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٥٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه النسائى (٥٥١٩) كتاب الاستعاذة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٨٩) كتاب الدعوات من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٧٩٢) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح أبى داود.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥٣) كتاب الوصايا، ومسلم (٢٠٤) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

أولو الألباب يستعيذون بالله من النار:

إننا نؤمن جميعًا باليوم الآخر وبكل ما فيه من النعيم والعذاب لأننا نؤمن بالغيب الذى أخبر عنه ربنا (جل وعلا) وأخبر عنه نبينا ﷺ.

قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

ولذلك قال تعالى عن المؤمنين أصحاب القلوب النقية والعقول السوية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾

[آل عمران: ١٩٠-١٩٢]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ فى ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر وفيه **«إن الله عز وجل يسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: مم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها، قالوا: لا والله ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد منها مخافة، قال: فيقول: إنى أُشهدكم أنى قد غفرت لهم»**[2].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة؛ ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»[3].

خوف السلف من عذاب النار:

وها هى باقة عطرة من أحوال سلفنا الصالح وخوفهم من عذاب النار:

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (١/ ٣٩٧، رقم ١٧٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٢٥٧، رقم ٢٧٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٩٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٣٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائى (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

عن وهب بن منبه، قال: ما عُبد الله بمثل الخوف.

وقال أبو سليمان الداراني: أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل، وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب.

وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

وسُئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل فى سبيل الله عز وجل، قال: أحبهما إليَّ أخوفهما.

وقال عمر: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا لخفت أن أكون أنا هو.... خرجه أبو نعيم.

وخرّج الإمام أحمد من طريق عبد الله بن الرومى قال: بلغنى أن عثمان ﷺ، قال: لو أنى بين الجنة والنار ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتها أصير.

وكان من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله،..... وقد قال تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الوقعة: ٧٣]..... قال مجاهد وغيره: يعنى أن نار الدنيا تذكّر بنار الآخرة.

وعن عطاء الخراسانى قال: كان أويس القرنى يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار فيصرخ ثم يسقط.

وقال الحسن: كان عمر ﷺ ربما توقد له النار ثم يدنى يديه منها، ثم يقول: يا بن الخطاب هل لك على هذا صبر.

ولما أُهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مطيبًا، فقام يصلى حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له إنك أدخلتنى بالأمس بيتًا أذكرتنى به النار ثم أدخلتنى بيتًا أذكرتنى به الجنة فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت.

وعوتب يزيد الرقاشى على كثرة بكائه وقيل له: لو كانت النار خُلقت لك ما زدت على هذا فقال وهل خلقت النار إلا لى ولأصحابى ولإخواننا من الجن والإنس أما

تقرأ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝٣١﴾[الرحمن: ٣١] ...... أما تقرأ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾[الرحمن: ٣٥] .... فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ۝٤٤﴾ [الرحمن: ٤٤] .... وجعل يجول فى الدار ويصرخ ويبكى حتى غُشى عليه.

ورُوى من غير وجه أن على بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾[الأنعام: ٢٧] .

وسمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلًا يتهجد فى الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾[الطور: ٧، ٨] .... قال عمر: قسمٌ حق ورب الكعبة، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

وعن أبى مهدى قال: ما كان سفيان الثورى ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادى: النار النار، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتى غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار.

وفى هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وكان الأحنف بن قيس يجىء إلى المصباح بالليل فيضع إصبعه فيه ثم يقول: (حس.... حس)، ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا.

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبت مالك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام.

وقال الحسن: إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار معذبين. وقال أيضًا: والله ما صدّق عبدٌ بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها.

وعن إبراهيم بن محمد البصرى قال نظر عمر بن عبد العزيز إلى رجل عنده متغير

اللون، فقال له: ما الذى أرى بك، قال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين، إن شاء الله، فأعاد عليه عمر، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات، فقال: إذا أبيت إلا أن أخبرك، فإنى ذقت حلاوة الدنيا فصغر فى عينى زهرتها وملاعبها، واستوى عندى حجارتها وذهبها، ورأيت كأن الناس يُساقون إلى الجنة وأنا أُساق إلى النار، فأسهرت لذلك ليلى وأظمأت له نهارى، وكل ذلك صغير حقير فى جنب عفو الله وثواب الله عز وجل وجنب عقابه.

وبالجملة فالخوف من عذاب جهنم لا ينجو منه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال فى حق الملائكة المكرمين: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩].

تحاجّت النار والجنة:

قال ﷺ: «احتجَّتِ الجنَّةُ والنارُ، فقالت الجنَّةُ: يدخلنى الضعفاءُ والمساكينُ، وقالتِ النَّارُ: يدخلنى الجبارونَ والمتكبرونَ، فقالَ اللهُ للنارِ: أنتِ عذابى، أنتقمُ بكِ ممنْ شئتُ، وقالَ للجنةِ: أنتِ رحمتى، أرحمُ بكِ منْ شئتُ، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤُها»[1].

وقال ﷺ: «تحاجَّتِ النَّارُ والجنَّةُ، فقَالتِ النَّارُ: أوثِرتُ بالمتكبِّرينَ، والمتجبرينَ، وقالتِ الجنة: فما لى لا يدخلُنى إلا ضُعفاءُ الناسِ وسقطُهم وعجَّزُهم؟ فقالَ الله عزَّ وجلَّ للجنَّةِ: إنما أنتِ رحمتى، أرحمُ بِكِ منْ أشاءُ مِنْ عبادى، وقال للنارِ: إنما أنتِ عذابى أعذِّبُ بِكِ منْ أشاءُ منْ عبادِى، ولكُلٍّ واحدةٍ منكما مِلؤها، فأمَّا النارُ، فلا تمتلىءُ حتى يضعَ الله قدمهُ عليها فتقولُ: قَطِ قَطِ، فهنالِكَ تَمتلىءُ، وينزوى بعضُها إلى بعض، فلا يظلم الله مِنْ خلقِهِ أحدًا، وأما الجنَّة فإنَّ الله يُنشِىءُ لها خَلقًا»[2].

إنما الأعمال بخواتيمها:

قال ﷺ: «إنَّ أحدكمْ يُجمعُ خلقُهُ فى بطنِ أمهِ أربعينَ يومًا نطفةً، ثمَّ يكونُ علقةً مثلَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ذلك، ثمَّ يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثمَّ يبعثُ الله إليه ملكًا، ويؤمر بأربعَ كلماتٍ، ويقالُ له اكتب عملهُ، ورزقهُ، وأجلهُ، وشقيٌّ أوْ سَعيدٌ؛ ثمَّ يَنفخ فيهِ الروحَ، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتَّى لا يكونُ بينهُ وبينَها إلاَّ ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتَّى ما يكونُ بينهُ وبينها إلاَّ ذراعٌ، فيسبق عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهل الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ»[1].

وقال ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهل الجنَّة، ثم يختمُ له عملهُ بعملِ أهلِ النَّارِ، وإنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعملِ أهلِ النَّارِ ثمَّ يختمُ [له] عملهُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ»[2].

وفي رواية قال ﷺ: «إنَّ الرجل ليعملُ عملَ الجنَّة فيما يبدُو للناس، وهوَ منْ أهلِ النارِ، وإن الرجلَ ليعملُ عملَ النارِ فيما يبدوُ للناس، وهوَ منْ أهلِ الجنةِ»[3].

زاد البخاري: «وإنما الأعمال بخواتيمها»[4].

أهل النار مُيسَّرون لعمل أهل النار:

قال ﷺ: «إن الله قبض قبضة فقال: هذه إلى الجنة برحمتي وقبض قبضة فقال: هذه إلى النار ولا أبالي»[5].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا»[6].

وقال ﷺ: «إنَّ الله أخَذَ ذُرِّيةَ آدمَ منْ ظَهرِهِ ثمَّ أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ثم أفاضَ بهم في كفيهِ فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، فأهلُ الجنةِ ميسرون لعملِ أهلِ الجنةِ، وأهلُ النارِ ميسرونَ لعمل أهل النارِ»[7].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٩٣) كتاب الرقاق من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٥) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٦/ ١٧٢، رقم ٣٤٥٣)، وقال العلامة الألباني في ظلال الجنة (٢٤٨) حديث صحيح وإسناده ثقات غير الحكم بن سنان فهو ضعيف لكن الحديث صحيح لأن له شواهد كثيرة.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٢) كتاب القدر من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٧) **صحيح**: رواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٠، رقم ٢١٤٠)، والطبراني (٢٢/ ١٦٨، رقم ٤٣٤)،=

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢)﴾ [الليل: ٥-١٢].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥)﴾ أى: أعطى ما أُمر بإخراجه، واتقى الله فى أموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦)﴾ أى بالمجازاة على ذلك، قاله قتادة. وعن أبى بن كعب قال: سألت رسول الله عن الحسنى، قال: الحسنى: الجنة.

وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ قال ابن عباس: يعنى للخير وقال زيد بن أسلم: يعنى للجنة وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة، السيئة بعدها. ولهذا قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ أى بما عنده ﴿وَاسْتَغْنَىٰ (٨)﴾ قال ابن عباس: أى بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩)﴾ أى: بالجزاء فى الدار الآخرة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ أى: لطريق الشر. كما قال تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)﴾ [الأنعام: ١١٠]. والآيات فى هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عزّ وجل، يجازى من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر. والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. روى البخارى بسنده عن على رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»** فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: **«اعملوا فكل ميسر لما خُلق له»** ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ - إلى قوله - ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾[(١)].

أنا عند ظن عبدى بى:

قال ﷺ: **«لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله»**[(٢)].

=قال الهيثمى (٧/ ١٨٧): فيه بقية بن الوليد، وهو ضعيف ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبرانى حسن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٠٢) من حديث هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٩٤٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٦٤٧) كتاب القدر من حديث على ابن أبى طالب رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر رضي الله عنه.

فإذا حقق العبد التوحيد لله (جل وعلا) ولكنه كان مُقصرًا فى طاعة الله أو كـ طائعًا لله ولكنه كان مصرًا على بعض الذنوب والآثام فإن رجاءه فى الله وحُسن ظنه بـه ينفعه حتى وإن دخل النار.

قال ﷺ: «يخرج من النار أربعة، فيُعرضون على الله عز وجل، فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب إذ أخرجتنى منها فلا تُعدنى فيها، قال: فينجيه منها»[1].

لا تأمن على نفسك من النار:

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلقَ الرحمة يومَ خلقَها مائة رحمةٍ، فأمسكَ عندهُ تِسعًا وتسعين رحمةً، وأرسل فى خلقِهِ كلهمْ رحمة واحِدةً، فلوْ يعلمُ الكافِرُ بكُلِّ الذى عندَ الله من الرحمةِ لم ييأسْ منَ الجنَّة، ولوْ يعلمُ المؤمِنُ بالذى عند الله منَ العذابِ لم يأمنْ منَ النارِ»[2].

فلا تأمن على نفسك من النار أيها الأخ الحبيب فقد يدخل الإنسان تلك النار بكلمة يسيرة لا يُلقى لها بالًا. وقال ﷺ: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»**[3].

فالنار خلقها الله تعالى لعصاة الجن والإنس وبهما تمتلئ... قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] **وقال تعالى:** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩].

وقال تعالى حاكيًا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥].. وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرحمن: ٣١، ٣٢].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٢) كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه واللفظ: للبخارى.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٤٧٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.



وأما سائر الخلق فأشرفهم الملائكة، وهم متوعدون على المعصية بالنار، وهم خائفون منها،... قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٩].

حفت النار بالشهوات:

قال ﷺ: «حُجبت النار بالشهوات وحُجبت الجنة بالمكاره»(١).

وقال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات»(٢).

وقال ﷺ: «لما خلق الله النار أرسل إليها جبريل قال له: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضًا، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها. فأمر بها فحُفت بالشهوات، ثم قال له: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها ورجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»(٣).

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إن ملكين أتياه في المنام، فذكر رؤيا طويلة وفيها: قال: **«فانطلقت فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت زاعم، فإذا هو عند نار يحشها ويسعى حولها، قال: قلت: ما هذا!! قالا لي: انطلق انطلق»**،... وفي آخر الحديث **«قالا: فأما الرجل الكريه المرآة عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم»**(٤).

وقوله: **«كريه المرآة»** أي المنظر، وقوله: **«يحشها»** أي يوقدها.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٨٧) كتاب الرقاق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٤، رقم ٨٦٣٣)، وهناد (١/ ١٧٠، رقم ٢٤٢)، وأبو داود (٤/ ٢٣٦، رقم ٤٧٤٤)، والترمذي (٤/ ٦٩٣، رقم ٢٥٦٠) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٧/ ٣، رقم ٣٧٦٣)، والحاكم (١/ ٧٩، رقم ٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٤٧، رقم ٣٨٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٤٧) كتاب التعبير من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

لها سبعة أبواب:

قال تعالى عن أبواب جهنم: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

وقال ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب»[1].

الجنة درجات والنار دركات:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥].... وقال بعضهم: الجنة درجات والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات أيضًا كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. درجات الجنة تذهب علوًا ودرجات النار تذهب سفولا.

وعن ابن جريج فى قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: جهنم ثم لظى ثم الحُطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل.

وعن أبى هريرة فى قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحمًا على عظم إلا وضعته على العراقيب.

وعن محمد بن كعب: زفروا فى جهنم فزفرت النار، وشهقوا فشهقت النار بما استحلوا من محارم الله.

وروى مالك عن زيد بن أسلم فى قوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١]، قال زيد: صبروا مائة عام ثم بكوا مائة عام ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾.

وقال الربيع بن أنس: الزفير فى الحلق والشهيق فى الصدر، وقال معمر عن قتادة: صوت الكافر فى النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق. وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [فاطر: ٣٧].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد (٧/ ٤٣٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣١١٩) من حديث عتبة بن عبد ﷺ.

إنها عليهم مؤصدة:

وأهل النار يعانون من الشدائد بعد الشدائد.... فأبواب جهنم تُغلق على أهلها.

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ٢٠]. **وقال تعالى:** ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

بل إن سرادق جهنم يحيط بأهل النار... قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجب لهمهم وغمهم وكربهم وعطشهم لشدة وهج النار عليهم قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩] **وقال تعالى:** ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ٢١، ٢٢].

عمق جهنم:

لقد ذكرنا قول النبى ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها فى النار سبعين خريفًا»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبى ﷺ يومًا فسمعنا وجبة، (أى: سقطة) فقال النبى ﷺ: **«أتدرون ما هذا؟»** فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«هذا حجر أُرسل فى جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها»**(٢).

وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد.

وقال ﷺ: «إن الصخرة العظيمة لتُلقى من شفير جهنم فتهوى بها سبعين عامًا ما تُفضى إلى قرارها»(٣).

وقال ﷺ: «لو أن حجرًا مثل سبع خَلِفاتٍ أُلقى عن شفير جهنم هوى فيها سبعين

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٤/ ٥٥٧، رقم ٢٣١٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٤٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٥٧٥) كتاب صفة جهنم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٦٢).

خريفًا لا يبلغ قعرها»(١).

النار سوداء مظلمة:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

وعن الضحاك قال: جهنم سوداء وماؤها وشجرها أسود وأهلها سود وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].... وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وعن أبي بن كعب قال: ضرب الله مثلًا للكافرين قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور: ٤٠]، فهو يتقلب فى خمس من الظُلم: كلامه ظُلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات إلى النار.

شدة حرها:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٤، ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٢-٤].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية قال إنها فضلت عليها بتسعة وستين**

---

(١) صحيح: أخرجه هناد (١/ ١٧٥، رقم ٢٥٢)، وصححه العلامة الألباني فى صحيح الجامع (٥٢٤٨) من حديث أنس ﷺ.

جزءا كلهن مثل حرها»(١).

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزءٍ من جهنم»(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضى بعضًا فنفّسنى، فأذن لها فى نفسين، نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر سمومها وأشد ما تجدون من البرد زمهريرها»(٣).

وعن عمرو بن عنبسة عن النبى ﷺ قال: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع، فإنها تطلع بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلّ، فإن الصلاة مشهودة حتى يستقبل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلّ»(٤).

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «إذا اشتد الحر، فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»(٥).

وتُسجر على أهلها بعد دخولهم إليها. قال الله ـ عز وجل: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧]، قال ابن عباس: كلما أُطفئت أوقدت.

وقال كعب لعمر بن الخطاب ﷺ: لو فُتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٢٦٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٤٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٨٧٠٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٠٦) من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٢٦٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦١٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها من حديث عمرو بن عبسة السلمى ﷺ.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٣٧) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦١٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث أبى هريرة ﷺ.

ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حره.

أودية جهنم

قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]

قال ابن مسعود ﷺ فى قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾: وادٍ فى جهنم بعيدٌ قعره خبيثٌ طعمه.

سجن للمتكبرين فى نار جهنم:

قال تعالى ـ فى الحديث القدسى ـ: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار»(١).

فلا ينبغى لعبدٍ أن يتكبر أبدًا فمن فعل ذلك فقد حقّ عليه عذاب الله -عز وجل-.

قال ﷺ مصورًا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة:

«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(٢).

فهؤلاء المتكبرون الذين يظنون أنهم خرقوا الأرض أو نافسوا الجبال طولًا، يُحشرون كالنمل هوانًا، يغشاهم الذلّ، ويساقون إلى سجن فى النار، ويُسقون من عصارة أهل النار طينةِ الخبال جزاءً وفاقًا.

سلاسل وأغلال جهنم:

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [غافر: ٦٩-٧٢].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٠) كتاب اللباس، وأحمد (٩٠٩٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١١) من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤٩٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٦٦٣٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٢].

قال ابن عباس: السلسلة تدخل فى إسته، ثم تخرج من فيه، (أى: من فمه) ثم يُنظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حتى يُشوى.

وقال ابن المنكدر: لو جُمع حديد الدنيا كله ما خلا منها وما بقى ما عدل حلقة من الحلق التى ذكر الله فى كتابه تعالى، فقال: ﴿فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾.

طعام أهل النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٧].

ثم وصفها تعالى فقال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

[الصافات: ٦٢-٦٨].

وقد دل القرآن على أنهم يأكلون منها حتى تمتلىء منها بطونهم فتغلى فى بطونهم، كما يغلى الحميم، وهو الماء الذى قد انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: الهيم: الإبل العطاش. وقال السدى: هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبدًا حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا.

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟»[1].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية: ٦].

قال ابن عباس عن الضريع: إنه شجر فى جهنم.

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

قال ابن عباس عن الغسلين: إنه صديد أهل النار.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾

[المزمل: ١٢، ١٣].

روى الإمام أحمد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾. قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج.

وكان كثير من الخائفين من السلف ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار وشرابهم طعام الدنيا وشرابها حتى يمتنعوا من تناوله أحيانًا لذلك، فكان الإمام أحمد يقول: الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه.

روى شعبة عن سعد بن إبراهيم، قال: أُتى عبد الرحمن بعشائه وهو صائم فقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، فلم يزل يبكى حتى رفع طعامه وما تعشى، وإنه لصائم.

شراب أهل النار

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾

[إبراهيم: ١٦، ١٧]

---

(١) صحيح رواه الترمذى (٢٥٨٥) كتاب صفة جهنم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٧، ٥٨].

فهذه أربعة أنواع ذكرناها من شرابهم، وقد ذكرها الله فى كتابه:

النوع الأول: الحميم:

قال شبيب بن عكرمة عن ابن عباس: حميم آن: الذى قد انتهى غليه.

النوع الثانى: الغساق:

قال ابن عباس: الغساق: ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه، وعنه قال: الغساق: الزمهرير البارد الذى يحرق من برده.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: الغساق: القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهرق فى المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو أهرقت فى المشرق لأنتنت أهل المغرب.

النوع الثالث: الصديد:

قال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾ [إبراهيم: ١٦]، قال: يعنى القيح والدم.

وعن جابر عن النبى ﷺ قال: «إن على الله عهدًا لمن شرب المسكرات ليسقيه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول الله؛ وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار»[1].

النوع الرابع: الماء الذى كالمهل:

قال مجاهد: بماء كالمهل: مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

وعن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء باردًا، فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية من كتاب الله.... قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

ملابس أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٠٢) كتاب الأشربة من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠] فقوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أى قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه، والقطران قيل فيه ما يطلى به الجمل الأجرب.

وعن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِربال من قطران ودرع من جرب»**[1].

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، وكان إبراهيم التيمى إذا تلا هذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثيابًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أهون أهل النار عذابا أبو طالب، ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه»**[2].

وفى «صحيح البخارى»، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار»**[3]، أن المراد ما تحت الكعب من البدن والثوب معًا، وأنه يسحب ثوبه فى النار، كما يسحبه فى الدنيا خيلاء.

أَسِرَّة أهل النار:

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [الأعراف: ٤١].

أى: لهم فراش من النار من تحتهم **«ومن فوقهم غواش»** أى ومن فوقهم أغطية من النار **«وكذلك نجزى الظالمين»** أى ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزى كل من ظلم وتعدَّى حدود الله (عز وجل).

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

أى: تغشاهم نار جهنم من فوقهم ومن تحتهم، وتحيط بهم من جميع جوانبهم،

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٩٣٤) كتاب الجنائز من حديث أبو مالك الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٢) كتاب الإيمان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٥٧٨٧) كتاب اللباس من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ومعنى الظلل أطباقٌ من نار جهنم، وتسميتها ظُللًا تهكمٌ بهم، لأنها محرقة والظلةُ تقى من الحر.

إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم

فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أُخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك. فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، سمعوا لها زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

فأسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد أثقلنا الحديد. يا مالك قد نضجت منا الجلود. يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم

منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب اللّه يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين...... طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل. ومهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رؤوسهم الحميم يُصهر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها. كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أُعميت أبصارهم وُأبكمت ألسنتهم، وُقصمت ظهورهم، وُكسرت عظامهم، وُجدعت آذانهم، وُمزقت جلودهم، وُغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حدٍ محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن اللّه لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان، بل لكل واحد حدّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه.

قال رسول اللّه ﷺ: «أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه»[1] فانظر الآن إلى من ُخفف عليه واعتبر بمن شُدد عليه.

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٥٦٢) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٣) كتاب الإيمان من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا هو عذاب النار عُرف عذاب جهنم بها وهيهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربًا مما هم فيه.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فَوت نعيم الجنة وفَوت لقاء اللّه تعالى وفَوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهواتٍ حقيرة فى الدنيا أيامًا قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أيامًا قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم وبُلوا بما بُلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم.

وقال أحمد بن حرب: إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار.... وقال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح...... وقال داود: إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مسكين فى هذه الأهوال واعلم أن اللّه تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلًا لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قد قُضى وفَرغ منه اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)﴾ [مريم: ٣٩].

فإن قلت: فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك، فإن كلًّا ميسر لما خُلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيرًا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا

تقصد شرًّا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضيٌّ عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار. فقد قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين.

صفات أهل النار:

لقد ذكر الله (جل وعلا) بعض صفات أهل النار.... وكذلك ذكر النبى ﷺ بعض صفاتهم فإليكم بعض هذه الصفات التى نسأل الله (عز وجل) ألا يجعل لنا فيها حظًّا ولا نصيبًا.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧].

وعن حارثة بن وهب، عن النبى ﷺ، قال: **«ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار كل عُتلٍ جواظ مستكبر»**(١).

وقال ﷺ: «حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»(٢).

فتبين بهذا أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعيم بشهوات الدنيا والتكبر والتعاظم على الخلق، وهى صفات أهل النار التى ذكرت فى حديث حارثة بن وهب هى جماع الطغيان والبغى كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧]. والطغيان وإيثار الحياة وشهواتها من موجبات النار، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

وأما الضعف فى البدن والاستضعاف فى الدنيا من قلة المال والسلطان مع الإيمان فهو جماع كل خير، ولهذا يقال: من العصمة أن لا تجد،... فهذه صفة أهل الجنة التى ذكرت فى حديث حارثة.

* * *

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أهل النار خمسة

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال فى خطبته: «............وأهل النار خمسة: **الضعيف الذى لا زَبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**» وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش[1].

وأما أهل النار فقد قسمهم النبى ﷺ فى هذا الحديث خمسة أصناف:

الصنف الأول: الضعيف الذى لا زَبر له، ويعنى بالزبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه فى الآخرة من التقوى والعمل الصالح. وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم همم فى طلب الدنيا، ولا الآخرة، وإنما همةَ أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له، وهو تبع للناس، خادم لهم أو طواف عليهم سُائل لهم.

الصنف الثانى: الخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانه، أى يعنى لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها.

قال بعض السلف: كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شىء خفى له.

الصنف الثالث: المخادع الذى دأبه صباحًا ومساءً مخادعة الناس على أهليهم، وأموالهم، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك، والخداع معناه إظهار الخير وإضمار الشر بقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة.

الصنف الرابع: الكذب والبخل. والكذب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح... فالشحيح أخذ المال بغير حقه، والبخيل منعه من حقه، وكذلك روى تفسير الشح والبخل عن ابن مسعود وطاوس وغيرهما من السلف،.....

وينشأ من الشح أيضًا الكذب والمخادعة والتحايل على ما لا يستحقه الإنسان

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

بالطرق الباطلة المحرمة... وقال النبي ﷺ قال: «**إن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار**»(١).

الصنف الخامس: الشنظير وقد فُسّر بالسيء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحشه**»(٢).

بل لقد ذكر النبي ﷺ أصنافًا من أهل النار غير هؤلاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٣).

أكثر أهل النار

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها، ولهم أُعدت، كما قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج بعث النار من ذريتك، قال: يارب وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون...**»(٤).

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضًا على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٠٥٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٩١) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة، وكثير منهم أيضًا فُتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار ـ وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها ـ فلم ينج من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة، وهو ما كان على ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه. ظاهرًا وباطنًا وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جدًا لا سيما فى الأزمان المتأخرة.

فأما عصاة الموحدين فأكثر من يدخل النار منهم النساء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء»(١).

أصحاب النار وأصحاب الجنة

عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ اللهَ عز وجل خلقَ آدمَ ثم أخذَ الخلقَ من ظهرِهِ. وقال: هؤلاء فى الجنةِ ولا أُبالى، وهؤلاء فى النَّار ولا أُبالى ـ قال فقال قائلٌ: يا رسول الله فعلى ماذا نعملُ؟ قال: على مواقعِ القدرِ»**(٢).

* إن كثيرًا من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث ـ ونحوها أحاديث كثيرة ـ تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية ما دام أنه حُكم عليه منذ القديم وقبل أن يُخلق بالجنة أو بالنار وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ فمن وقع فى القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان فى القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة فيجب أن يعلم هؤلاء جميعًا أن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١] لا فى ذاته ولا فى صفاته فإذا قبض قبضة فهى بعلمه وعدله وحكمته فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته وقبض بالأخرى على من سبق فى علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى والعكس بالعكس كيف والله عز وجل

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٧٢٠٧)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٨).

يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

ثم إن كلًا من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابها أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار، بل هو حكم من الله تبارك وتعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة أو كفر يقتضى النار والعياذ بالله تعالى منها وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان لا يُكره الله تبارك وتعالى أحدًا من خلقه على واحد منهما ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

وهذا مشاهد معلوم بالضرورة ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثًا والله منزه عن ذلك.

الحمى.. حظ المؤمن من نار جهنم:

إن العبد إذا كان يعيش على طاعة الله (عز وجل) وأصيب بالحُمى فإن الله يجعلها - برحمته - نصيبه من نار الآخرة.

قال ﷺ: «أبشر فإن الله تعالى يقول: هى نارى أُسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار يوم القيامة»[1].

هـذا نزلـهم يـوم الديـن:

قال أبو عمران الجونى: بلغنا أن أهل النار يُبعثون عطاشًا ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشًا، ثم قرأ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦].... قال مجاهد فى تفسير هذه الآية. متقطعة أعناقهم عطشًا.

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦]، والنُزل هو ما يُعد للضيف عند قدومه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠، رقم ٩٦٧٤)، وهناد (١/ ٢٣٣، رقم ٣٩١)، وابن ماجه (٢/ ١١٤٩، رقم ٣٤٧٠)، قال البوصيرى (٤/ ٦١): هذا إسناد صحيح رجاله موثقون، وابن السنى (ص ٢٠٢، رقم ٥٤٦) والحاكم (١/ ٤٩٦، رقم ١٢٧٧) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا، ثم انصرف بهم إلى النار فيُسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

وعن أبى سعيد ﷺ عن النبى ﷺ فى حديث الشفاعة الطويل: «**إنه يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون فى النار**»[1].

وعن أبى هريرة ﷺ فى قوله تعالى: «**لواحة للبشر**» قال: تتلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحمًا على عظمٍ إلا وضعته على العراقيب.

النار يوم القيامة تسمع وتبصر وتتكلم!!!

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إنى وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين»[2].

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١، ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾

[الملك: ٦-٨]

عن ابن عباس قال: إن العبد ليُجر إلى النار فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشفير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف...... خرّجه ابن أبى حاتم.

وعن الضحاك قال: إن لجهنم زفرة يوم القيامة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبى مرسل، إلا خرَّ ساجدًا يقول: رب نفسى نفسى.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٥٨١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٨٢٢٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٥١) من حديث أبى هريرة ﷺ.

عينان لا تمسهما النار:

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع»[١].

وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار أبدًا.... عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله»[٢].

بل إنه من السبعة الذين يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: **«ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[٣].**

بكاء أهل النار:

قال ﷺ: «يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيها السفن لجرت»[٤].

فداؤك من النار:

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار»[٥].

وقال ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ فى الجنَّة، ومنزلٌ فى النَّار، فإذا مات فدخل النَّار، ورث أهلُ الجنَّة منزلَه، فذلك قول: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾.

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خُلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أُمروا به مما

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (١٦٣٣) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٠٨) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧٨) من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) صحيح لغيره: رواه الترمذى (١٦٣٩) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٢٢٩) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٤) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٣٢٤) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٨٣).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٩٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح ابن ماجه.

خُلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل. وأبلغ من ذلك ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى بردة عن أبى موسى عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «**يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى**»[(١)].

أهون أهل النار عذابًا:

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه»[(٣)].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه**»[(٤)].

يتمنى الكافر أن يفدى نفسه (من العذاب) بأهل الأرض جميعًا.

يا له من مشهد يخلع القلوب ويُفتت الجبال.

إنه مشهد رجل كافر يأتى يوم القيامة فيتمنى أن يفدى نفسه من عذاب النار بأولاده وزوجته وأخيه وعشيرته بل بأهل الأرض جميعًا.

قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١١-١٨].

بل إن الكافر لو جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا فلن يستطيع أن يفدى نفسه (بكل هذا الذهب) من عذاب الله.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ٩١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة: ٣٦].

الله يكلم أهون أهل النار عذاباً:

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ لأهونِ أهلِ النارِ عذابًا: لوْ أنَّ لكَ ما فى الأرض منْ شىءٍ كنتَ تفتدى بهِ؟ قالَ: نعم، قال: فقدْ سألتُك ما هو أهونُ منْ هذا وأنتَ فى صُلبِ آدم أنْ لا تشركَ بِى شيئًا فأبيتَ إلاَّ الشِّرك!»[1].

أول من تسعر بهم النار:

قال ﷺ: «إنَّ أولَ الناسِ يُقضى يومَ القيامةِ عليهِ رجلٌ استشهد، فأتىَ بهِ، فعرَّفهُ نعمهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتّى استشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنَّكَ قاتلتَ ليقالَ جرىءٌ، فقد قيلَ، ثمَّ أمرَ به فسحب على وجههِ حتى أُلقى فى النارِ، ورجلٌ تعلمَ العلمَ وعلمَهُ، وقرأ القرآنَ، فأتى بهِ فعرفه نِعمهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العِلمَ وعلمتهُ، وقرأت فيكَ القرآنَ، قالَ: كذبتَ، ولكنكَ تعلمتَ العلم ليقالَ عالمٌ، وقرأت القرآن ليقالَ: هو قارىءٌ فقد قيلَ، ثمَّ أمرَ به فسُحِبَ على وجههِ حتى ألقى فى النار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاهُ من أصنافِ المالِ كُلهِ، فأتى بهِ فعرَّفهُ نعمَهُ فعرفها، قالَ: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ منْ سبيلٍ يُحبُّ أنْ ينفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ، قالَ: كذبتَ ولكنكَ فعلت ليقالَ: هوَ جوادٌ، فقد قيلَ: ثمَّ أمرَ بهِ فسحبَ على وجههِ، ثمَّ ألقى فى النارِ»[2].

تفاوت درجات العذاب على أهل النار:

قال تعالى عن أهل النار: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٨]. وقال تعالى:

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ [ص: ٦١].

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبى ﷺ؛ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»(١).

واعلم أن تفاوت أهل النار فى العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التى دخلوا بها النار، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٣٢﴾ [الأنعام:١٣٢]،..... **وقال تعالى**: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ: ٢٦].... وقال ابن عباس: وافق أعمالهم، فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد فى الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ۝٨٨﴾ [النحل:٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين فى النار بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم العذاب بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب.

وأما الكفار إذا كان لهم حسنات فى الدنيا من العدل والإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب فى النار أم لا؟

وهذا فيه قولان للسلف وغيرهم... أحدهما ـ أنه يخفف عنهم بذلك أيضًا... وقد سبقت الأحاديث فى تخفيف العذاب عن أبى طالب بإحسانه إلى النبى ﷺ.

والقول الثانى: أن الكافر لا ينتفع فى الآخرة بشىء من الحسنات بحال، ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

وعن أنس عن النبى ﷺ، قال: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة... يُعطى بها فى الدنيا ويُجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله فى الدنيا حتى إذا أفضى**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها»[1].

وهؤلاء جعلوا تخفيف العذاب عن أبى طالب من خصائصه بشفاعة النبى ﷺ له، وجعلوا هذه الشفاعة من خصائص النبى ﷺ لا يشركه فيها غيره.

زيادة أهل النار من العذاب:

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ فى قول الله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل ٨٨]قال: زِيدُوا عَقَارِبَ أنيَابُهَا كالنَّخْلِ الطِّوَالِ.

وعن ابن عباس ﷺ أنه قالَ فى قوْل الله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ قالَ: هِيَ خَمْسَة أنهارٍ تَحْتَ العَرْشِ يُعذَّبُونَ بِبعْضِهَا بالليْل وبِبعْضِهَا بِالنَّهار.

جملة من عذاب أهل النار:

وها هى جملة من أنواع وألوان العذاب الذى يُسلَّط على أهل النار فى نار جهنم ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ فمن بين أنواع العذاب الذى يتعرضون له:

تسويد وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦]

عذاب الصهر:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩]

قال كثير من السلف نزلت هذه الآية فى أبى جهل.

قال الأوزاعى يؤخذ أبو جهل يوم القيامة فيخرق فى رأسه خرق، ثم يؤتى بسجل من الحميم فيصب فى ذلك الخرق، ثم يقال له: ذق إنك أنت العزيز الكريم.

وقال تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ

(١) صحيح رواه مسلم (٢٨٠٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أنس ﷺ.

حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ١٩- ٢١].

يُسحبون على وجوههم فى النار:

ومن أنواع العذاب الذى يُصب على أهل النار أنهم يُسحبون على وجوههم فى النار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

[غافر: ٧٠، ٧٢].

قال قتادة: يسحبون فى النار مرة وفى الحميم مرة. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦].

تلفح وجوههم النار:

قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

أى تحرقها بشدة حرها، وتخصيص الوجوه بالذكر؛ لأنها أشرف الأعضاء ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ أى وهم فى جهنم عابسون مشوَّهو المنظر.

قال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المُشيط بالنار، وفى الحديث «**تشويه النارُ فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخى شفته السُفلى حتى تبلغ سُرته**».

وقال أبو غندر الدمشقى، كان أويس إذا نظر إلى الرؤوس المشوية يذكر هذه الآية ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾، فيقع مغشيًا عليه حتى يظن الناظرون إليه أنه مجنون.

ينسى كل نعيم مع أول غمسة فى النار:

قال ﷺ: «يُؤتى بأنعمَ أهل الدُّنيا من أهل النار يومَ القيامة، فيُصبَغُ فى جهنم صبغَةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبَغُ فى الجنة صبغةً، فيُقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرَّ بى بؤسٌ

قط، ولا رأيت شدَّةً قط»[1].

يتمنى الموت ولا يجده:

قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١١-١٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقال إبراهيم في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ حتى من تحت كل شعرة في جسده.

وقال الضحاك: حتى من إبهام رجليه، والمعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح.

قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: تنادي النار يوم القيامة: يا نار أحرقي يا نار اشتفي، يا نار أنضجي، كُلي ولا تقتلي.

وقال ﷺ: «أمَّا أهلُ النارِ الذينَ همْ أهلُها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيونَ، ولكن ناسٌ أصابتهمُ النارُ بذنوبهم، فأماتتهم إماتةً، حتى إذا كانوا فحمًا أُذنَ بالشفاعةِ فجيء بهم ضبائرَ ضبائر فبثُّوا على أنهارِ الجنةِ، ثم قيل: يا أهل الجنةِ أفيضوا عليهم، فينبتون نباتَ الحبةِ تكون في حميل السيل»[2].

منهم من يدور في النار ويجر أمعاءه:

وهذا مثلٌ لعالم من علماء السوء الذين كانوا يأمرون الناس بالمعروف ولا يفعلونه وينهون الناس عن المنكر ويفعلونه.

قال تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٨٥) كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالرجل فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أى فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(١).

ومنهم من يقتل نفسه فى النار كما فعل بنفسه فى الدنيا:

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»(٢).

ومنهم من تأكله النار إلى فؤاد:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٤-٧].

قال محمد بن كعب القرظى فى قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ قال: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أُنشىء خلقه.

ومنهم من له لسانان من النار:

وقد ورد أن بعضهم له لسانان من نار، ووجهان من نار، ففى «سنن أبى داود» عن عمار عن النبى ﷺ قال: «من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»(٣).

ومنهم من تُمسخ صورهم:

ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة........ وفى الصحيح «أن إبراهيم -

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٩) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٧٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٩٦) من حديث عمار رضي الله عنه.

عليه السلام ـ إذا شفع فى أبيه، قيل له: يا إبراهيم انظر ما وراءك، فإذا هو بذيخ ملطخ. فيؤخذ بقوائمه، ويُلقى فى النار»[1] ..... والذيخ: الضبع الذكر.

قال ابن مسعود: إذا أراد الله تعالى أن لا يُخرج منها أحدًا غيَّر صورهم وألوانهم فلا يعرف منهم أحد.

ومنهم من يُلقى فى مكان ضيق:

ومنهم من يلقى فى مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه،.. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٣]..... قال كعب: إن فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج رمح أحدكم ثم يطبق على أناس بأعمالهم.

وعذابهم لا ينتهى أبدًا:

فعذاب أهل النار ـ الذين كتب الله عليهم الخلود فيها ـ لا ينتهى أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

قال مبارك عن الحسن: ذكر الله السلاسل والأغلال والنار وما يكون فى الدنيا، ثم قرأ: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٨].

وقال أحمد بن أبي الحوارى: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول ـ على منبر دمشق ـ: لا يأتى على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفًا من النعيم لم يكن يعرفه،.... ولا يأتى على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لنوع من العذاب لم يكن يعرفه، قال الله عز وجل: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

عظم خلق أهل النار وبشاعة منظرهم:

قال ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[2].

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام

---

(١) صحيح: رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

للراكب السريع»(١).

كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب.

وقد يسأل سائل ويقول: وما السبب فى ضخامة جسد الكافر إلى هذا الحد؟ بل وما السبب فى كثافة جلده على وجه الخصوص؟.

والجواب: إن نار الآخرة كما وصفها الحبيب ﷺ أشد من نار الدنيا سبعين مرة ولا يتحملها جسد الإنسان فكان لا بد من تضخيم خلقة الكافر بشكل يتناسب مع حجم النار.

وأما عن كثافة الجلد ـ على وجه الخصوص ـ لأن مراكز الإحساس كلها لا تكون إلا فى الجلد فيكون الإحساس بلهيب النار من خلال الجلد ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦].

قال الحسن فى هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

عذاب أهل النار المعنوى:

فهناك عذاب معنوى لأهل النار ـ فوق العذاب الحسى ـ.

فمن عذابهم المعنوى أنهم إذا دخلوا النار يلعن بعضهم بعضًا.. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

ومن عذابهم المعنوى أنهم يسمعون خطبة إبليس فى النار وهو يعلن أنه خدعهم وزيّن لهم المعصية حتى وقعوا فى نار جهنم.... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ومن عذابهم المعنوى أن الملائكة تُبكتهم قبل أن يدخلوا إلى منازلهم فى نار

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

جهنم... قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾ [الملك: ٨، ٩].

ومن عذابهم المعنوى أن المؤمنين يسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٦].

قال القرطبى: يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا، فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أى هل جوزى الكفار فى الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ نعم.

وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وإبعادهم عنه وإعراضه عنهم وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٤، ١٥].

فكما حُجبت قلوبهم فى الدنيا عن الله حجبوا فى الآخرة عن رؤيته، وهذا بخلاف حال أهل الجنة..... قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾ [يونس: ٢٦]، والذين أحسنوا هم أهل الإحسان، والإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، كما فسره النبى ﷺ لما سأله عنه جبريل عليه السلام، فجعل جزاء الإحسان الحسنى وهو الجنة والزيادة وهى النظر إلى وجه الله عز وجل.

النار لا تأكل أثر السجود:

قال ﷺ: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرَّم الله عز وجل على النار أن تأكل أثر

السجود»[1].

ويا لها ـ والله ـ من كرامة فالنار تأكل كل جزء من جسد العبد ـ إن كان من عصاة الموحدين ـ إلا أثر السجود فى وجهه لأنه أكرم موضع فى جسده فهو موضع السجود والذل لخالق السماوات والأرض -جل وعلا-.

تلاعن أهل النار:

إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحدٍ منهم أن صاحبه كان سببًا فى دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عذابهم الذى لا يُخفف عنهم ولا ينتهى أبدًا فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

ثم يذهب بنا القرآن إلى مشهد آخر فيقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

إنها الحسرة على كل من فرَّط فى حق الله وفى شرع الله، وكل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا تُرى ما الذى جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله؟! ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾

[الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

هكذا يتلاعنون فى النار ويدعو بعضهم على بعض ويتمنى كل واحدٍ منهم للآخر زيادة الخزى والعذاب.

وكان السبب الرئيس لهذا المشهد البئيس هو أنهم اتبعوا الرؤساء والقادة فى طرق

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

الكفر والضلال. أما المؤمنون يقول عنهم الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وتتوالى مشاهد الخزى والتلاعن بين أهل النار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر: ٤٧-٥٠]. فأيقن القادة والأتباع أنهم من أهل النار وعرفوا أنه الخلود والبوار فتوجهوا بهذا السؤال إلى خزنة النار ليشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من عذاب النار.

يقول الحق جل وعلا مخبرًا أن الملائكة تبكت وتوبخ أهل النار قبل أن يدخلوا ويسكنوا منازلهم فى النار.

فقال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الملك: ٨، ٩].

فجعلهم الله جل وعلا يُقرون على أنفسهم أنهم لم يدخلوا النار ظلمًا لأن الله هو الحَكَم العدل بل إنهم يعترفون على أنفسهم أنهم قد كذّبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم، وبذلك تقع الحُجة عليهم فيعرفون أن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون... وتأمل معى عذابهم وتلاعنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾ [ص: ٥٥-٦١].

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان

قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٦٢-٦٤].

وقد أخبر الحق ـ تبارك وتعالى ـ عن هذا المشهد فى آيات كثيرة موضحًا مشهد سخرية الكفار من المؤمنين فى الدنيا وعقوبة الله للكافرين فى الوقت الذى يرحم فيه المؤمنين ويحل عليهم رضوانه ويدخلهم جنات النعيم. فقال تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١١]. فحكم الله للمؤمنين بالفوز فى الجنة وحكم على الكافرين بالخسران ولم يأذن لهم بمجرد الكلام فقال: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ثم سألهم الحق تبارك وتعالى سؤالًا عظيما، وذلك على وجه التوبيخ فقال جل وعلا: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢].

أى كم تمتعتم بالأموال والنساء والمناصب ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٣، ١١٤] والله ما كانت تستحق تلك الدقائق والساعات أن تنسوا لقاء ربكم وتسخروا من أوليائه وتستكبروا من عبادة العزيز الجبار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

تحاور أهل الجنة وأهل النار:

وتعال معى أخى الكريم لنتأمل سويًا هذا المشهد المثير من مشاهد الآخرة إنه تحاور أهل الجنة وأهل النار.

فإنه إذا استقر أهل النار فى النار يذوقون عذابها ويشربون من حميمها ويأكلون من زقومها ينادى عليهم أهل الجنة وهم يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها ويقولون: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وهذا كما أخبر الله فى سورة الصافات عن الذى كان له قرين من الكفار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا

﴿نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الصافات: ٥٥-٥٩]. أى ينكر عليه مقالته التى يقولها فى الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال. وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

[الطور: ١٤، ١٦].

وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتلى القليب يوم بدر (كما فى الصحيحين) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان يافلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال عمر: يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبى ﷺ **«والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم (وفى رواية) ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيبون»**[1].

ولنرجع إلى تحاور أهل الجنة وأهل النار... قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أى نادى منادٍ ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ثم وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أى يصدون عن سبيل الله وعن شرعه ويبغون أن تكون معوجة غير مستقيمة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ أى جاحدون مكذبون فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكرٍ من القول والعمل لأنهم لا يخافون حسابًا عليه ولا عقابًا فهم شر الناس أقوالًا وأعمالًا.

ثم لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبّه أن بين الجنة والنار حجابًا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أى حاجز.... إنما سُمى الأعراف أعرافًا لأن أصحابه يعرفون الناس وأهل الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قال حذيفة ﷺ: عن أصحاب الأعراف هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٩٧٦) كتاب المغازى، ومسلم (٢٨٧٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس عن أبى طلحة ﷺ.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٧] . فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإنى قد غفرت لكم.

قال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كُتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تُكتب إلا واحدة ثم قال: هلك من غلبت آحاده عشراته.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ فعن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه.

﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦] .

أى فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلامًا عليكم ولكن لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بدخولها.

قال الحسن: والله ما جُعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها الله بهم ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٧] .

قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال ابن مسعود: لما نظروا إلى أهل النار ورأوا منازلهم. تعوذوا بالله من منازلهم وقالوا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم يخبر تعالى عن تضرع أهل الأعراف وهم رجال تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم.

يخبر تعالى عن تقريعهم لأهل النار وهم رجال من صناديد قريش وصناديد المشركين وقادتهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨] .

أى لا تنفعكم كثرتكم واستكباركم من عذاب الله الذى صرتم إليه وماتعانون من النكال ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩] .

أى قال الله لأهل التكبر والأموال ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ أى أهل الأعراف ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾. فقال الله لأهل الأعراف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٩] . أى برغم أنوف الكافرين.

فكل ماذكرناه آنفًا يمثل الجانب المشرق لأهل الإيمان الذين يتمتعون فى جنات النعيم ثم يأتى المشهد الثانى لأهل النار وهو مشهد الحسرة والذلة فنعوذ بالله من

الحسرة والخزى والذلة.

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم. وطعامهم وأنهم لايجابون إلى ذلك فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠].

* ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يتعمدونه فى الدنيا باتخاذهم الدين لهوًا ولعبًا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها عما أُمروا به من العمل للآخرة.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١] أى يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذّ عن علمه شئ. ولا ينساه كما قال تعالى: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢]. أى يتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

وفى الصحيح: « إن اللّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك؟ ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى فيقول أظننت أنك ملاقىّ؟ فيقول: لا. فيقول اللّه تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتنى»[1].

واللّه يا إخوانى إنها لمشاهد تتفطر لها القلوب الحية التى تخشى اللّه حق الخشية. فكيف بك يا عبد اللّه لا تعمل حتى تكون من أهل الجنة الذين ينادون على أهل النار ويقولون لهم ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ هل تريد أن تكون من أهل النار الذين ينادون وهم فى خشوع وذلٍ ويقولون ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ فواللّه للدنيا بمتاعها وكنوزها لا تساوى مشهدًا كهذا.

فلا تؤثر الفانى على الباقى ولا تجعل الدنيا تنسيك الآخرة واجتهد لفكاك رقبتك من النار قبل يوم الحسرة.

مقارنة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك!

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٨) كتاب الزهد والرقائق من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

أما أهل النار فليس لهم سوى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

بل إنه والله ما تعذَّب أهل النار بعذاب أشد من حجبهم عن رؤية وجه الله عز وجل وما تلذذ أهل الجنة فى الجنة بنعيم أفضل من رؤية وجه الله عز وجل.

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ يقول الله تعالى تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيُكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»(٢).

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجه الله جل وعلا.

فالمؤمن يتلذذ برؤية وجه الله جل وعلا، أما الكافر فهو محجوب عن رؤيته سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].

وعن أبى موسى ﷺ أن النبى ﷺ قال: **«إن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوّفة طولها فى السماء ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»**(٣).

فالمؤمن له خيمة من لؤلؤة مجوفة. أما الكافر فله أودية فى قعر جهنم **«وادى غى ووادى سقر وسجن بولُس ووادى ويل....»**. فشتّان بين الفريقين: فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير.

والمؤمن يُداعب الحور العين ويتلذذ بهن ويتنعم مع كل واحدة منهن فلا يَملّها ولا تَملّه.

أما الكافر فى النار فليس أمامه سوى الحيّات والعقارب والتلاعن بينه وبين قرنائه من أهل النار.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٨، رقم ٦١٨٣)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦، رقم ٢٨٢٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ١٦٣، رقم ١٨١).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٤/ ١٨٤٩، رقم ٤٥٩٨)، ومسلم (٤/ ٢١٨٢، رقم ٢٨٣٨).

* واسمع يا أخي وتجهّز لأن تكون من أهل الجنة. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦].

أما الكفار: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (٥٩) ﴾ [ص: ٥٩].

ويقول عن المؤمنين: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) ﴾ [الحجر: ٤٧].

أما الكفار: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وعن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) ﴾ [الدخان: ٥١-٥٣].

أما الكفار: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

وعن المؤمنين: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) ﴾ [الدخان: ٥٥].

وكذلك ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) ﴾ [الواقعة: ١٧-٢١].

أما الكفار: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وعن المؤمنين: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥٦].

وأما الكفار: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) ﴾ [الأعلى: ١٠-١٣].

فالمؤمن لا يموت إلا موتة واحدة ثم يحيا، ويتنعم في الجنة، أما الكافر في النار لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا فيتنعم فيا له من خزي ويا لها من حسرة.

ويقول الله جل وعلا عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) ﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣].

وكذلك: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

أما الكفار: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القيامة:٢٤].

وكذلك: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٥].

وعن المؤمنين: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤].

أما الكفار: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

وعن المؤمنين: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ٢٥-٢٨].

وكذلك: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ١٥].

أما عن الكفار: ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

وعن المؤمنين: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٥].

أى راكبين على نوق الجنة عليها رخائم الذهب.

وعن الكفار: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٦].

أى يساقون كما تُساق البهائم إلى جهنم وردا، أى عطاشا.... بل إنهم يتقون العذاب بوجوههم: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الزمر: ٢٤].

وعن المؤمنين: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٥، ٦].

وعن الكفار: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ [مريم:٨٤].

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

وعن المؤمنين: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢١].

وعن الكفار: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

وعن المؤمنين: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ

مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤-٢٦].

وعن الكفار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء:٩٧].

بل وتعرف الملائكة أن هؤلاء هم أصحاب النار من غير أن تسأل عنهم؛ لأن ذلك يظهر على وجوههم ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه فى النار كذلك.

وقال ابن عباس: فيؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنّور.

ولو استطردنا فى الأمثلة لما انتهينا ولكن حسبنا ما قلناه فى هذه المقارنة بين أحوال أهل النار وأهل الجنة! «أليس منكم رجل رشيد؟!!

فلابد أن نتجهز من الآن ونُعد العُدة فلا ندرى متى يأتينا الموت... ولقد انتشر موت الفجأة الذى هو من علامات الساعة فلابد أن نتوب ونرجع قبل أن لا نستطيع أن نتوب!

يا نفس، قد أزف الرحيل وأظلك الخَطب الجليل
فتأهبى يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزلٍ ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى ثقلٌ ثقيل
قُرن الفناء بنا جميعًا فما يبقى العزيز ولا الذليل
يا نفس قد أزف الرحيل
يا نفس توبى قبل ألا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الرحمن غفّار الذنوبِ
إن المنايا كالرياح عليك دائمة الهبوب
والموت شرعٌ واحدٌ والناس مختلفو الدروب
ولقلّما ينجو الفتى بتقاه من لُطَخ العيوب
يا نفس توبى قبل ألا تستطيعى أن تتوبى

خمس دعوات لأهل النار:

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم اللّه عز وجل فى أربعة فإذا

كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا.... يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١] فيقول الله تعالى مجيبا لهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس رحمه الله: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾.

اخسئوا فيها ولا تكلمون:

لقد وصف الله تعالى حال أهل النار وهم يطلبون الخروج من النار فقال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

* ولكنهم قبل ذلك كله يطلبون من خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من العذاب.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

فقالوا: ولماذا لا نلجأ لمالك (خازن النار) فأخذوا يصيحون ويقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

قال الأعمش: نُبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام.

* وعن عبد الله بن عَمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أوّلها شهيق وآخرها زفير.

آخر أهل النار خروجًا منها:

قال ﷺ: «إني لأعرفُ، آخِر أهلِ النارِ خُروجًا منَ النارِ، وآخرَ أهلِ الجنةِ دُخولًا الجنَّة؛ رجُلٌ يُؤتى به يومَ القيامةِ، فيُقالُ: اعْرضوا عليه صِغارَ ذُنوبِه، وارفعُوا عنهُ كِبارَهَا، فيُقال لهُ: عمِلْتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا وعمِلتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا، فيقولُ: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكِرَ، وهو مُشفقٌ من كبار ذُنُوبه أن تُعرضَ عليهِ فيُقال لهُ: فإنَّ لكَ مكان كلِّ سيئةٍ حسَنةً، فيقولُ: ياربِّ عمِلتُ أشياء لا أراها ههُنا»[1].

ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار:

قال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [النحل: ٢٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۝٦٣﴾ [التوبة: ٦٣].

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون ويقال يا أهل النار فيشرئبون فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٧٧، رقم ١٩٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٥/ ٣١٥، رقم ٣١٥٦) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٨).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جئ بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح ثم ينادى منادٍ يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم**»(١).

فيا لها من حسرة شديدة حيث يعلم الإنسان أنه من المخلدين فى النار فلا ماله ينفعه ولا ولده يشفع له ولا منصب ينجيه ولذا يقول أحد الصالحين والله لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار مليون سنة لكانوا أسعد الناس فتعجب أحدهم وقال كيف ذلك؟ فقال له الرجل لأنهم يعلمون أنهم سيخرجون بعد مليون سنة ولكنهم سيخلدون فى النار.

* ويالها من فرحةٍ شديدة لأهل الجنان عندما يعرفون أنهم مخلدون فى الجنة يشربون من أنهارها ويأكلون من ثمارها وأشجارها ويتلذذون بالحور العين ثم يتم لهم النعيم الأعظم برؤية وجه الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

دعونى على نفسى أنوح وأندب	بدمعٍ غزير وأكفٍ يتصببُ
دعونى على نفسى أنوح فإننى	أخاف على نفسى الضعيفة تعطبُ
وإنى حقيق بالتضرع والبكا	إذا ما هدأ النوام والليل غيهبُ
وجالت دواعى الحزن من كل جانب	وغارت نجوم الليل وانقض كوكبُ
كفى أن عينى بالدموع بخيلة	وإنى بآفات الذنوب معذبُ
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى	إلى أين إلجائى إلى أين أهربُ؟
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها	وقد قرب الميزان والنار تلهبُ
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى	لئن كنت فى قاع الجحيم أعذبُ
فقد فاز بالملك العظيم عصابة	تبيت قياما فى دجى الليل ترهبُ
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه	وقد زُينت حور الجنان الكواعبُ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٧، رقم ٦١٨٢)، ومسلم (٤/ ٢١٨٩، رقم ٢٨٥٠).

فناداهــم سهــلًا وأهــلًا ومرحبــا أبحــت لكم دارى ومــا شئتم اطلبـوا

نصائح تبعدنا عن حر النار

الالتزام بما أمر الله واجتناب نواهيه.

قال سهل بن عبد الله أربع جعلتنى أقيم حياتى على منهج الإسلام:

١- أعمل لله بقدر حاجاتى له.

٢- أعمل للدنيا بقدر مقامى فيها.

٣- أعمل للنار بقدر صبرى عليها.

٤- أعمل للآخرة بقدر بقائى فيها.

آخيرًا أهيب بالجميع لا تظلم.....لا تظلم، لا تظلم نفسك بالتمرد على الله وبـأن تتعدى تظلم الناس ولو يعلم الظالم ما للمظلوم عنده لضن عليه بظلمه، فلما لا نتعامل مع الناس بقضية الفضل وليس العدل (حقى وحقـك) فـالله يعاملنـا بفـضله فلمـا لا نتعامل بالفضل بيننا، وعلى المظلوم أن يصبر ويحتسب.

مفاتيح الجنة

الحديث عن الجنة بطبيعته يشرح الصدر وتشرئب إليه الأنفـس المتطلعـة دومًـا والمتشوقة أبدًا إلى الرحمة والاقتراب من مدارها، ومن أكبر رحمات الله علينـا أن يـذَكِّر بعضنا بعضنا بما يؤول إليه أمر المؤمنين. هذه مبشرات كبرى، فأهل الجنـة فى الـدنيا كانوا مشفقين، فأورثهم الله الجنة. عندما ندخل بستانا فيه أشجار وأوراق وثمار ينعة، شكلها يشرح الصدر ويسعد القلب ويسر الناظرين، وتجد فاكهة مختلفة الطعوم، فإن هذه الفاكهة تمثل منظومة لهذا البـستان، والـدين نـزل لهدايـة الإنـسان وسـعادته فى الدارين، ونحن لا نظن الإنسان الذى لا يملك شيئًا فقيرًا، كلا فقلبـه عـامر بالإيمـان بالله، إنه أغنى الأغنياء إذ ليس الغنى بكثرة العرض والمال، وإنما الغنى غنى النفس.

* الراحمون يرحمهم الرحمن، أن نتراحم جميعا فيؤدى بنا ذلك إلى أن يرحمنا الـرحمن ويبعد وجوهنا عن النار وينعم علينا بدخول الجنة.

* وفى الجنة ينادى رب العزة سبحانه: يا عبادى هل رضيتم فيقولون نعم رضـينا

يا رب، فيقول رب العزة: هل لكم فيما هو خير من هذا؟ فيقولون: يا ربنا، قد أحللتنا دار المقامة من فضلك فهل بعد هذا خير؟ فيقول رب العزة: أجل أن يحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

* قال الله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١].

يا له من نعيم

قال ﷺ: «... وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها»(١).

وقال ﷺ: «لقاب قوس فى الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»(٢).

وقال ﷺ: «لو أن ما يقل ظفرًا مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»(٣).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها»(٤).

وفيها ما تشتهيه الأنفس

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف: ٧١].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يومًا يحدث وعنده رجل من أهل البادية: **«أن رجلًا من أهل الجنة أستأذن ربه فى الزرع، فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى،**

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٢٨٩٢) كتاب الجهاد والسير من حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٥٣٨) كتاب صفة الجنة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥١) من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٨٨١) كتاب تفسير القرآن. ومسلم (٢٨٢٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ولكنى أحب أن أزرع... فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاؤه وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شيء، فقال الأعرابى: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»[1].

فيا من حرمت نفسك من شهوات الدنيا الفانية وعشت على طاعة الله -عز وجل- اعلم أنك إذا دخلت جنة الرحمن - جل وعلا- فإنك ستجد كل شيء تشتهيه نفسك... ولذلك لما سألوا الإمام أحمد -رحمه الله- وقالوا له: يا إمام متى الراحة؟ قال: لا راحة إلا فى جنة الرحمن.

احتجاج الجنة والنار

قال ﷺ: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى. وقال للنار: إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله. تقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا»[2].

وعن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة»[3].

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة: «وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٥١٩) كتاب التوحيد من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٨٤٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس رضي الله عنه.

فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ٨- ١٠]........ ولا يظلم الله أحدًا من خلقه.

أسماء أهل الجنة وأهل النار

قال ﷺ: «أتدرونَ ما هذانِ الكتابانِ؟ [فقالَ للذى فى يدهِ اليمنى] هذا كتابٌ من ربِّ العالمينَ، فيه أسماء أهل الجنةِ، وأسماءُ آبائهمْ وقبائلهمْ، ثم أُجملَ على آخرهم، فلا يزادُ فيهمْ، ولا يُنقصُ منهمْ أبدًا، [ثمَّ قالَ للذى فى شماله] هذا كتابٌ من ربِّ العالمينْ، فيه أسماءُ أهلِ النارِ، وأسماءُ آبائهمْ وقبائلهمْ، ثم أجملَ على آخرهم، فلا يزادُ فيهمْ ولا يُنقصُ منهمْ أبدًا، سدّدوا وقاربوا، فإنَّ صاحب الجنةِ يُختم لهُ بعملِ أهل الجنة، وإنْ عمل أىَّ عمل، وإنَّ صاحب النارِ يختم له بعملِ أهلِ النارِ، وإنْ عملَ أىَّ عمل؛ فرغَ ربكم من العباد، ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾»[1].

الجنة قريبة... فاجتهد

قال ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»[2].

فاجتهد أيها الأخ الحبيب... واجتهدى أيتها الأخت الفاضلة لتفوزوا بالنعيم والرضوان فى جنة الرحمن -جل وعلا-.

حُفت الجنة بالمكاره

قال ﷺ: «حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات»[3].

وقال ﷺ: «لما خلقَ اللهُ الجنةَ قالَ لجبريلَ: اذهب فانظر إليها، فذَهبَ فنظرَ إليها، ثمَّ

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢١٤١) كتاب القدر وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع () من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٨) كتاب الرقاق من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس رضي الله عنه.

جاءَ فقالَ: أىْ ربِّ! وعزَّتِكَ لا يَسمعُ بها أحدٌ إلا دَخلَها، ثمَّ حفَّها بالمكارهِ، ثم قالَ: يا جبريلُ! اذهب فانظُر إليها، فذَهبَ، ثمَّ نظرَ إليها، ثمَّ جاءَ فقالَ: أى ربِّ! وعزَّتكَ لقدْ خَشيت أنْ لا يدخُلها أحدٌ، فلَّما خَلقَ الله النارَ، قالَ: يا جبريلُ! اذهبْ فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثمَّ جاء فقال: وعزَتِك لا يَسْمَعُ بها أحدٌ فيدخلَها، فحفّها بالشّهوات، ثمَّ قال: يا جبريلُ اذهب فانظر إليها، فذهب، فنظر إليها فقالَ: أى رب وعزَّتكَ لقدْ خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دَخلَها»[1].

كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبَى

قال ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أَبىَ» قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[2].

وقال ﷺ: «كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شِراد البعير على أهله»[3].

فاللهم اجعلنا من أتباع حبيبك ﷺ.

الدارُ الإسلام... والبيتُ الجنة

قال ﷺ: «إنى رأيتُ فى المنامِ كأنَّ جبريلَ عند رأسى، وميكائيل عند رجلىَّ، يقولُ أحدهما لصاحبِهِ: اضربْ له مثلًا، فقال: اسمع سمعت أذُنكَ، واعقِلَ عقل قلبُكَ؛ إنما مثلكَ ومثلُ أمَتك كمثَلِ ملِكٍ اتخذ دارًا، ثمَّ بنى فيها بيتًا، ثمَّ جعل فيها مائدةً، ثمَّ بعثَ رسولًا يدعو الناسَ إلى طعامهِ، فمنهم من أجابَ الرسولَ، ومنهم منْ تركهُ، فالله هو الملكُ، والدارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنةُ، وأنتَ يا محمدُ رسولٌ، منْ أجابكَ دخلَ الإسلامَ، ومن دخل الإسلام دخلَ الجنةَ، ومن دخل الجنةَ أكل ما فيها»[4].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٤٤) كتاب السنة، وأحمد (٨٤٣٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٢٣)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٠٤٣) من حديث أبى أمة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٦٠) كتاب الأمثال من حديث جابر رضي الله عنه.

لن ندخل الجنة إلا برحمة الله - جل وعلا -

قال ﷺ: «سَدِّدُوا وقاربوا وأبشروا واعلمُوا أنهُ لن يُدخلَ أحدكمُ الجنة عملهُ؛ قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؛ إلا أنْ يتغمدنى الله بمغفرةٍ ورحمةٍ»(١).

وقال ﷺ: «لن يُدخلَ أحَدًا عملُهُ الجنة، ولا أنا، إلا أن يتغمَّدَنى الله بفضلِ رحمتِهِ، فسدِّدُوا وقاربُوا، ولا يَتَمَنى أحدُكم الموْت، إمَّا مُحسِنٌ، فلعلهُ يَزدادُ خيرًا، وإمَّا مُسىءٌ، فلَعلَهُ أنْ يستعتِبَ»(٢).

أشياء نراها من الجنة

وقد يسأل سائل ويقول: وهل هناك أشياء نراها فى هذه الدنيا وهى من الجنة؟.

والجواب: بلى هناك أشياء نراها وهى من الجنة وإليك بعضها.

وقال ﷺ: «الحجر الأسود من الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «قوائم منبرى رواتب فى الجنة»(٤).

وقال ﷺ: «لولا ما مسَّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسَّهُ ذو عاهة إلا شُفى وما على الأرض شىء من الجنة غيره»(٥).

عقد ثمنه الجنة

قال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٨٧٧) كتاب الحج، والنسائى (٢٩٣٥) كتاب مناسك الحج، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه النسائى (٦٩٦) كتاب المساجد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤١٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٥) صحيح: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٤٩، رقم ٤٠٣٣)، وفى السنن الكبرى (٥/ ٧٥، رقم ٩٠١٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الجنة»[(١)].

ولذلك عرض الرب [جل وعلا] سلعته الغالية على عباده فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

شبهة... والرد عليها

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تُدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلًا بدخولها وإن كان سببًا. ولهذا فثبت الله تعالى دخولها بالأعمال فى قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»**[(٢)].

ولا تنافى بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

والثانى: أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلًّا بحصوله. وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين بقوله: **«سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يُدخل أحدًا الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة»**[(٣)].

تلك هى الجنة... فأين مهرها؟!!!

يقول الإمام ابن القيم فى كتابه القيم «حادى الأرواح إلى بلاد الأرواح»: وكيف

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة الرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره: وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

* وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

* وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصفًى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

* وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجدّ السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى مُلكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام.

* وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلًا فى السماء، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى غُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهى الأسرّة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب،

فما لها من فروج ولا خلال.

* وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

* وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم، حيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

* وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواعب الأتراب، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيّرين [الشمس والقمر] وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ويرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرآة التى جلاها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا. وأفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن مَنْ على ظهرها بالله الحى القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالًا، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا

يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى... هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

* وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحُسن، فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حَور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حُسن الخُلق فهن الخيرات الحسان، اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر. وإن سألت عن حُسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

* فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حُسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

* وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبّلت فلا شىء أشهى إليه من التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

* هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أُعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيَح الذى جُعل لهم موعدًا. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى

منهم أحدًا، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيّض وجوهنا ويثقل موازيننا. ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى: فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب جل جلاله الحُجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكّره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يارب ألم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

* فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥].

فحى على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلمُ

أسماء الجنة ومعانيها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات.

الاسم الأول: الجنة: وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن والجان لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه ومنه سمى البستان جنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه.

الاسم الثانى: دار السلام: وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥]. وهى أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [يونس: ١٠] ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم، قال تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٧، ٥٨].

الاسم الثالث: دار الخلد: وسميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨]. ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤]. وقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥]. وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٨].

الاسم الرابع: دار المقامة: قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا لا يموتون، ولا يتحولون منها أبدًا.

الاسم الخامس: جنة المأوى: قال تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم: ١٥].
والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به. وقال عطاء عن ابن عباس: هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبى: هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء.

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. وقال فى النار: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

الاسم السادس: جنات عدن: اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [مريم: ٦١].

والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام يقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه.

الاسم السابع: دار الحيوان: قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]. المراد الجنة عند أهل التفسير، قالوا: وإن الآخرة يعنى الجنة لهى دار الحياة التى لا موت فيها.

الاسم الثامن: الفردوس: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. وأصل الفردوس: البستان.

الاسم التاسع: جنات النعيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان: ٨]. وهذا أيضًا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة. وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

الاسم العاشر: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١]. والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والمغص والنكد. وفى قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان:٥٥]. فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون

انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منهـا، فـلا يخـافون ذلـك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

الاسم الحادى عشر والثانى عشر: مقعد الصدق، وقدم الصدق: قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]. فسمى جنتـه مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها.

وربك يخلق ما يشاء ويختار

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فهى سيدة الجنان، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمدًا ﷺ، ومن السموات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر المحرم، ومن الليالى ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلاة، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

قال عبد الله بن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وآدم ـ عليه السلام ـ ثم قال لسائر الخلق كن فكان.

وعن كعب قال: «لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيـده، وغرس جنة عدن بيده. ثم قال لها: تكلمى. قالت: قد أفلح المؤمنون».

هؤلاء أهل الجنة

لقد ذكر الله [عز وجل] ورسوله ﷺ بعض مواصفات أهل الجنة.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ

ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان، فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها [أى فى الجنة].

قال رسول الله ﷺ: **«يا ابن الخطاب، اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**[(١)] .

وعن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال: «..... وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال....»[(٢)] .

وعن حارثة بن وهب قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة»؟ قالوا: بلى. قال ﷺ: «كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: «كل عُتُلٍّ جواظ مستكبر»[(٣)] .

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والصديق فى الجنة و المولود فى الجنة و الرجل يزور أخاه فى ناحية المصر فى الله فى الجنة ؛ ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العئود التى إذا ظلمت قالت: هذه يدى فى يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى»[(٤)] .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث عياض بن حمار المجاشعى رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٤) حسن: رواه أيضًا: الطبرانى فى الكبير (١٩/ ١٤٠، رقم ٣٠٧)، وفى الأوسط (٦/ ١١، رقم ٥٦٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٤) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

الناس خيرًا وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس شرًا وهو يسمع»[١].

وقال ﷺ: «يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض»[٢].

أبواب الجنة الثمانية.. ومضاعفة الرزق للمؤمن

قال الإمام ابن القيم: فرِّغ خاطرك للهمِّ بما أُمِرتَ به ولا تشغله بما ضُمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. وإذا سدَّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمَّل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحد وهو السرة، فلمَّا خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيدًا - طرقًا ثمانية، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن. فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيًّا، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان عليًّا. ولو أنصف العبدُ ربه، وأنَّى له بذلك؟! لَعلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢٤) كتاب الزهد، والطبراني في الكبير (١٢٧٨٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٥٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه.

فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه. ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. فـ ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢] ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩] والله المستعان.

«الوسيلة» أعلى منزلة فى الجنة للنبى ﷺ

والوسيلة هى أعلى منزلة فى جنة الرحمن جل وعلا وهى من نصيب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله [موسى]، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ.

وفى حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع علىَّ أحدًا»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ، فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت له الشفاعة**»[1].

قصر النبى ﷺ فى جنة عدن

ولابد أن نعلم أن للنبى ﷺ قصورًا كثيرة فى الجنة، ومن بينها قصره فى [جنة عدن].

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

لنا: «أتانى الليلة آتيان فابتعثانى، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبِن ذهب ولبِن فضة فتلقانا رجالٌ شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ قالا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة. قالا لى: هذه جنة عدن، وهذا منزلك. قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز الله عنهم»[1].

قصرٌ مثل الربابة البيضاء

وقال ﷺ: «.... فانطلقنا فانتهينا إلى روضةٍ عظيمةٍ لم أرَ روضةً قطُّ أعظم منها ولا أحسن قال: قالا لى: ارق فيها قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففُتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعُوا فى ذلك النهر. قال: وإذا نهرٌ مُعترضٌ يجرى كأنَّ ماءهُ المحضُ فى البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوءُ عنهم فصاروا فى أحسن صورة قال: قالا لى: هذه جنة عدن وهذا منزلك قال: فسما بصرى صُعُدًا، فإذا قصرٌ مثلُ الربابة البيضاء. قال: قالا لى: هذا منزلك قال: قلتُ لهما: بارك الله فيكما ذرانى فأدخلهُ. قال: قالا: أما الآن فلا وأنت داخله...»[2].

قصرٌ على نهر الكوثر

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال ـ فى جزء من حديث ـ: «.... ما هذانِ النهرانِ يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفُراتُ عُنصرُهُما ثُم مضى به فى السماء فإذا هو بنهرٍ آخر عليه قصرٌ من لؤلؤٍ وزبرجدٍ فضرب يده فإذا هو مسكٌ أذفرُ قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك....»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٦٧٤) كتاب تفسير القرآن من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٧٥١٧) كتاب التوحيد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

منزل مثل السحاب لسيد الأحباب ﷺ

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجلٌ قائم بيده كَلُّوب من حديد...... ـ إلى أن قال ـ: فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخٌ وصبيان، وإذا رجلٌ قريب من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم. أما الذي رأيته يشق شدقه.... ـ إلى أن قالا ـ: «والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل. فارفع رأسك. فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك» (١).

بيت في الجنة من قصب لخديجة رضي الله عنها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» (٢).

والقصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف.

قال السهيلي: النكتة في قوله: «من قصب» ولم يقل: من لؤلؤ؛ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٨٦) كتاب الجنائز من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذه المناسبة فى جميع ألفاظ هذا الحديث اهـ.

وفى القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها.

وقال السهيلى: لذكر البيت معنىً لطيف؛ لأنها كانت ربة بيت فى الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض فى أول يوم بعث النبى ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهى فضيلة ما شاركها فيها أيضًا غيرها. قال: وجزاء الفعل يذكر غالبًا بلفظه، وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر اهـ.

ويلوح الجزاء من جنس العمل فى قول الرسول ﷺ: «**لا صخب فيه ولا نصب**»، فالصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب: التعب.

قال السهيلى: مناسبة نفى هاتين الصفتين ـ أعنى المنازعة والتعب ـ أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابته خديجة طوعًا، فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب فى ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذى بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها. اهـ.

قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن بريدة رضي الله عنه قال: «**دعا رسول الله ﷺ بلالًا، فقال: يا بلال بِمَ سبقتنى إلى الجنة؟ إنى دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامى، فأتيت على قصر من ذهب مُربع فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: فأنا محمد. لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من العرب. قلت: أنا عربى. لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: فأنا قرشى، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال بلال: يا رسول الله ما أذّنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابنى حَدَثٌ قط إلا توضأت عندها، فقال رسول الله ﷺ: بهذا**»[1].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع () من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصرًا بفنائه جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردتُ أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غَيرتك. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار»[1].

عدد أبواب الجنة وصفتها

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠)﴾ [ص: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقال ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب»[2].

وعن خليد عن قتادة قال: أبواب يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحي انغلقي.

وفي حديث الشفاعة الطويل قال رسول الله ﷺ: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»[3]، وهذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع.

سعة أبوابها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقال:

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٦٧٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٤) كتاب فضائل الصحابة من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن سعد (٧/ ٤٣٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣١١٩) من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (٣١٤٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٤٥٩).

يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن، من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى»[(١)].

وقال ﷺ: «إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة»[(٢)].

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه... وسعة الباب، بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.

نداء من أبواب الجنة الثمانية

إن الغاية التى يسعى إليها كل مؤمن أن يدخل الجنة، وأن ينجو من عذاب النار، فهذا هو الفوز الحقيقى مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فما ظنك بمن يأتى يوم القيامة ويجد أن أبواب الجنة الثمانية تنادى عليه ليدخل من أى الأبواب شاء؟! فيا تُرى

من الذين ينادى عليهم من أبواب الجنة الثمانية؟!!

وسوف أسوق لحضراتكم باقة من الأحاديث العطرة التى تخبرنا عن هذا الصنف المبارك الذى يُنادى عليه من أبواب الجنة الثمانية.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين فى سبيل الله، نُودى من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقه...». فقال أبو بكر رضي الله عنه:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٦٧) كتاب الزهد والرقائق من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه.

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»[١].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد توضأ فيُبلغ [أو فيسبغ] الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٢] زاد الترمذى بعد التشهد: «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين»[٣].

وعن عتبة بن عبد الله السلمى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل»[٤].

وعن عُتبة بن عَبْد السُّلَمىّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «القَتْلُ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مؤمنٌ جَاهَدَ بِنَفْسه وَمَالِهِ فى سَبيلِ الله - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى إذا لَقِىَ العَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حتَّى يُقتَلَ، فذلِكَ الشَّهِيدُ المُفْتخِرُ فى خَيمةِ الله - عز وجل - تَحتَ عَرْشهِ لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إلا بِدَرَجةِ النُّبوةِ، وَرَجُلٌ مُؤمنٌ قَرَفَ عَلى نفسِهِ من الذُّنُوبِ والخَطَايَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ فى سبيل الله حتى إذا لَقِىَ العَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَمَصْمَصَة مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخطَايَاهُ، إنَّ السَّيْفَ محَّاءٌ للخَطَايا، وأُدخلَ مِنْ أى أبوابِ الجَنةِ شاءَ، فإن لها ثَمانِيةَ أبواب، ولجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أبواب، وبَعْضُهَا أفضلُ من بَعضٍ، وَرَجُلٌ مُنافقٌ جَاهدَ بِنفسِهِ ومالِه حتَّى إذا لقِىَ العَدُوَّ قَاتَلَ فى سبيلِ الله - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى يُقتَلَ، فذَلِك فى النَّار، إنَّ السَّيْفَ لا يَمْحُو النِّفَاقَ»[٥].

وعن عبادة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»، وفى رواية: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤) كتاب الطهارة من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٥٥) كتاب الطهارة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (١٦٠٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٢).

(٥) حسن: رواه أحمد (١٧٢٠٤)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان من حديث=

وقال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها. قيل لها: ادخلي الجنة من أى أبواب الجنة شئت»[(١)].

تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس

قال ﷺ: «تُفتح أبواب الجنَّة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفرُ لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئًا؛ إلا رجلًا بينه وبين أخيه شحناء، فيُقالُ: أنظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا»[(٢)].

ولذلك كان الحبيب ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس.

قال ﷺ: «تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يُعرض عملى وأنا صائم»[(٣)].

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم

إن الإنسان إذا ما ذهب لزيارة إخوانه فى الدنيا أو أقاربه، فقد لا يتمكن من الوصول إليه وقد لا يعرف بيته.

أما فى الجنة فإن الذى يُعرفك بيتك هو الله جل وعلا... قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝﴾ [محمد:٦]

بل قال ﷺ: «.... فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان فى الدنيا»[(٤)].

قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا لا يستدلون عليها أحدًا.

=عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٩/ ٤٧١، رقم ٤١٦٣). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٣٤، رقم ٤٥٩٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح لغيره: رواه الترمذى (٧٤٧) كتاب الصوم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٠٤١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: «هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم»... هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: عرّفها أى بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

أول من تفتح له أبواب الجنة

وقال ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»(١) - أى: أحركها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أكثر الناس تبعًا يوم القيامة، وأنا أولُ من يقرع باب الجنة»**(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: **«آتى باب الجنَّة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحدٍ قبلك»**(٣).

أول من يدخل الجنة

قال ﷺ: «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء...»(٤).

ولذلك فإن الله -عز وجل- يَجبر لهم كَسرهم فى الآخرة وذلك بأن يُدخلهم الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة سنة.

قال ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»(٥).

وقال ﷺ: «أتعلمُ أولُ زمرةٍ تدخلُ الجنةَ من أمتى؟ فقراءُ المهاجرينَ، يأتون يومَ القيامةِ إلى بابِ الجنةِ، ويستفتحونَ، فيقولُ لهمْ الخزنةُ: أوقدْ حوسبتمْ؟ قالوا بأىّ شىء نحاسبُ، وإنما كانتْ أسيافُنا على عواتقنا فى سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ فيفتحُ لهمْ

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٦) كتاب الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧) كتاب الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٣٢٤١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٣٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٣٥١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٢٨) من حديث أبى سعيد رضي الله عنه.

فيقيلون فيها أربعين عامًا، قبلَ أن يدخلها الناسُ»[1].

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره فى الدخول. والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يحاسَب أفضل من أكثرهم والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

باب من أبواب الجنة

قد جعل الله لكل مطلوب مفتاحًا يفتح له، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة والإحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.

* * *

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٨٠، رقم ٢٣٨٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى. والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٢٨، رقم ٤٢٦٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٩٦).

باب الريان للصائمين

قال ﷺ: «إنَّ في الجنَّة بابًا يقالُ لهُ: الريَّانُ، يدخُلُ منهُ الصائمونَ يومَ القيامةِ، لا يدخلُ منهُ أحدٌ غيرُهمْ، يقالُ: أينَ الصائمونَ؟ فيقومونَ، فيدخلونَ منهُ، فإذا دخلوا، أُغلقَ؛ فلم يدخل منهُ أحدٌ»(١) .

وقال ﷺ: «للصَّائمين بابٌ فى الجنة يقالُ لهُ الرَّيانُ. لا يدْخُلُ فيه أحدٌ غيرهمْ، فإذا دَخَلَ آخرهم أُغلقَ، من دخل فيهِ شرِب، ومَنْ شَربَ لم يظمأ أبدًا»(٢) .

مُسمّى الباب: «الريان» من الرى، والرى ضد الظمأ، مسمى الباب يبعث على الرى، وأول الغيث قطرة،... إن ذكر الماء فى الصحراء؛ يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل..؟!.

طريق الجنة واحد

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦] .

وصفهم عند دخول الجنة

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] .

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه النسائى (٢٢٣٦) كتاب الصيام، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٤).

﴿تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾ [إبراهيم: ٢٣].

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خُلق رجلٍ واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»[1].

وفى رواية البخارى: «ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتامرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال إنهم كانوا عبادًا يعبدونى لا يشركون بى شيئًا وتُسد بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[3].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنَّة من أمتِّى سبعون

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٥٣٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ألفًا [أو: سبعمائة ألف] متماسكون، آخذٌ بعضهم ببعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»(١).

وقال ﷺ: «أولُ زُمرةٍ تدخلُ الجنَّة، على صُورةِ القَمر ليلةَ البدرِ، والثانيةِ على لونِ أحسنَ منْ كوكب درِّيٍّ في السَّماء، لكلِّ رجلٍ منهمْ زوجتَانِ، على كلِّ زَوجةٍ سبعُونَ حُلَّةً يبدو [مخُّ] ساقها منْ ورائها»(٢).

وقال ﷺ: «أولُ زمرةٍ تدخلُ الجنَّةَ على صورةِ القَمرِ ليلةَ البدرِ، والذينَ على أثرِهم كأشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السَّماء إضاءةً، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، لا اختلافَ بينَهم، ولا تباغُضَ، ولا تحاسُدَ، لكلِّ امرىءٍ منهمْ زَوجتانِ، كلُّ واحدةٍ منهما يُرى مُخُّ سُوقِها منْ وراءِ لَحمها منَ الحُسنِ، يُسبِّحونَ الله بُكرةً وعشيًا، لا يسقمونَ، ولا يمتخِطونَ، ولا يبصقونَ، آنيتُهم الذَّهبُ والفِضةُ، وأمشاطهمُ الذَّهبُ، ووقودُ مجامِرِهِمُ الألُوَّةُ»(٣).

وعن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع»(٤).

جُردًا: أى بدون شعر على أجسادهم.

مُردًا: أى بدون لحية.

وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم.

* * *

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٥٥٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢١٩) كتاب الإيمان من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٥٣٥) كتاب صفة الجنة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٦٤) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٢٤٦) كتاب بدء الخلق من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٨٣١٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

مشهد عظيم عند دخول الجنة

قال على بن أبى طالب ﷺ: «يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمرًا، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أُمروا بها فشربوا منها، فأذهب ما فى بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة، فقالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. قال: ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة. كذا قال: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذى يُدعى به فى الدنيا، فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثرى، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، فلولا أن الله قدّره له لألمّ أن يذهب بصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة، فنظروا إلى تلك النعمة، ثم اتكأوا وقالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، ثم ينادى منادٍ: تحيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحّون فلا تمرضون أبدًا».

وعن النعمان بن سعد قال: كنا جلوسًا عند علىّ ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥] قال: لا والله ما على أرجلهم يُحشرون ولا يُحشرُ الوفد على أرجلهم ولكن على نُوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهبٍ فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة».

أول الأمم دخولًا الجنة.. وأكثرهم عددًا

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا

فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق»(١).

وقال ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»(٢).

كيف يدخلون الجنة... وأول وجبة يأكلونها

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

وفى الحديث الذى رواه مسلم... عندما جاء حَبر من أحبار اليهود يسأل النبى ﷺ عن عدة أشياء وكان من بينها أنه سأله عن أول طعام لأهل الجنة فقال: فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال ﷺ: «زيادة كبد النون ـ الحوت ـ» قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «يُنحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تُسمى سلسبيلًا» قال: صدقت(٣).

طعام أهل الجنة وشرابهم

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

وقال تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، وابن ماجه (٤٢٨٩) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح ابن ماجه من حديث بريدة ابن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣١٥) كتاب الحيض من حديث ثوبان بن بجدد رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)﴾[الطور: ٢٢، ٢٣] .

وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠)﴾[الواقعة: ٢٠] .

وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)﴾[المطففين: ٢٥، ٢٦] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾[الإنسان: ٥، ٦] .

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : **«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والحمد كما تُلهمون النفَس»**[١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)﴾[الزخرف: ٧١] . قال: «يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس فى الأخرى».

وعن سليم بن عامر رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم. قال: أقبل أعرابى يومًا، فقال: يا رسول الله! ذكر الله عز وجل فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها. فقال رسول الله ﷺ : **«فما هى؟»**. قال: السدر؛ فإن له شوكًا مؤذيًا. قال رسول الله ﷺ : **«أليس الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟ خَضَدَ الله شوكه، فجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرة؛ فإنها لتنبت ثمرًا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر»**[٢] .

وقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ طير الجنَّة كأمثال البُخت، ترعى فى شجر الجنة»**. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! إن هذه الطير ناعمة. فقال: **«أكلتها أنعم منها- قالها ثلاثًا - وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»**[٣] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) قال العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٢) رواه ابن أبى الدنيا وإسناده حسن.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢٨٩٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٠).

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

والكأس هو الإناء الذى فيه الشراب، ويُطلق كذلك على نفس الخمر.

قال بعضهم:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذةٍ   وأخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أى يخالطها وتمزج به.

قال مقاتل: ليس هو كافور الدنيا وإنما سمى ما عنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب.

قوله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أى يجرونها إلى حيث يريدون وينتفِعونَ بها كما يشاءون.

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝﴾ [الإنسان: ١٧] أى كأسا من خمر ممزوجة بالزنجبيل، وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته.

وذكر سعيد بن منصور... عن عبد الله فى قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝﴾. قال: تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفًا.

وعن أبى الدرداء فى قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلًا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

صفة أهل الجنة فى خَلقهم وطولهم وخُلقهم

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. قال: فزادوه: ورحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»** [1].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٢٢٧) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة ﷺ.

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء إضاءة، وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]. فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم.

وفى الصحيحين: «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم - عليه السلام - ستون ذراعًا فى السماء»[1].

أهل الجنة يتزاورون ويتذاكرون ما كان بينهم

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٠- ٥٧].

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا، عن أحوال كانت فى الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إنى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه يقول: أئنك لمن المصدقين، بأنا نُبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى، وكنا ترابًا وعظامًا، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة: هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه.

قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى». أى النافذة أو الفتحة فى الحائط.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥- ٢٨].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ثياب أهل الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣)﴾ [الدخان: ٥١- ٥٣].

وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾ [الإنسان: ٢١].

وفى الحديث أن رجلًا قال يا رسول الله. أخبرنا عن ثياب أهل الجنة... خلقًا تُخلق أم نسجًا تُنسج؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: **«مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالمًا!!»** ثم أكبّ رسول الله ﷺ ثم قال: **«أين السائل؟»** قال: هو ذا يا رسول الله، قال: **«لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة»**[1].

وقال ﷺ: **«لو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوءه ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم»**[2].

وعن أبى حازم قال: كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلى ﷺ يقول: **«تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»**[3].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«القيد سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧٢٧٦)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٨٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٣٨) كتاب صفة الجنة، وأحمد (١٤٥٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠) كتاب الطهارة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها»، قال: قلت يا رسول الله وما النصيف؟ قال: الخمار»[(١)].

وعن البراء قال: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال رسول الله ﷺ: «تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين»[(٢)].

ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا، فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصدّيق فى المهاجرين واهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه فى الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حُكمه الذى حكم به حكم الله من فوق سبع سموات، ونعاه جبريل إلى النبى ﷺ يوم موته، فحق له أن تكون مناديله، التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حُلل الملوك.

وعن أبى سعيد ؓ عن النبى ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لونٍ أحسن من كوكب درى فى السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها»[(٣)].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، وفى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[(٤)].

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى»[(٥)].

وسئل ابن عباس ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمرة كأنها الرمان، فإذا أراد

---

(١) حسن: رواه أحمد (٩٩٠٠)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة من حديث البراء بن عازب ؓ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٦، رقم ١١١٤٢)، والترمذى (٤/ ٦٧٠، رقم ٢٥٢٢) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٦٤) من حديث أبى سعيد الخدرى ؓ.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة ؓ.

(٥) صحيح: رواه أحمد (١١٢٧٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٢٣) من حديث أبى سعيد الخدرى ؓ.

ولى الله كسوة انحدرت إليها غصنها، فانفلقت عن سبعين حُلة ألوانـا بعـد ألـوان، ثـم تنطبق ترجع كما كانت.

نعمة القرآن... وحلل الجنة

وعن ابن بريدة عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، قال: ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى المُلك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويُكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلًا»(1)... [البطلة] السحرة [والغياية] ما أظل الإنسان فوقه.

فرش الجنة

وأما الفرش فقد قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤]..... وقال تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٤].

وعن عبد الله فى قوله: بطائنها من استبرق، قال: هذه البطائن قد خبرتم بها، فكيف بالظهائر؟ وأما البُسط والزرابى فقد قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦]

وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣- ١٦]

---

(1) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٢، رقم ٢٣٠٢٥)، والدارمى (٢/ ٥٤٣، رقم ٣٣٩١)، والعقيلى (١/ ١٤٣، ترجمة ١٧٦ بشير بن المهاجر الغنوى)، والحاكم (١/ ٧٤٧، رقم [illegible]٢٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده [illegible]

وعن سعيد بن جبير قال: [الرفرف] رياض الجنة [والعبقرى] عتاق الزرابى، وعن الحسن فى قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾ قال: هى البُسط، وأما النمارق، فقال الواحدى: هى الوسائد.

غرف الجنة وقصورها

قال تعالى عن عباد الرحمن: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام»[1].

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»[2].

هل تريد بيتًا فى الجنة

ففى هذا الزمان الذى طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف فيه كثيرٌ من

(١) **حسن:** أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٣، رقم ٢٢٩٥٦)، قال الهيثمى (٣/ ١٩٢): رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع () من حديث أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها

الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات وانشغل فيه كثيرٌ من الناس بتشييد القصور والعمارات ظنًّا منهم أنهم مُخلدون فى تلك الحياة... وهيهات هيهات، فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٤، ٣٥].

فكان لابد لنا من وقفة لنأخذ بقلوب الناس إلى جنة الرحمن لتشتاق تلك القلوب إلى مساكن وقصور الجنة فلا ينشغلوا بجمع حُطام الدنيا، بل ويوحدوا الهمم فيجعلوا مقصودهم تحقيق العبودية لله [جل وعلا] وبذلك يربح كل مسلم دُنياه وآخرته.

وإن كان المسلم قد حُرم من قصور الدنيا وبيوتها الفانية الزائلة فليعلم يقينًا أن الله سيعوضه فى الجنة بقصور تجرى من تحتها الأنهار... جدرانها من الذهب والفضة وملاطها المسك وتربتها من الزعفران.

وتالله لو لم يكن فى الجنة إلا نعمة الرضوان والنظر إلى وجه الرحمن لكان ذلك كافيًا.

هذه خيمتك فى الجنة

قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن:٧٢].

وعن أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ: **«إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»**[1].

وفى لفظ لمسلم: **«فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلًا فى كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين. يطوف عليهم المؤمن»**.

وللبخارى وحده لفظ **«طولها ثلاثون ميلًا»** وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل خيام فى البساتين وعلى شواطئ الأنهار[2].

وعن عبد الله بن مسعود، فى قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن:٧٢]

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الوحى.

قال: دُر مجوف.

وعن أبى الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابًا كلها من درة».

وعن مجاهد: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾. قال: فى خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة.

وعن ابن عباس: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾. قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق طوله خمسون فرسخًا، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣﴾ [الرعد:٢٣].... والله أعلم.

وأما السرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾ [الواقعة: ١٣ - ١٦]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ [الغاشية: ١٣].

فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا من بعض، وأخبر أنها موضونة، والوضن فى اللغة: النضيد والنسيج المضاعف.

قال عطاء عن ابن عباس: قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت. والسرير مثل ما بين مكة وأيلة.

وقال الكلبى: طول السرير فى السماء مائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

ألا تريد نخلاً حول بيتك فى الجنة؟!

أخى الحبيب: ألا تريد أن تزين بيتك فى الجنة بالنخيل من حوله؟!... وإن كان بيتك والله ليس فى حاجة إلى تزيين؛ لأن الذى أنشأ الجنة وغرس كرامتها هو الله [جل وعلا].

ولكن إن أردت المزيد فعليك بغراس الجنة.

قال ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له بها نخلةٌ فى الجنة»[1].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٥) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٢٩) من حديث جابر ؓ.

وقال ﷺ: «لقيتُ إبراهيم ﷺ ليلةَ أُسرىَ بى، فقال: يا محمدُ أقرئ أُمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبةُ التربة، عذبةُ الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سُبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبرُ»[1].

وقال ﷺ: «أكثروا من غرسِ الجنة؛ فإنه عذبٌ ماؤها، طيبٌ تُرابها، فأكثروا من غراسها: لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

وقال ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ فى الجنة ومنزلٌ فى النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهلُ الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾»[3].

المؤمن يبنى بيته الذى فى الجنة ويهدم بيته الذى فى النار

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فأما المؤمن فيبنى بيته الذى فى الجنة، ويهدم بيته الذى فى النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذى فى الجنة، ويبنى بيته الذى فى النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم أطاعوا ربهم عز وجل.

بل قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار»[4].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **حسن**: أخرجه الطبرانى (١٢/ ٣٦٤، رقم ١٣٣٥٤)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣ رقم ٤٣٤١) قال البوصيرى (٤/ ٢٦٦): هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٣٤١، رقم ٣٧٧)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٢٧٩).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٩٢) كتاب الزهد، وأحمد (١٩١٠٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٨) من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

من يكون في الفردوس الأعلى؟

قال تعالى عن وصف هؤلاء الذين يرثون الفردوس الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[1].

من يريد المساكن الطيبة في جنات عدن؟

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٧٢﴾

[التوبة: ٧٢].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي وعدهم على إيمانهم بجنات وارفة الظلال، تجرى من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي لابثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي ومنازل يطيب فيها العيش في جنات الخلد والإقامة.

قال الحسن: هي قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله.

وفي الحديث يقول الله تعالى لأهل الجنة: «يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خلقك! فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف: ١٠- ١٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ﴾ أى يا من صدقتم الله ورسوله وآمنتم بربكم حق الإيمان، هل أدلكم على تجارة رابحة جليلة الشأن؟ والاستفهام للتشويق ﴿تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى تخلِّصكم وتنقذكم من عذاب شديد مؤلم.. ثم بيَّن تلك التجارة ووضحها فقال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ إيمانًا صادقًا، لا يشوبه شكٌّ ولا نفاق ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ أى وتجاهدون أعداء الدين بالمال والنفس، لإعلاء كلمة الله.

فشبَّه هذا الثواب والنجاة من العذاب بالتجارة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾ قال الإمام الفخر: والجهاد ثلاثةُ أنواع:

١- جهادٌ فيما بينه وبين نفسه، وهو قهرُ النفس ومنعها عن اللذات والشهوات.

٢- وجهادٌ فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

٣- وجهادٌ أعداء الله بالنفس والمال نصرةً لدين الله ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى ما أمرتكم به من الإيمان والجهاد فى سبيل الله، خيرٌ لكم من كل شىء فى هذه الحياة، إن كان عندكم فهمٌ وعلم ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ هذا جواب الجملة الخبرية ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لأن معناها معنى الأمر أى آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيله فإذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم أى يسترها عليكم، ويمحها بفضله عنكم ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أى ويدخلكم حدائق وبساتين، تجرى من تحت قصورها أنهار الجنة ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ﴾ أى ويسكنكم فى قصور رفيعة فى جنات الإقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ أى ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه، والسعادة

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.

الدائمة الكبيرة التى لا سعادة بعدها.

من كان عبدًا للرحمن... فاز بالغرفة فى أعلى الجنان

قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣- ٧٤].

فمن اتصف بصفات عباد الرحمن كان جزاؤه فى الآخرة كما قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

قال الإمام القرطبى: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هى أوصافهم الحميدة من التحلى، والتحلى وهى «التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله» ثم بين جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة أى الدرجة الرفيعة وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

الغرف العلى من الجنة لهؤلاء:

عن نعيم بن همار أن رجلًا سأل النبى ﷺ، أىُّ الشهداء أفضل؟ قال: «الذين إن يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى من



الجنة. ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه»[(١)].

الفائزون بالغرف فى الجنة

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ (٥٨) ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ ﴾ أى جمعوا بين إخلاص العقيدة وإخلاص العمل ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ أى لننزلنَّهم أعالى الجنة ولنسكننهم منازل رفيعة فيها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ أى تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ أى ماكثين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبدًا ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾ أى نعمت تلك المساكن العالية فى جناتِ النعيم أجرًا للعاملين ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) ﴾ [العنكبوت: ٥٩] هذا بيانٌ للعاملين أى هم الذين صبروا على تحمل المشاق من الهجرة والأذى فى سبيل الله، وعلى ربهم يعتمدون فى جميع أمورهم.

قال فى البحر: وهذان جماع الخير كله: الصبر، وتفويض الأمر إليه تعالى.

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ أى لكن المؤمنون الأبرار، المتقون لله فى الدنيا، المتمسكون بشريعته وطاعته ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ أى لهم فى الجنة درجات عالية وقصورٌ شاهقة بعضها فوق بعض مبنية من زبرجدٍ وياقوت ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ أى تجرى من تحت قصورها وأشجارها أنهار الجنة من غير أخدود ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ أى وعدهم الله بذلك وعدًا مؤكدًا لا يمكن أن يتخلف؛ لأنه وعد العزيز القدير.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَلُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُم بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُرُفَتِ ءَامِنُونَ (٣٧)﴾ [سبأ: ٣٧].

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٢١٩٧٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧١) من حديث نعيم بن عمار ﷺ.

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ أى ليست أموالكم ولا أولادكم التى تفتخرون بها وتكاثرون هى التى تقربكم من الله قربى، وإنما يقرّب الإيمان والعمل الصالح... قال الطبرى: الزلفى: القربى، ولا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أى إلا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله، ويعلّم ولده الخير ويربيه على الصلاح فإن هذا الذى يقرّب من الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أى تضاعف حسناتهم، الحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعمائة ضعف ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ أى وهم فى منازل الجنة العالية آمنون من كل عذاب ومكروه.

عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرىّ الغابر فى الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين»**[1].

الشهداء... وخير منزل

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: أى ربِّ! خيرَ منزل، فيقولُ: سلْ وتمنَّ، فيقول: يا ربِّ ما أسألُ ولا أتمنى إلا أن تردَّنى إلى الدنيا، فأُقتل فى سبيلك عشرَ مرارٍ، لما يرى من فضلِ الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: أى ربِّ! شرَّ منزلٍ، فيقول له: أتفتدى منه بطلاعِ الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى ربِّ! نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقلَّ من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُرد إلى النار»[2].

الشهيد فى خيمة الله تحت عرشه

عن عتبة بن عبد السلمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٢٧٥٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

بنفسه وماله فى سبيل الله، إذا لقى العدو قاتل حتى قتل، قال النبى ﷺ فيه: «فذلك الشهيد الممتَحن، فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضُله النبيون إلا بدرجة النبوة، ومؤمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل»[1]... الحديث.

بيت فى الجنة لمن آمن بالنبى ﷺ وهاجر وجاهد فى سبيل الله.

قال ﷺ: **«أنا زعيمٌ لمن آمنَ بى وأسلمَ وهاجرَ ببيتٍ فى ربضِ الجنة، وببيتٍ فى وسط الجنة، وببيتٍ فى أعلى غرف الجنة، وأنا زعيمٌ لمن آمن بى وأسلمَ وجاهدَ فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة، وببيت فى وسط الجنة، وببيت فى أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشرِّ مهربًا، يموتُ حيث شاء أن يموت»**[2].

دَرَج الجنة وغرفها... لقارئ القرآن

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ، فسمعته يقول: **«تعلَّموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة، ثم قال: «تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف. وإن القرآن يأتى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك بالهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطَى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد فى درجة الجنة وغرفها، فهو فى صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلًا»**[3].

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٧٢٠٤)، والدارمى (٢٤١١) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٠) من حديث عتبة بن عبد السلمى رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه النسائى (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٠٠) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (٢٢٤٤١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

بيت في أعلى الجنة لصاحب الخلق الحسن

عن أبى أُمامة الباهلىِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «أنا زعيمٌ ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المِراء، وإن كان محقًّا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسُنَ خُلُقُهُ»[(١)]. والزعيم: الضامن.

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أحبكم إلىَّ، وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكُم أخلاقًا. وإنَّ أبغضكم إلىَّ وأبعدكُم منى يوم القيامة، الثرثارون والمُتشدقون والمُتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارونَ والمُتشدقون، فما المُتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[(٢)].

وعن أبى الدرداء ﷺ: أن النبى ﷺ قال: «ما من شىء أثقلُ فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلُقِ. وإنَّ الله يُبغضُ الفاحش البذىَّ»[(٣)].

«البذىُّ»: هو الذى يتكلَّم بالفُحش، وردىء الكلام.

وعن أبى هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسنُ الخُلُق» وسُئل عن أكثر ما يُدخلُ الناس النار فقال: «الفمُ والفرج»[(٤)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خُلقًا، وخيارُكُم خياركُم لنسائهم»[(٥)].

---

(١) حسن رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣) من حديث أبى أمامة ﷺ.

(٢) حسن رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٩١) من حديث جابر ﷺ.

(٣) صحيح رواه الترمذى (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٢) من حديث أبى الدرداء ﷺ.

(٤) حسن رواه الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧) من حديث أنس ﷺ.

(٥) صحيح رواه الترمذى (١١٦٢) كتاب الرضاع، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٣٢) من حديث أبى هريرة ﷺ.

وعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ المؤمن ليُدركُ بحُسنِ خُلُقِه درجةَ الصائم القائم»(١).

الحب في الله.... وغرف الجنة

قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠]. **وقال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾

[الحشر: ١٠].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: قال النبي ﷺ: **«إن المتحابين لترى غُرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء فيقال: المتحابون في الله عز وجل»**(٢).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(٣).

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»(٤).

بيت في الجنة لمن ترك المراء والكذب

قال ﷺ: «أنا زعيم بيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وبيت في وسط الجنةلمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»(٥).

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (٥٠٨٢) من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٧، رقم ١١٨٤٧) قال الهيثمي (١٠/ ٤٢٢): رجاله رجال الصحيح.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة ﵁.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٥٧٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٢) من حديث معاذ ﵁.

(٥) **حسن**: وقد تقدم.

غرف فى الجنة... لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»[1].

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»[2].

قصر الريَّان للصائمين

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «إن فى الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[3].

فتدبر يا أخى..

مسمى الباب: «الريان» من الرى، والرى ضد الظمأ، مسمى الباب يبعث على الرى، وأول الغيث قطرة، إن ذكر الماء فى الصحراء؛ يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل..؟!.

رى الدنيا عطش، والرى رى الآخرة، والجزاء من جنس العمل.

من صام عن شهوته فى الدنيا، أدركها غدًا فى الجنة، ومن صام عما سوى الله، فعيده يوم لقائه.. ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥].

---

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وقد صُمتُ عن لذاتِ دهرىَ كلها　　ويوم لقاكمْ ذاك فطر صيامى

بالله، انظر كيف يكون الجزاء من جنس العمل.. صورة حسية تُشاهد وتُعاين: **«الصيام والقرآن يشفعانِ للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعنى فيه، يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه، فيشفعان»**[1].

فطوبى..

لمن جوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر..

طوبى..

لمن أظمأ نفسه، ليوم الرِّىّ الكامل..

طوبى..

لمن ترك شهوات حياة عاجلة لموعد غيب لم يره..

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرِّىّ الكامل.

بيت فى الجنة... لمن بنى مسجدًا لله...

قال ﷺ: «من بنى مسجدًا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة»[2].

وقال ﷺ: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاةٍ أو أصغر بنى الله له بيتًا فى الجنة»[3].

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال لا تبخل وابن لله مسجدًا لتنال الأجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة، وذلك بأن الله يجعل صلاة من يصلى فى هذا المسجد فى ميزان حسناتك بل ويكرمك بأن يبنى لك بيتًا فى الجنة... ألا تريد بيتًا فى الجنة؟!.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤، رقم ٦٦٢٦)، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٣/ ١٨١) قال الهيثمى رجال الطبرانى رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع السجود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٣٨) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١).

يا هذا.... بيوت الدنيا من طين وحجر وتراب، ومدَر وحديد وخشب، وجريد وقصب، إن لم يُكنس كثرت فيه القمامة، وإن لم يسرج فما أشد ظلامه، وإن لم يتعاهد بالبناء فما أسرع انهدامه، وإن تعاهدته فمآله إلى الخراب، وعن قريب يصير كالتراب، يتفرق عنه السكان، وتنتقل عنه القطان، يعفو أثره، ويندرس خبره، يمحى رسمه، وينسى اسمه.

فأين أنت.. من دار باقية، قصورها عالية، أنهارها جارية، قطوفها دانية، أفراحها متوالية، لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، لا تعب فيها كلا ولا نصب، وملاطها المسك الأذفر.. فهل سمعت عن ملاط من مسك؟! وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر.

فمن بنى لله بيتًا.. بنى الله له بيتًا فى الجنة والجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾

[الفرقان: ٧٥]

اليوم يحضر العبد بيته لأداء العبادة، وينقل أقدامه إلى المساجد، وغدًا يجازيهم بأن يكفيهم قطع المسافة، فهم فى مستقر عزهم يسمعون كلام الله، وينظرون إلى الله.

بيت فى الجنة... باثنتى عشْرة ركعة كل يوم

قال ﷺ: «من ثابر على اثنتى عشرة ركعة من السُنة بنى الله له بيتًا فى الجنة أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»(١) .

وقال ﷺ: «ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا فى الجنة» أو «بنى له بيت فى الجنة»(٢) .

صلاة الضحى وبيت فى الجنة

قال ﷺ: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهىٌ عن

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٩٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٨٥٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٢٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى»[(١)].

وقال ﷺ: «من صلى الضُحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا بُنى له بيت فى الجنة»[(٢)].

بيت فى الجنة... لمن سد فرجة فى الصف

قال ﷺ: «من سدَّ فُرجةً بنى الله له بيتًا فى الجنة ورفعه بها درجةً»[(٣)].

منزل فى الجنة... لمن عاد مريضًا

قال ﷺ: «من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا»[(٤)].

وقال ﷺ: «إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع»[(٥)].

بيت فى الجنة بدعاء السوق

قال ﷺ: «من دخل السُوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حيٌ لا يموت بيده الخيرُ، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا فى الجنة»[(٦)].

وذلك لأن الغالب على أهل الأسواق أنهم فى غفلة شديدة عن ذكر الله.. بل ومنهم من يحلف بالله كاذبًا من أجل أن يبيع سلعته. فإذا جاء المسلم ودخل السوق وذكر الله جل وعلا بين أهل الغفلة فإن الله يُجزل له الأجر والمثوبة.

وهذا كله كشأن المؤمن فى أيام الفتن والهرج عندما يتمسك بدينه فإن الله يعطيه أجر خمسين شهيدًا ـ كما جاء فى الحديث الصحيح ـ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) **حسن**: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٨). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٨٨، رقم: ٤٧٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٤٠) من حديث أبى موسى رضي الله عنه.

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه المحاملى فى «الأمالى» (ق ٣٦ / ٢)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٩٢).

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذى (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٧٤).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة والآداب من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٦) **حسن**: رواه الترمذى (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

بيت الحمد في جنة الرحمن جل وعلا

عن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ ولدُ العبدِ قال اللهُ تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرةَ فؤادِهِ؟ فيقولونَ: نعم، فيقولُ: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيتَ الحمدِ»[(١)].

حمدك واسترجع: أي قال: الحمد لله وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قال تعالى عن هذا الصنف الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وهذه والله ثمرة من ثمرات الرضا بقضاء الله جل وعلا.

أهل الجنة لا ينامون

قال ﷺ: «النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة»[(٢)].

وهذا من كمال رحمة الله لأن الجنة دار النعيم... والنوم يُفوِّت على أهل الجنة بعض هذا النعيم فكان من رحمة الله جل وعلا أن جعل أهل الجنة في نعيم دائم لا يفوتهم منه شيء.. بل إنهم ينتقلون من لذة إلى لذة أعلى ومن نعيم إلى نعيم أكبر.... فنسأل الله تعالى من فضله.

خدم أهل الجنة

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨)﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨]. **وقال تعالى:** ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

---

(١) **حسن:** رواه الترمذي (١٠٢١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥).

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٤٢ رقم ٨٨١٦)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٧).

وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة إنشاءً؟ على قولين: قال على بن أبى طالب والحسن البصرى: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها.

ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين، فجعلهم الله خدمًا لأهل الجنة.

وأصحاب القول الأول لا يقولون: إن هؤلاء أولاد وُلدوا لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله فى الجنة كما أنشأ الحور العين.

قال الإمام ابن القيم: والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدمًا لهم وغلمانًا، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانًا لهم.

وأين أطفال المؤمنين

وإن كان النبى ﷺ قد أخبر بأن أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة فيا تُرى ما هو حال أطفال المؤمنين؟.

قال ﷺ: «أطفال المؤمنين فى جبلٍ من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردَّهم إلى آبائهم يوم القيامة»[1].

أى حتى يجمع الله بينهم وبين آبائهم فى الجنة لتكتمل فرحتهم وسعادتهم فى جنة الرحمن جل وعلا... قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الطور: ٢١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقرّ بهم عينه»** ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ **قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين»** - الأبناء-[2].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٦، رقم ٨٣٠٧)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٢) صحيح: أخرجه الديلمى (٢/ ٢٤٥، رقم ٣١٥٥). وأخرجه أيضًا: البزار كما فى كشف الأستار=

نساء أهل الجنة

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

والأزواج: جمع زوج، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها، وهذا هو الأصح، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهر أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥١- ٥٦].

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

وقال مقاتل: حور العِين: حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول، وضيق العين فى المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع: فمها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع: عينها وكاهلها - وهو ما بين كتفيها - وجبهتها، ويستحب البياض منها فى أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨].

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان، وشبههن فى

=(٣/ ٧٠، رقم ٢٢٦٠)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٤٩٠).

صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله: أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حُلة من حرير، فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾. ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٦- ٥٨].

وصفهن سبحانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع: أحدها هذا.

والثانى: قوله تعالى: فى الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الصافات:٤٨].

والثالث: قوله تعالى فى سورة (ص): ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص:٥٢].

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.

وعن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.

وأما الأتراب فجمع ترب

قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحدة وميلًا واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٣].

فالكواعب: جمع كاعب وهى الناهد.

وأصل اللفظة من الاستدارة. والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «الروحة فى سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم فى الجنة أو موضع قيد ـ يعنى سوطه ـ خير من الدنيا وما فيها. ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحًا. ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(١).

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان (١٦/ ٤١١ رقم: ٧٣٩٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناد صحيح على=

وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء. يعني في الجنة»[(١)].

وقال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليُعطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ (٣٥) فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتۡرَابٗا (٣٧) لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥- ٣٨].

قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقًا جديدًا، وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات، وقال الكلبي ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط، يقول تعالى: خلقناهن بعد الكبر والهرم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكبٍ دُرِيٍ في السماء، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخَّ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزبُ»[(٣)].

أفضل نساء أهل الجنة

قال ﷺ: «أفضل نساء أهلِ الجنة خديجة بنتُ خُويلدٍ، وفاطمة بنتُ محمدٍ، ومريم بنتُ عِمرانَ، وآسيةُ بنتُ مُزاحمٍ، امرأةُ فرعون»[(٤)].

=شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٤).

(١) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٦٩ /) والضياء في «صفة الجنة» (٨٢ / ٢)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٦٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧، رقم ١٩٢٨٨)، وهناد (١/ ٧٣، رقم ٦٣)، وعبد بن حميد (ص ١١٣، رقم ٢٦٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٧٩) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣١٦، رقم ٢٩٠٣)، والطبراني (١١/ ٣٣٦، رقم ١١٩٢٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٩، رقم ٣٨٣٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ويالها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل.

غناء الحور العين

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الروم: ١٤، ١٥].

عن يحيى بن أبى كثير فى قوله عز وجل: ﴿فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ قال الحبرة: اللذة والسماع.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الحور العين ليغنين فى الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، خُبئنا لأزواج كرام**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط... إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقُرة أعيان، وإن مما يغنين به نحن الخالدات فلا يمتنه نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه**»(٢).

الحور العين تطلبك من الله ـ عز وجل ـ

قال ﷺ: «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»(٣).

ـ والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله عز وجل بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذى أخبر عنه الحق جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ

---

(١) صحيح: أخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (٧/ ٣٢، رقم ٣٣٩٨٨)، والبخارى فى التاريخ الكبير (٧/ ١٦)، والطبرانى فى الأوسط (٦/ ٣١٢، رقم ٦٤٩٧) قال الهيثمى (١٠/ ٤١٩): رجاله وثقوا، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٨٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الصغير (٢/ ٣٥، رقم ٧٣٤)، وفى الأوسط (٥/ ١٤٩، رقم ٤٩١٧). قال الهيثمى (١٠/ ٤١٩): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٦١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٤) كتاب الرضاع، وابن ماجه (٢٠١٤) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٩٢) من حديث معاذ رضي الله عنه.

ﱡﭐ ﭐ﴿ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].. فالنُّزُل هو ما أُعد للضيف.

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ثم يكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته فى الجنة... والله أعلم.

فلا تعلم نفسٌ ما أُخفى لهم من قرة أعين

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1]. مصداق ذلك فى كتاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

يا ولى الله! أما لنا فيك من دولة؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك أن ولى الله فى الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام، وهو قول الله عز وجل ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة:٣٤] قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشًا حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنها من استبرق، ولو دلّى أعلاها فراشًا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا.

وعلى السرير أريكة وهى الحَجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون سترًا من نور، وذلك قوله عز وجل: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦] يعنى ظلال الأشجار، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ يعنى الأسرّة فى الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامًا، فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتى قال

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

الله فيهن: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] قال: فيطير سريره، أو قال كرسى من ذهب له جناحان، فإذا رآها فهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نورًا ساطعًا فى داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أمَلَك كريم زارنا؟ أم ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عامًا، والملك فى حجبته فى الملائكة: لم يزرك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل، فيقول: ما هذا النور؟.

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية وهى معك فى الجنة، وإنها اطلعت عليك ورأتك معانقًا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] قال: فيطير سريره إليها، فإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور؛ لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهى إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة؛ لأن أولئك أُنبتن نباتًا، فيعانق هذه مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من ياقوت، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صوت صفير كل طير فى الجنة، فإذا مس كفها كان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حُلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خُلقت من نور، والحلل عليها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرقّ من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

طوبى لك يا لعبة !!!

ذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «إن فى الجنة حوراء يقال

لها اللعبة، كل حور الجنات يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدّوا فى طلبك... بين عينيها مكتوب: مَن كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى».

الأخت المسلمة أجمل من الحور العين

وعلى الرغم من كل ما ذُكر عن جمال الحور العين، إلا أن الأخت المؤمنة الصابرة على طاعة الله جل وعلا، وعلى طاعة زوجها المؤمن... يكون جمالها فى الجنة أفضل من جمال الحور العين سبعين ضعفًا؛ لأنها هى التى صلت وصامت وتحملت أعباء الدعوة وتكاليف الإيمان.

فإن كنت أيتها الأخت المؤمنة تريدين أن تكونى جميلة مثل فلانة من الفنانات أو غيرهن فاعلمى أنك ستكونين فى الجنة أجمل من أجمل حوراء فى جنة الرحمن جل وعلا، بشرط أن تصبرى حتى تلقى الله على الطاعة والإيمان... وأنت الآن والله ـ بحجابك وإيمانك وحيائك ـ أجمل من أجمل امرأة، فاصبرى يا أختاه حتى تلقى رسول الله ﷺ على الحوض وحتى تنظرى إلى وجه الله جل وعلا.

سيدا شباب أهل الجنة

قال ﷺ: «أتانى جبريل فبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1].

لقد كان النبى ﷺ يحبهما حبًا جمًا ويقول: **«هما ريحانتاى من الدنيا»**[2].

وعن أبى هريرة الدوسى رضي الله عنه قال: خرج النبى ﷺ فى طائفة النهار لا يُكلمنى ولا أُكلمُه حتى أتى سوق بنى قينُقاع فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: أثَمَّ لُكعُ، أثم لُكعُ؟ فَحَبَسَتَهُ شيئًا فظننت أنها تُلبِسهُ سخابًا أو تُغسله فجاء يشتدُّ حتى عانقهُ وقبلهُ وقال: **«اللهم أحبَّه وأحِبَّ من يُحبُّهُ»**[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن سعد (١/ ٢٦٥ رقم ٢٠٤)، والحاكم (٣/ ٤٢٩، رقم ٥٦٣٠)، وصححه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٧٥٣) كتاب المناقب من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢١٢٢) كتاب البيوع، ومسلم (٢٤٢١) كتاب فضائل الصحابة من حديث=

فاللهم إنا نُشهدك أننا نحبه فأحبنا يارب العالمين.

وعن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُصلى فإذا سَجدَ وثَبَ الحسنُ والحسينُ على ظهرِهِ فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دَعُوهُما فإذا قضى الصلاة وضعهُما فى حجره قال: **«من أحبنى فليُحب هَذْين»**[1].

وعن أبى بكرة ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ على المنبر والحسنُ إلى جنْبِه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: **«ابنى هذا سيدٌ، ولعل الله أن يُصلِحَ به بين فئتين من المسلمين»**[2].

وعن عقبة بن الحارث قال: «رأيت أبا بكر ﷺ وحَمَلَ الحسن وهو يقول: بأبى شبيهٌ بالنبى، ليس شبيهٌ بعلى... وعلىٌ يضحك»[3].

سوق الجنة

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن فى الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا»**[4].

نداءات يسمعها أهل الجنة

وها هى جملة من النداءات التى يسمعها أهل الجنة.

عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **«ينادى مناد: إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا**

=أبى هريرة ﷺ.

(١) **حسن:** أخرجه ابن عساكر (١٣/ ٢٠٠)، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣١٢) من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٢٧٠٤) كتاب الصلح من حديث أبى بكرة ﷺ.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٣٥٤٢) كتاب المناقب من حديث عقبة بن الحارث ﷺ.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث أنس ﷺ.

أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبـدًا»... فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣] [١].

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النـار النـار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا، يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجنا من النار؟ فيكـشف الحجـاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله ـ تبـارك وتعـالى ـ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسـعديك، فيقـول: هـل رضـيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقـك، فيقـول: ألا أعطيكـم أفضل من ذلك، قالوا: يارب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكـم رضـواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٣].

تربة الجنة

قال ﷺ: «أرض الجنة خبزة بيضاء»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤهـا قـال: «لبنـة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحـصباؤها اللؤلـؤ واليـاقوت وترابهـا الزعفـران مـن يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه..» الحديث[٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم () كتـاب الجنـة وصـفة نعيمهـا وأهلهـا مـن حـديث أبـي سـعيد الخـدري وأبـي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٣، رقم ١٨٩٦١)، وابـن ماجـه (١/ ٦٧، رقـم ١٨٧)، وابـن خزيمـة في التوحيـد (ص ١٨١)، وابـن حبـان (١٦/ ٤٧١، رقـم ٧٤٤١). وأخرجـه أيـضًا: النـسائي في الكـبرى (٦/ ٣٦١، رقم ١١٢٣٤)، وصححه العلامة الألباني كما في شرح الطحاوية (٢٠٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥١٨) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلهـا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) صحيح: أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٩٩، رقم ٥٩٧)، وصححه العلامة الألبـاني في صـحيح الجامع (٨٩٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) حسن لغيره: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وحسنه العلامة الألباني في صـحيح الترغيـب والترهيـب (٣٧١١)=

وعن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «.... ثم أُدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[1] . وهو قطعة من حديث المعراج.

فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران. ويحتمل معنيين آخرين.

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران، فإذا عُجن بالماء صار مسكًا، والطين يسمى ترابًا.

المعنى الثاني: أن يكون زعفرانًا باعتبار اللون مسكًا باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك.

أنهار الجنة وعيونها ومجراها

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦].

قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾، عن سعيد قال: «نضاختان بالماء والفواكه». وعن أنس قال: «نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا». وعن البراء قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين، **وقال تعالى:** ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض

=من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٤٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٣) كتاب الإيمان من حديث أنس ﷺ.

له فى الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها. وآفة العسل عدم تصفيته.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم. والله أعلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رفعت إلى سدرة المنتهى منتهاها فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فالنيل والفرات وأما الباطنان فنهران فى الجنة وأوتيت بثلاثة أقداح قدح فيه لبن وقدح فيه عسل وقدح فيه خمر فأخذت الذى فيه اللبن فشربت فقيل لى أصبت الفطرة أنت وأمتك»[1].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة»**[2].

وأما العيون فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وقال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم.

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨].

فأخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفًا وأن شراب الأبرار يُمزج منها؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٥/ ٢١٢٨، رقم ٥٢٨٧)، والحاكم (١/ ١٥٤، رقم ٢٧١) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥١٦).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٤/ ٢١٨٣، رقم ٢٨٣٩).

﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين؟ بالكافور فى أول السورة، والزنجبيل فى آخرها، فإن فى الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين. ومجىء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة، والزنجبيل فى آخرها، فإن شرابهم مُزج أولًا بالكافور. وفيه من البرد ما يجىء الزنجبيل بعده فيعدله.

قال ﷺ: **«الشهداء على بارق نهرٍ بباب الجنة فى قُبةٍ خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكرة وعشيًا»**[(١)].

وعن سماك: أنه لقى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالمدينة بعدما كف بصره، فقال: يا ابن عباس! ما أرض الجنة؟ قال: مرمة بيضاء من فضة كأنها مرآة قلت: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التى يكون فيها طلوع الشمس؛ فذلك نورها؛ إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير. قلت: فما أنهارها؟ فى أخدود؟ قال: لا، ولكنها تجرى على أرض الجنة، مستكنة، لا تفيض ها هنا ولا ها هنا، قال الله لها: كونى! فكانت...».

من أنهار الجنة

قال ﷺ: **«سَيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة»**[(٢)].

وقال ﷺ: **«فُجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل وسَيحان وجيحان»**[(٣)].

أشجار الجنة وبساتينها

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٣٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٦٦، رقم ٢٣٩٠) قال الهيثمى (٥/ ٢٩٤): رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٤٢).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) حسن: رواه أحمد (٢/ ٢٦٠، رقم ٧٥٣٥)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤١٩٦).

والمخضود: الذى قد خضد شوكه أى نُزع وقطع، فلا شوك فيه هذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٦- ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرحمن: ٦٢- ٦٤].

وعن ابن عباس ﷺ قال: «**نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكرفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيها عجم**».

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ: «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها**»[1].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[2].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾**»[3].

وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾.

وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٨، رقم ٦١٨٦)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦، رقم ٢٨٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٤/ ٦٧١، رقم ٢٥٢٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣/ ١١٨٥، رقم ٣٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤، رقم ٢٨٢٤).

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ [الدخان: ٥٥]. وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾ [الزخرف: ٧٢، ٧٣].

وقال: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣]. أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء،.... قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم. وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباس: إذا همّ أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

وأما قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾، قال الحسن: خيار كله لا رذل. ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه، وأن ذلك ليس فيه رذل؟

وقال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه. كما كانوا في الدنيا... التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان. قالوا في الجنة: هذا الذي رُزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا يعرفونه. وليس هو مثله في الطعم.

قال ﷺ: «ليس في الجنة شيءٌ مما في الدنيا إلا الأسماء»[1].

ريح الجنة

قال ﷺ: «من قتل رجلًا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»[2].

ونحن نعلم جميعًا كيف كان بعض أصحاب الرسول ﷺ يجدون ريح الجنة وهم

---

(١) صحيح: رواه الضياء (١٠/ ١٦، رقم ٦). وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٤١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٣٧، رقم ١٠٠٩٧)، ، لنسائي (٨/ ٢٥، رقم ٤٧٤٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤١

فى أرض الشرف والجهاد.

فها هو أنس بن النضر رضي الله عنه يقول لسعد بن معاذ رضي الله عنه: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إنى أجد ريحها من دون أُحد.

ـ بل وهذا سعد بن الربيع رضي الله عنه يقول لزيد بن ثابت رضي الله عنه لما أرسله إليه النبى ﷺ بعد غزوة أُحد فوجده فى الرمق الأخير فقال له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرنى كيف تجدك؟» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته.

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قُربٍ ومن بُعد، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول. والله أعلم.

درجات الجنة

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) ﴾ [آل عمران: ١٦٢، ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ [طه: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ



﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

عن ابن محيريز قال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا، درجات منه قال: هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عامًا».

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولًا بدرجة. ثم أوقعه ثانيًا بدرجات، فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد.... والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد...

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[1].

الأعمال التى ترفع المؤمن فى درجات الجنة

إن للمؤمن همة عالية تجعله يتطلع دائمًا إلى الأفضل والأحسن، فبينما تجد أن الكثير من المؤمنين لا يريدون إلا النجاة من النار ودخول الجنان.. إلا أن هناك صنف همته عالية، فهو يتطلع دائمًا إلى أعلى درجات الجنة.

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأعمال التى ترفع المؤمن فى أعلى درجات الجنة.

١- الجهاد فى سبيل الله:

قال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة»[2].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًا، وجبت له الجنة»، فعجب لها أبو سعيدٍ، فقال: أعدها علىّ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣/ ١١٨٨، رقم ٣٠٨٣)، ومسلم (٤/ ٢١٧٧، رقم ٢٨٣١).
(٢) صحيح: رواه البخارى (٣/ ١٠٢٨، رقم ٢٦٣٧)

يا رسول الله ففعل، ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هى يا رسول الله؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله»[١] .

وعن أبى نجيح السلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ بسهم فى سبيل الله فهو له درجةٌ فى الجنة»[٢] فبلغت يومئذ ستة عشر سهمًا.

٢- التواضع لله جل وعلا:

قال ﷺ: «... وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[٣] .

٣- قراءة القرآن وحفظه:

وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل، كما كنت تُرتِّل فى دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»[٤] .

٤- إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة:

قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ . قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[٥] .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخطُ خطوةً إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وتصلى الملائكة عليه ما دام فى مجلسه الذى يُصلى فيه. يقولون: اللهم اغفر له. اللهم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٥٠١، رقم ١٨٨٤).

(٢) روه الطيالسى (ص ١٥٧، رقم ١١٥٤)، وابن حبان (١٠/ ٤٧٥، رقم ٤٦١٥)، والنسائى (٦/ ٢٦، رقم ٣١٤٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٢٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢٠٠١، رقم ٢٥٨٨)

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٩٢، رقم ٦٧٩٩)، وأبو داود (٢/ ٧٣، رقم ١٤٦٤)، والترمذى (٥/ ١٧٧، رقم ٢٩١٤) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢١٩، رقم ٢٥١).

ارحمه. اللهم تُب عليه ما لم يُؤذ فيه أو يُحدث فيه»[١].

٥- من وصل الصفوف في الصلاة.... وسد فرجة:

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ومن سدَّ فُرجة رفعه الله بها درجة»[٢].

٦- ذكر الله:

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق - الفضة - وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله»[٣].

٧- الصبر على البلاء:

قال ﷺ: «ما من مسلمٍ يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة»[٤].

٨- طلب العلم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٩- من شاب شيبة في الإسلام:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم. ما من مسلم يشيب شيبةً في الإسلام إلا كُتب له بها حسنة ورُفع بها درجة أو حُط عنه بها خطيئة»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١/ ١٨١، رقم ٤٦٥)، ومسلم (١/ ٤٥٩، رقم ٦٤٩)

(٢) حسن: رواه أحمد (٦/ ٨٩ رقم: ٢٤٦٣١)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٩٥، رقم ٢١٧٥٠)، قال المنذري (٢/ ٢٥٤)، والهيثمي (١٠/ ٧٣): إسناده حسن. والترمذي (٥/ ٤٥٩، رقم ٣٣٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٥، رقم ٣٧٩٠)، والحاكم (١/ ٦٧٣، رقم ١٨٢٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٩٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٩١، رقم ٢٥٧٢).

(٥) صحيح لغيره: رواه أبو داود (٤/ ٨٥، رقم ٤٢٠٢)، والخطيب (٤/ ٥٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٩١).

١٠- كثرة الطواف حول الكعبة:

قال ﷺ: « من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لا يضع قدما و لا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة و كتب له بها حسنة »[1].

أسبوعًا: أى سبعة أشواط.

١١- كثرة السجود لله:

قال ﷺ: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ بها عنك خطيئة»[2].

١٢- حسن الخلق:

قال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»[3].

وقال ﷺ: «إن المسلم المسدَّد ليدرك درجة الصوّام القوام بآيات الله بُحسن خُلقه وكرم ضريبته»[4].

١٣- من قال دعاء السوق:

قال ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنةٍ ومحا عنه ألف ألف سيئةٍ، ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتًا فى الجنة»[5].

١٤- استغفار الولد لأبيه:

١٥- محبة النبى ﷺ وأصحابه ﷺ [فالمرء مع من أحب]:

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣/ ٢٩٢، رقم ٩٥٩) وقال: حسن، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٢٠.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١/ ٣٥٣، رقم ٤٨٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤/ ٢٥٢، رقم ٤٧٩٨)، وابن حبان (٢/ ٢٢٨، رقم ٤٨٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٤) صحيح: أحمد (٢/ ١٧٧، رقم ٦٦٤٨) انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألبانى (٥٢٢).

(٥) حسن: رواه الطيالسى (ص ٤، رقم ١٢)، وأحمد (١/ ٤٧، رقم ٣٢٧)، والدارمى (٢/ ٣٧٩، رقم ٢٦٩٢)، والترمذى (٥/ ٤٩١ رقم ٣٤٢٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة»؟ قال: حُبَّ الله ورسوله. قال: «فإنك مع من أحببت». قال أنسٌ: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبى ﷺ: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم».

ونحن نُشهدك يارب أننا نحبك حبًّا يليق بجلالك وكمالك، ونحب رسولك ﷺ، ونحب الصحابة - رضي الله عنهم - ونحب الصالحين فى كل زمان ومكان، ونسألك أن تحشرنا يوم القيامة فى زمرة المتقين. وإن لم نعمل بأعمالهم.

أعلى درجة فى الجنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ، فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له شفاعتى**»[1].

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به. وأشدهم له خشية، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهى أعلى درجة فى الجنة، وأمر النبى ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زُلفى من الله وزيادة الإيمان.

وأيضًا، فإن الله سبحانه قدَّرها له بأسباب، منها: دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه.

إذا مات العبد بغير مولده

قال ﷺ «**إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره فى الجنة**»[2].

---

(١) صحيح: رواه ومسلم (١/ ٢٨٨، رقم ٣٨٤).

(٢) حسن: رواه النسائى (٤/ ٧، رقم ١٨٣٢)، وابن ماجه (١/ ٥١٥، رقم ١٦١٤)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٦).

ولكن هذا لا يكون إلا لمن حقق التوحيد والعبودية لله -جل وعلا-... فلا يكون هذا لرجل يهودٍ أو مجوسٍّ أو غير ذلك من أصحاب الملل الكافرة وإنما هذا الفضل للموحدين.

الذين رآهم النبى ﷺ وسمع أصواتهم فى الجنة.

قال ﷺ: «دخلتُ الجنَّة البارِحةَ فنظَرتُ فيها، فإذا جَعفرٌ يطيرُ مع الملائِكةِ، وإذا حمزةُ مُتكِيءٌ على سرير»[(١)].

وقال ﷺ: «دخلتُ الجنَّة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لِشابٍّ من قُريش، فظننتُ أنى أنا هو، فقُلتُ: ومَنْ هو؟ قالوا: عمرُ بنُ الخطابِ، فلولا ما علِمتُ من غيرتكَ لدَخلتهُ»[(٢)].

وقال ﷺ: «دخلتُ الجنَّة، فاستقبلتنى جاريةٌ شابَّةٌ، فقلتُ: لمنْ أنت؟ قالتْ: لزيد بن حارثة»[(٣)].

وقال ﷺ: «دخلتُ الجنَّة، فرأيتُ لزيد بن عمرو بن نُفَيلٍ درجتين»[(٤)].

وقال ﷺ: «دخلتُ الجنَّة، فسمعتُ خشفةً بين يدى، فقلتُ: ما هذه الخشفةُ؟ فقيل: الرميصاء بنتُ مِلحان»[(٥)].

وقال ﷺ: «دخلتُ الجنَّة، فسِمعتُ خَشفةً بينَ يدى، قلتُ: ما هذِهِ الخشفةُ؟ فقيلَ: هذا بِلالٌ يمشى أمامك»[(٦)].

وقال ﷺ: «دخلت الجنَّة فسمعت فيها قراءةً فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن

---

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى (٢/ ١٠٧، رقم ١٤٦٦)، والحاكم (٣/ ٢١٧، رقم ٤٨٩٠) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٦/ ٢٥٧٧، رقم ٦٦٢١)، ومسلم (٤/ ١٨٦٢، رقم ٢٣٩٤).

(٣) **صحيح**: رواه ابن عساكر (١٩/ ٣٧١)، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (١/ ١٩٨، رقم ٢٥٦)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦٦).

(٤) **حسن**: رواه: ابن عساكر (١٩/ ٥١٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٦).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٤/ ١٩٠٨، رقم ٢٤٥٦).

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٩، رقم ٢٢٢٨٦)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ١٩٩، رقم ٧٨٠٩)، وفى الأوسط (٦/ ١٨٨، رقم ٦١٥٠). وأخرجه أيضًا: فى الصغير (٢/ ١٤٦، رقم ٩٣٧). قال الهيثمى (٩/ ٢٩٩): رجال الصغير ثقات، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦٩).



النعمان. قلت: كذلكم البر كذلكم البر»[(١)].

أدنى أهل الجنة منزلة

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك فيقول رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»[(٢)].

وقال ﷺ: «إن أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلًا رجلٌ صرفَ اللهُ وجههُ عنِ النارِ قِبلَ الجَنَّةِ، ومَثَّلَ لهُ شجرةً ذاتَ ظِلٍ، فقالَ: أي ربِّ قدِّمني إلى هذه الشجرةِ فأكونَ في ظِلِّها، فقال اللهُ: هلْ عسيْتَ أنْ تسألني غيرَهُ؟ قالَ: لا وعزَّتِكَ، فقدمهُ الله إليْها، ومَثَّلَ لهُ شجرةً ذاتَ ظِلٍ وثمرٍ، فقالَ: أي ربِّ قدمني إلى هذه الشجرة فأكونَ في ظلِّها، وآكل منَ ثمرِها، فقالَ الله: هلْ عسيْتَ إن أعطيتُكَ ذلك أن تسألني غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزتِكَ، فيقدمُهُ الله إليْها، فيمثل اللهُ لهُ شجرةً أخرَى ذات ظِلٍ وثمرٍ وماءٍ، فيقولُ: أي ربِّ قدمني إلى هذهِ الشجرةِ فأكونَ في ظِلِّها، وآكلَ منْ ثمرِها، وأشربَ منْ مائِها، فيقولُ لهُ: هلْ عسيْتَ إنْ فعلتُ أنْ تسألني غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزَّتك لا أسألكَ غيرهُ، فيقدمهُ الله إليْها، فيبرز لهُ بابُ الجنَّةِ، فيقولُ: أيْ ربِّ قدمني إلى بابِ الجنةِ فأكونُ تحتَ سِجافِ الجنة فأرى أهلَها، فيقدِّمهُ الله إليها فيرىَ الجنَّةَ وما فيها، فيقولُ: أيْ ربِّ أدخلني الجنَّةَ، فيدخلُ الجنَّةَ، فإذا دخل الجنَّةَ قالَ: هذا لي؟ فيقولُ الله لهُ تمنَّ: فيتمنَّى، ويذكرهُ الله عزَّ وجلَّ سل مِنْ كذا وكذا حتَّى إذا

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى (٥/ ٦٥، رقم ٨٢٣٣)، وأحمد (٦/ ٣٦، رقم ٢٤١٢٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٦، رقم ١٩٥٩)، والحاكم (٣/ ٢٢٩، رقم ٤٩٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ١٧٦، رقم ١٨٩).

انقطعت بِهِ الأماني، قالَ الله: هوَ لك وعشرةُ أمثالِهِ، ثمَّ يُدخلهُ الله الجنةَ، فيدخلُ عليه زوجتاهُ منَ الحور العين؛ فيقولان: الحمدُ لله الذي أحياكَ لنا، وأحيانا لكَ. فيقولُ: ما أُعطِيَ أحدٌ مثلَ ما أعطيتُ. وأدنى أهل النارِ عذابًا يُنعلُ من نار بنعلينِ يغلي دماغُه من حرارةِ نعليه»[1].

آخر من يدخل الجنة

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي [أو أتضحك بي] وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها،

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ١٧٥، رقم ١٨٨).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصرينى منك؟ - والمعنى أى شيء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقول: إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر».

وفى رواية: «.. ويبقى رجلُ بين الجنَّة والنَّار[وهو آخر أهل النَّار دخولًا الجنَّة] ، مقبل بوجهه قِبَلَ النَّار، فيقول: يا ربِّ! اصرف وجهى عن النَّار؛ فقد قشبنى ريحها، وأحرقنى ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن أفعل أن لا تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النَّار، فإذا أقبل به على الجنَّة؛ رأى بهجتها؛ سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: ياربِّ! قدِّمنى عند باب الجنَّة. فيقول الله: أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى سألت؟ فيقول: ياربِّ! لا أكونُ أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيتك ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول: لا؛ وعزَّتك لا أسأل غير هذا. فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدِّمه إلى باب الجنَّة، فإذا بلغ بابها؛ رأى زهرتها وما فيها من النَّضرة والسُّرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: ياربِّ! أدخلنى الجنة. فيقول الله: ويحك ابن آدم! ما أغدرك! ألست قد أعطيتنى العهود ألا تسأل غير الذى أُعطيت؟ فيقول: ياربِّ! لا تجعلنى أشقى خلقك. فيضحك الله منه، ثم يأذن له فى دخول الجنَّة، فيقول: تمنَّ، فيتمنَّى، حتى إذا انقطعت أمنيَّته؛ قال الله: تمنَّ كذا وكذا [يذَكِّرهُ ربُّه]، حتى إذا انقطعت به الأمانى؛ قال الله: لك ذلك ومثله معه، وذلك الرَّجل آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة»[1] .

(١) صحيح: وقد تقدم.

ولمن خاف مقام ربه جنتان

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾ [الرحمن: ٤٦- ٥٣].

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره... يقول الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بين يدى الله عز وجل يوم القيامة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله واجتنب محارمَه فله يوم القيامة عند ربه جنتان.

وعن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن»[1].

وهذه الآية عامة فى الإنس والجن فهى من أدلِّ الدليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء. فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ ثم نعت هاتين الجنتين فقال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أى أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أى تسرحان لسقى تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أى من جميع أنواع الثمار ممّا يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال ابن عباس: ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء يعنى أن بين ذلك بونًا عظيمًا وفرقًا بينًا فى التفاضل.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦/ ٢٧١٠، رقم ٧٠٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣، رقم ١٨٠).

الجنة دار الخلد

قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨].

وقد تقدم قول النبي ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[١]

وقوله: «ينادى مناد: إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدًا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا. وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا. وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣][٢].

وعن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا[٣].......

وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة

وها هي أعظم لذة لأهل الجنة فى الجنة...ألا وهى لذة النظر إلى وجه الله -عز وجل-.

ولذلك كان النبى ﷺ يدعو دائمًا بهذا الدعاء: «... وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة...»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٤٥، رقم ٩٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٨٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٨٢، رقم ٢٨٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤/ ١٧٦٠، رقم ٤٤٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨، رقم ٢٨٤٩).

(٤) صحيح: رواه وأحمد (٤/ ٢٦٤، رقم ١٨٣٥١)، والنسائى (٣/ ٥٤، رقم ١٣٠٥)، والحاكم (١/ ٧٠٥، رقم ١٩٢٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك»[١]....

عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا».

وفي رواية: قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ قوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩][٢].

وعن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»، ثم تلا هذه الآية ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦][٣].

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٤].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكًا يوم القيامة»[٥].

وأما حديث عدي بن حاتم ـ وفيه قال ﷺ: «... وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له...»[٦].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١/ ٦٧٤ رقم: ٥٥٤)، ومسلم (١/ ٤٣٩ رقم: ٢١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/ ١٦٣، رقم ١٨١).

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه الدارقطني في الصفات (١/ ٢٩، رقم ٣٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٨٠١٨).

(٦) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٥١٢، رقم ١٣٤٧).



وأما حديث أنس بن مالك وهو حديث الشفاعة وفيه قال ﷺ: «.... فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدًا فيدعنى ما شاء الله، فيقال.، يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع»[1].

قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمّلك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإنه بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه. وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

قال الحسن: لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا.

قال على بن المدينى سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف:١١٠]. قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملًا صالحا ولا يخبر به أحدًا.

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحدًا عنه إلا عذبه ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٧] قال: بالرؤية.

وقال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم.

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك عن قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣]. أالنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم، فقلت: إن أقواما يقولون تنظر ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظرًا وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

أعياد المؤمنين فى الجنة

وأما أعياد المؤمنين فى الجنة فهى أيام زيارتهم لربهم عز وجل فيزورونه، ويكرمهم غاية الكرامة، ويتجلى لهم وينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا هو أحب إليهم من ذلك، وهو الزيادة التى قال الله تعالى فيها ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه:

إن يومًا جامعًا شملى بهم ... ذاك عيدٌ ليس لى عيد سواه

كل يوم كان للمسلمين عيدًا فى الدنيا فإنه عيد لهم فى الجنة، يجتمعون فيه على زيارة ربهم، ويتجلى لهم فيه، ويوم الجمعة يُدعى فى الجنة يومَ المزيد، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة.

وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة، فهذا لعموم أهل الجنة، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد، يزورون ربهم كلَّ يوم مرتين بكرة وعشيًا.

الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعيادًا فصارت أيامهم فى الآخرة كلها أعيادًا.

قال الحسن: كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد، كل يوم يقطعه المؤمن فى طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد.

يوم المزيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتانى جبريل عليه السلام وفى يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك قال ما لنا فيها قال فيها خير لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاذه أو ليس عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه قلت ما هذه النكتة السوداء فيها قال هذه الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد**

قال قلت لم تدعونه يوم المزيد قال إن ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسى من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلىٰ وجهه وهو يقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى هذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا فيقول الله عز وجل رضائى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى فسلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصديقون أحسبه قال ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها وأبوابها مطردة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعى يوم المزيد»[1] .

ورضوان من الله أكبر

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ

---

(١) حسن لغيره: حسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦١)، وقال: رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوى وأبو يعلى مختصرا ورواته رواة الصحيح والبزار واللفظ له.

رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾

[البينة: ٨، ٧] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول لأهل الجنَّة: يا أهل الجنَّة! فيقولون: لبَّيك ربَّنا، وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربَّنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١) .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس: ٩، ١٠] .

وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[فاطر: ٣٣-٣٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

[الزمر: ٧٣- ٧٥] .

هل تستحق الدنيا أن نضحي من أجلها بالجنة

وأخيرًا بعد أن عشنا سويًا رحلة الفرحة ومشاهدها التى تُثلج الصدور بقى لنا أن نسأل أنفسنا سؤالًا واحدًا: هل تستحق الدنيا أن تجعل المؤمن ينشغل بها عن طاعة

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

الله جل وعلا، وأن يُحرم من تلك الفرحة الغامرة؟!!

كلا والله... لأن الدنيا بأسرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

ولذا قال الحبيب ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»[1].

بل يكفى والله أن تعلم أن حب الدنيا يبعدك عن محبة الله جل وعلا، وأن الزهد فيها يجعلك تظفر بمحبته.

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس. فقال: **«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**[2].

بل تأمل معى لحال[أنعم أهل الدنيا] الذى انشغل بدنياه عن دينه وعن طاعة ربه عز وجل.

قال ﷺ: «يُوتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب. ويُؤتى بأشد الناس بُؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بُؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرّ بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[3].

فيا له من مشهد تنخلع منه القلوب... فمتاع الدنيا بأسرها يُنسى مع أول غمسة فى نار جهنم.

بل إن الله جل وعلا حينما يسأل الكفار والمنافقين، ويقول لهم: فإنهم يشهدون أن الدنيا بأسرها وبكل ما فيها من نعيم ولذة فانية لا تساوى يومًا ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ فيبكتهم الله عز وجل بقوله: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٤/ ٥٦١ رقم ٢٣٢٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣، رقم ٤١٠٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٦٢ رقم ٢٨٠٧).

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)﴾ [المؤمنون: ١١٢- ١١٤].

فهل تستحق ساعات لذة مؤقتة أن يفرط المسلم فى دينه وينسى ربه وخالقه ويترك الجنة ونعيمها؟!

إذن فلنبدأ صفحة جديدة كلها فرحة بطاعة الله جل وعلا، عسى الله أن يجمعنا على أجمل فرحة إخوانًا على سُررٍ متقابلين وتنادينا الملائكة وتقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... ودیارنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بُنيت ... أمست خرابًا وأفنى الموت أهليها
إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ ... الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدارٍ غدًا رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ مصفًّى ومن عسلٍ ... والخمر يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفةً ... تسبِّح الله جهرًا فى مغانيها
فمن يشترى الدار فى الفردوس يَعْمرُها ... بركعةٍ فى ظلام الليل يُحييها

وبعد أن تعايشنا بقلوبنا مع تلك الرحلة الطويلة إلى الدار الآخرة كان لابد من وقفة مع النفس لنتوب إلى الله تعالى من كل الذنوب ولنغتنم كل لحظة فى طاعته لعل الله أن يرحمنا فى الدنيا والآخرة.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

ومنزل «التوبة» أول المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات. وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به. واستصحبه معه ونزل به. فالتوبة هى بداية العبد ونهايته. وحاجته إليها فى النهاية ضرورية. كما أن حاجته إليها فى البداية كذلك. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور:٣١].

وهذه الآية فى سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم. ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة «لعلَّ» المشعرة بالترجى، إيذانًا بأنكم إذا تُبتُمْ كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون.

جعلنا الله منهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ [الحجرات: ١١] قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثَمَّ قِسم ثالث ألبتة. وأوقع اسم «الظالم» على من لم يتُبْ. ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»**[١].

وكان أصحابه يَعُدُّونَ له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم **«رب اغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة»**[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ أنها كانت تقول قال رسول الله ﷺ **«سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحدا الجنة عمله»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: **«ولا**

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٥/ ٢٣٢٤، رقم ٥٩٤٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨١٤)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٥٦).

أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»(١).

تذكرة

لا يوجد أحد إلا ويحاضره ربه محاضرة! فيقول الله: يا فلان أتذكر يوم أن فعلت كذلك وكذا [انظر يكلمه الله، يذكِّر الله العبد ببعض ما فعل فى الدنيا] فيقول العبد: ألم تغفر لى. فهو أراد أن يذكِّرَك بنعمه عليك.

كما قال الحبيب ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»(٢) ولكن هذا النعيم وهذا الملك يمنعه عنك الذنوب والمعاصى، فلا تستصغر ذنبًا لأن ذلك يصيب بكلل البصيرة، فلا يرى العبد عاقبة المعاصى، فأنت تظن أن النظرة مثلًا صغيرة، ولكنها تكبر بأمرين: الاستمراء، والتعود. أى اتباع خطوات الشيطان حتى تقع فى الفاحشة، فمثلًا لقد أعطانى الله العين للتفكر فى ملكوت السماء والأرض ولكى أقرأ المصحف ولكى أذهب إلى المسجد وأصل الرحم وأزور المريض، ولكن من يستخدمها فى المحرمات كالنظر إلى المسلمين باحتقار أو النظر إلى ما حرَّم الله وإضاعة الوقت فى ما حرَّم الله ومشاهدة ما حرَّم الله فهذا جحود بنعمة الله، وقد قال رسول الله ﷺ **«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ و عن شبابه فيم أبلاه؟ و عن ماله من أين اكتسبه؟ و فيم أنفقه؟ و ماذا عمل فيما علم»**(٣).

فيجب على المؤمن أن يملك نفسه وإرادته فهو يتعب فى الدنيا لكى يقول فى الآخرة ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩].

واعلم -أخى- أن التوبة من أجل القربات والعبادات وهى منزلة لا يفارقها الصالحون فى رحلتهم فى هذه الحياة الدنيا، بل ولا الأنبياء والمرسلون.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥/ ٢٣٧٣، رقم ٦١٠٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧١، رقم ٢٨١٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦/ ٢٧٠٩، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٦)

(٣) **حسن:** رواه الترمذى (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة»(١).

يقول ذلك لأن الله تعالى أمر بها فى كل وقت وحين وعلق الفلاح عليها.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١] فتأمل حفظك الله كيف وصفهم الله بالإيمان ثم دعاهم إلى التوبة ليعلم كل مسلم أن التوبة لازمة للعبد فى سائر منازله التى يسلكها فى طريقه إلى الله. وتذكر دائمًا أن الجنة قد حفت بالمكاره وأن النار قد حفت بالشهوات وإلا كيف سيكون الاختبار و كيف يميز الصابر من الضاجر والمطيع من العاصى. قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال: أنظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها. قال فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فرجع إليها فإذا هى قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد»(٢)..

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضىء القلب وتنير الصدر بنور الحق الذى جاء به النبى ﷺ من عند الحق ـ جل جلاله ـ.

قال ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال ـ من شدة الفرح ـ اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»(٣).

وقال الله جل وعلا: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٤، رقم ٣٨١٥)، قال البوصيرى (٤/ ١٣٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وابن السنى (ص ١٤٢، رقم ٣٦٧)، وصححه العلامة الألبانى.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٤/ ٦٩٣رقم: ٢٥٦٠)، والنسائى (٧/ ٣ رقم: ٣٧٦٣)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٠٤، رقم ٢٧٤٧).

منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقُراب الأرض خطايا - أي بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

كتب الله الرحمة بيده ليدل على عظم المغفرة

إن الله خلق الكائنات بكُن فيكون، إلا أشياء؛ لشرفها وكرامتها على الله، خلقها بيده، وكتب أشياء لكرامتها عليه بيده، فخلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، وكتب كتاب الرحمة بيده.. فما أعظم كرم الرحمن.

قال رسول الله ﷺ: «كتب ربكم على نفسه بيده، قبل أن يخلق الخلق: رحمتي سبقت غضبي»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»(٣).

والمغفرة رحمة قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ

احمد الله يا أخي على أنك من أمة الحبيب ﷺ فلقد يسَّر الله التوبة لأمته ﷺ فجعل مجرد الندم توبة مقبولة بل جعل الله التوبة سببًا في تبديل السيئات إلى حسنات فقال (جل وعلا): ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٥/ ٥٤٨، رقم ٣٥٤٠)، وقال: غريب، والضياء (٤/ ٣٩٩، رقم ١٥٧١)، وقال: إسناده صحيح، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) حسن صحيح: رواه ابن ماجه (١/ ٦٧، رقم ١٨٩)، وقال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة حسن صحيح (١٦٢٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣/ ١١٦٦، رقم ٣٠٢٢)، ومسلم (٤/ ٢١٠٧، رقم ٢٧٥١).

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

الله يحجب التوبة عن المنافقين والكافرين

ولما كانت التوبة محض فضل الله ورحمته حجبها عن المنافقين والكافرين لأنهم لا يستحقونها أبدًا.

قال تعالى فى شأن المنافقين: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

لمثل هذا اليوم فأعدوا

أخى الحبيب: لو أنك تملك الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل ثم جاء اليوم الذى ستدخل فيه قبرك... فهل تعدل الدنيا كلها أول ليلة فى هذا القبر؟.

هل تفكرت أخى الحبيب كيف سيكون حالك فى هذا القبر الموحش؟ قال ﷺ يومًا لأصحابه: **«لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذاب القبر»**[(١)].

وعن البراء بن عازب ؓ قال: خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال: **«استعيذوا بالله من عذاب القبر»** مرتين أو ثلاثا ثم قال**«إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة و حنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله و رضوان فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧).

عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن و فى ذلك الحنوط و يخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة فيقول الله عز و جل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين و أعيدوا عبدى إلى الأرض فإنى منها خلقتهم و فيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ؛ فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: و ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به و صدقت فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة و افتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها و طيبها و يفسح له فى قبره مد بصره و يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة؟ حتى أرجع إلى أهلى و مالى ؛ و إن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة ! اخرجى إلى سخط من الله و غضب فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح و يخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟ ! فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ فيقول الله عز و جل: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا فتعاد روحه فى جسده ؛ و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا

أدرى فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى فأفرشوه من النار و افتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها و سمومها و يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه و يأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة»[1].

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا … واذكر ذنوبك وابكها يا مذنبُ

لم ينسهُ الملكان حين نسيته … بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ

والروح منك وديعة أودعتها … ستردها بالرغم منك وتُسلبُ

وغرور دنياك التى تسعى لها … دارٌ حقيقتها متاعٌ يذهبُ

الليل فاعلم والنهار كلاهما … أنفاسنا فيهما تُعدّ وتُحسبُ

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا

عن أبى ذرٍّ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»[2].

هل رأيت جنازة محمولة على الأعناق؟ هل تعلم أنك ستكون مكان هذا الرجل فى يوم من الأيام؟ فيا تُرى كيف سيكون حالك؟

وقال ﷺ: «إذا وُضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدمونى قدمونى، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟ يسمع

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧)، وقال الهيثمى (٣/ ٥٠): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٧٣، رقم ٢١٥٥٥)، والترمذى (٤/ ٥٥٦ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٢ رقم ٤١٩٠)، والحاكم (٢/ ٥٥٤، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»[١].

بل هل تفكرت فى مشاهد الآخرة لتكون لك حاديًا إلى التوبة والعودة إلى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن - إسرافيل - قد التقم القرن؟ وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ، فقال أصحابه: كيف نقول: قال قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[٢].

وقال ﷺ: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا»[٣].

وقال ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - عز وجل - يوم القيامة»[٤].

وقال ﷺ: «إذا صار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار جيء بالموت، حتى يوقف بين الجنة والنار. ثم يُذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»[٥].

حملة العرش يستغفرون لك أيها الحبيب

بل إن حملة العرش يستغفرون لك أيها الأخ الحبيب.... فهل عرفت قدرك فى ظل هذا الدين؟

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١/ ٤٤٢، رقم ١٢٥١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤/ ٦٢٠ رقم: ٢٤٣١)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٠٧٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤/ ٢١٩٦، رقم ٢٨٦٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٣٨٨، رقم ٦١٥٠)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩، رقم ٢٨٦٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥/ ٢٣٩٧، رقم ٦١٨٢)، ومسلم (٤/ ٢١٨٩، رقم ٢٨٥٠).

إنك تستمد عزك ومكانتك من طاعتك للملك (جل وعلا) الذى يسخر لك الكون كله من أجلك.

فها هم حملة العرش يستغفرون لك.. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧].

بل ها هو الكون كله يدعو لك إذا انشغلت بالدعوة إلى الله.

وعن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: **«فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»** ثم قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»** (١).

النبى ﷺ خبأ دعوته شفاعةً لأمته

أما علمت أخى الحبيب أن النبى ﷺ خبأ دعوته ليشفع العصاة من أمته يوم القيامة.

قال ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وإنى اختبأت دعوتى»، وفى رواية: **«وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة»**، وفى رواية: **«فتعجّل كل نبى دعوته»**، وزاد فى رواية: **«فهى نائلة من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»** (٢).

وقال ﷺ: «أتانى آتٍ من عند ربى، خيَّرنى بين أن يُدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئًا» (٣).

فالحبيب ﷺ يفضل مغفرة الله (جل وعلا) للأمة المحمدية على دخول نصف أمته الجنة... وهذا هو القدر الحقيقى للتوبة ومغفرة الذنوب.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٥/ ٥٠، رقم ٢٦٨٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١/ ١٨٩، رقم ١٩٨).

(٣) **صحيح:** رواه الترمذى (٤/ ٦٢٧، رقم ٢٤٤١)، والطبرانى (١٨/ ٧٢، رقم ١٣٣)، وابن حبان (١/ ٤٤٢، رقم٢١١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦).

خوف الصحابة (رضي الله عنهم)

ومن تأمل أحوال الصحابة - رضي الله عنهم - وجدهم فى غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصدِّيق - رضي الله عنه - يقول: وددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن.... بل كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

وكان يبكى كثيرًا ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله - عز وجل - وأُتى بطائر، فأخذه فقلبه ثم قال: ما صِيد من صيد، ولا قُطِعَت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح، فلما احتضر قال لعائشة: يا بنية إنى أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعى به إلى ابن الخطاب، وقال: والله لوددت أنى كنت هذه الشجرة تؤكل وتُعضد. وقال قتادة: بلغنى أن أبا بكر قال: ليتنى خضرة تأكلنى الدواب.

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الطور: ٧] فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، (ثلاثًا) ثم قضى - مات - وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أياما يُعاد، يحسبونه مريضا، وكان فى وجهه - رضي الله عنه - خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددت أنى أنجو لا أجر ولا وزر.

وهذا أبو الدرداء - رضي الله عنه - كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسى يوم القيامة أن يقال لى: يا أبا الدرداء، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟.

وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابًا على شهوة، ولا دخلتم بيتًا تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أنى شجرة تُعضد ثم تؤكل. وكان عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - أسفل عينيه مثل الشراك البالى من الدموع.

وكـان أبـو ذر يقـول: يـا ليتنـى كنـت شـجرة تعـضد، ووددت أنـى لم أُخلـق،... وعُرضت عليه النفقة فقال: عندنا عنز نحلبها وحمر ننقل عليها ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإنى أخاف الحساب فيها. وقرأ تميم الدارى ليلة سورة الجاثية، فلما أتى علـى هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١] جعل يرددها ويبكى حتى أصبح.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: «أنشدك الله هل سمانى لك رسـول الله ﷺ، يعنى فى المنافقين؟ فيقول: لا. ولا أزكى بعدك أحدا».

إياك والمعصية

عن معاذ رضي الله عنه قال: أوصانى رسول الله ﷺ فقال: «لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت أو حُرقت، ولا تعقن والديك، وإن أمراك أن تخرج مـن أهلـك ومالـك، ولا تتـركن صـلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئـت منـه ذمـة الله، ولا تـشربن خمرًا، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن المعصية تحل سخط الله»[1].

قال أبو الوفاء ابن عقيل: احذره ولا تغتر به، فإنه قطع اليد فى ثلاثة دراهم، وجلـد الحد فى مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت امرأة النار فى هرة، واشتعلت الشملة نارًا على من غلها، وقد قُتل شهيدًا.

أما علمت ـ أخى الحبيب ـ أنك ستُسأل عن كل لحظة من عمرك وستبكى الدماء بدل الدموع على كل لحظة ضاعت فى غير طاعـة الله (جـل وعـلا). وعـن أبـى بـرزة الأسلمى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامـة حتـى يـسأل عـن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعـن جـسمه فيم أبلاه»[2].

كما قال الحبيب ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة لـيس بينـه وبينـه

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٥/ ٢٣٨، رقم ٢٢١٢٨)، والطبرانى (٢٠/ ٨٢، رقم ١٥٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠).

(٢) صحيح. رواه الترمذى (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح

ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»[1].

الفرق بيننا وبين السلف

الفرق بيننا وبين السلف الصالح فى الإيمان: نقص فى إيماننا وزيادة فى إيمانهم، كانوا إذا تحدثوا عن الجنة آمنوا بها كأنهم يرونها رأى العين فجدّوا فى طلبها بما استطاعوا من صدقة وصوم وتطوع وصلاة فى الليل والناس نيام إلى غير ذلك من النوافل فضلاً عن الواجبات، أما نحن فنتحدث عن الجنة كأى موضوع دون أن نتأثر أو يتغير فى سلوكنا شىء نحو الأفضل فنبقى نصلى فى بيوتنا بالرغم من أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة وصلاة الجماعة فى المسجد أفضل من صلاة الجماعة فى البيت لأنه كلما زاد عدد المصلين زاد الأجر وعدد الجماعة فى المسجد أكثر من عددهم فى البيت، وإن تحدثوا عن النار آمنوا بها كأنهم يرونها رأى العين فتركوا صغائر الذنوب فضلاً عن كبائرها أما نحن فنتحدث عن النار فنضحك بدلاً من البكاء وكأننا نتحدث عن موقد للتدفئة وربما انتقلنا من ارتكاب الصغائر إلى ارتكاب الكبائر كالغيبة والنميمة إن لم يكن أكبر.

* إذًا الفرق بيننا وبينهم هو: نقص إيماننا وزيادة إيمانهم، ومن العلاج المفيد لزيادة الإيمان - بعد توفيق الله - الإكثار من ذكر ما نحن بصدده وهو الموت.

فذكر إن نفعت الذكرى

* تذكر.....أن مشاهدة المحتضرين وإغماض عيونهم فور موتهم ومشاهدة القبر وكيفية دفن الميت فيه ومن قبل تغسيله وتكفينه والصلاة عليه كل ذلك إذا لم يؤثر فينا فما الذى يؤثر؟؟؟ وكذلك معرفة أمارات الساعة وما يجرى بعد البعث والنشور من تطاير الصحف ووزن الأعمال والمرور على الصراط ففى ذلك ذكرى لمن يتذكر ويتعظ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦/ ٢٧٠٩، رقم ٧٠٠٥)، ومسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٦)

وفى الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة» (١).

ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۝﴾

[المائدة: ٩٠، ٩١].

قالوا: انتهينا يا رب انتهينا وأراقوا دنان الخمر فى أزقة المدينة.

وهل يكفى أن نعلم أن هول المطلع شديد ثم لا نتأثر ولا يتحول سلوكنا نحو الأفضل؟ ألا نكون عندئذ من الغافلين؟؟!! والعياذ بالله.

عندما نُحتضر - وليس ذلك ببعيد - ونرى مقعدنا من الجنة أو النار، ونشاهد ملك الموت وملائكة الرحمة أو العذاب لا فائدة عندئذ من الرؤية والمشاهدة فقد انتهى الامتحان وصدرت النتائج كما عندما يحين موعد الحساب والمرور على الصراط يظهر الفرق بين من قدم لنفسه ومن لم يقدم ولا ينفع الندم.

أما الآن فعلينا اغتنام الحياة قبل الموت، والصحة قبل المرض، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم، والفراغ قبل الشغل، للتزوّد بالأعمال الصالحة والبعد عن الأعمال السيئة.

ويجب عليك أمور وهى التوبة إلى الله توبة نصوحًا، ثم ابحث عن ما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ من قول وفعل وأقوم به، وأتجنب كل ما يغضب الله ورسوله، وأبحث فى نفسى: هل أنا أحمل هم الإسلام؟ وماذا قدمت له؟ هل قرأت كتاب الله؟ هل صليت بالليل والناس نيام؟ هل وصلت الرحم؟ هل عدت المريض؟ هل تواضعت مع الخلق؟ هل مسحت على رأس اليتيم؟ هل تعديت على حق أحد؟ فبهذه المحاسبة لنفسك يستقيم أمرك، واعلم أن للدنيا بنين وللآخرة بنين فكن من أبناء الآخرة، فالدنيا راحلة فانية، فهى معبر للآخرة، فيجب علينا أن نضع منهج الله أمامنا حتى يأتينا فضل الله وتُفْتح أبواب الجنة، واعلم أن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢١٥، رقم ١٨٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٥١، رقم ٣٢٥٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٧٤).

يدخل جنة الآخرة ألا وهى الرضا عن الله وبما قسمه الله هنا فقط تفتح أبـواب الجنـ
وينعم الإنسان بوجه الله الكريم. وما ذلك على الله بعزيز.

وختامًا أسأل الله العلى العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا جميعً
الإخلاص فى القول والعمل وأن ينفع بهذا الكتاب ويجعله مباركًا ومن أسباب الفو
بجنات النعيم، كما أسأله تعالى أن يكتب الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن ساهـ
فى كتابته وجمعه ومراجعته واعتنى به.

...وصلى الله على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيـ
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

* * *



فهرس الموضوعات

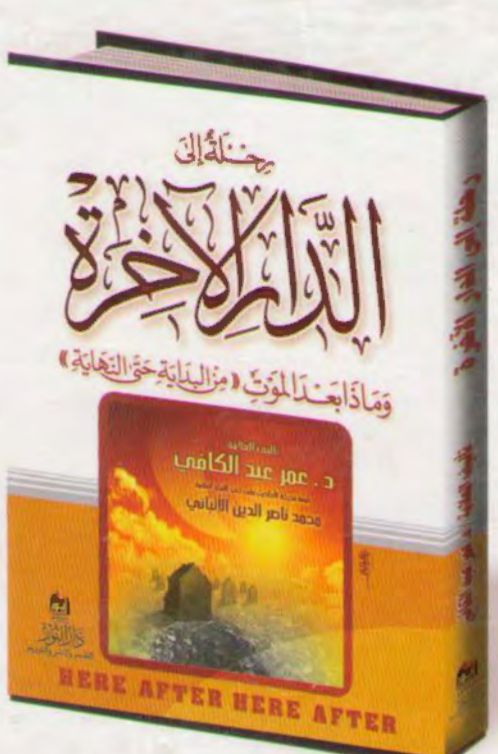
فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة




منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET





7 ش عبد العزيز - العتبة - القاهرة

+202 23 910 55 4 - 23 95 9218

طنطا: 2 ميدان المحطة

040 - 3333 944

EMAIL: ALNOORISLAMIC@YAHOO.COM
ALNOORISLAMIC@HOTMAIL.COM

قسم التحقيق والبحث العلمي
دار النور للطبع والنشر والتوزيع
عضو اتحاد الناشرين المصريين رقم ٤٨٠